مكانة مخصص ابن سيده من المعجمية العربية المعاصرة *

أو

مساهمة التراث العلمي العربي في تطوير العربية

بقلم : رشاد الحمزاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن البحث في هذا الموضوع يثير في الحقيقة موضوعا هاما وشائكا يتعلق بجدوى مساهمة المعاجم العربية القديمة في تطوير العربية وترقيتها لا سيما في الميدانين العلمي والتقني . فالقضية تنحصر في الواقع في تقييم الطريقة اللغوية التي تدعى الاستنباط والمتمثلة في استخراج وإحياء المصطلحات العلمية والفنية القديمة من المعاجم القديمة واستعمالها استعمالا جديدا للتعبير عن معان حديثة . ولقد اعتمدها أدباء القرنين التاسع عشر والعشرين ومجامع اللغة العربية المختلفة بغية تطوير المعجم العربي . ويكفينا في هذا الصدد أن نشير إلى أن المجمع العلمي العربي بدمشق الذي أنشىء سنة 1919 قد استعمل هذه الطريقة اللغوية التي سبق لنا أن وصفناها وحللنا نتائجها (1) .

(*) لقد قدم المؤلف هذا البحث بالفرنسية بملتقى الجامعيين التونسيين والاسبان في ماي 1972 بإسبانيا .

(1) رشاد الحمزاوي : المجمع العلمي العربي بدمشق ومشكل ترقية اللغة العربية — ليدن 1965 أنظر خاصة ص 27، 49، 67 (L'Académie Arabe de Damas et le probième de la modernisation de la langue arabe - Brill 1965)

أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي كون سنة 1934 لتطوير المعجمية العربية خاصة ، فإنه يوليها اهتماما كبيرا إذ ينص في لائحته أن من مهمته «أن يستبدل بالكلمات العامية والأعجمية التي لم تعرب ــ غيرها من الألفاظ العربية وذلك بأن يبحث أولا عن ألفاظ عربية لها في مظانها ــ فإن لم يجد بعد البحث أسماء عربية لها وضع أسماء جديدة بطرق الوضع المعروفة من اشتقاق أو مجاز أو غير ذلك . فإذا لم يوفق التجأ إلى التعريب مع المحافظة على حروف اللغة وأوزانها بقدر الطاقة» (2) .

فالمجمع يعير على رغم ما جاء في هذا البند من غموض ، أسبقية سابقة إلى هذه الطريقة المعجمية أي الاستنباط اللغوي ويعتبرها أحسن وأفضل وسيلة لتجديد المعجم العربي . فهي تكون بالنسبة إليه اختيارا لغويا أساسيا يتعلق بمظهرين هامين متلازمين من ذلك أن المجمع يرمي باعتماده هذه الطريقة إلى إقرار منهج عمل يربط المعجمية العربية وبالتالي الثقافة العربية الإسلامية ربطا يكاد يكون حتميا باحياء التراث القديم ومنه تراث ابن سيده الذي يهمنا منه كتابه المخصص . أما المظهر الثاني من الموضوع فإنه يهم قيمة هذا المنهج الذي يعتمد في نهاية الأمر على سلفية لغوية تستحق التحليل والتعريف بخصائصها تعريفا علميا . ولا غرابة أن يكون السلفيون وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبده أول من حقق ونشر مخصص ابن سيده (3) .

فالقضية على غاية من الأهمية لأن هذه السلفية اللغوية تستطيع أن تنزع في بعض مظاهرها المتطرفة إلى نوع من التوقيف اللغوي الذي يذكرنا برأي ابن فارس القائل بأنه ليس لنا أن نزيد شيئا على ما قاله السلف الصالح . وهذا يعني أن الثقافة العربية ليست في حاجة إلى التجديد والتجدد بل عليها أن تستمد غذاءها من نفسها كي تفوز من جديد بسليقة لغوية كثيرا ما تنحصر في ذهن

---

(2) إبراهيم مدكور : مجمع اللغة في ثلاثين عاما . القاهرة 1964 ص 139 .
(3) الورقة الاشهارية لجمعية إحياء العلوم العربية ، القاهرة 1904 ص 7 .

بعضهم في وضع لغة بدوية فصيحة يمكن أن نرتقي منها إلى لغة مثالية أنقى منها وأفصح (4) .

ويجدر أن نلاحظ في هذا الصدد أن هذه النزعة التمجيدية المثالية هي من خصائص جميع الثقافات التي تدعو إلى التطور مع المحافظة على وحدتها . ألم يعبر الشاعر الفرنسي André chenier عن ميله إلى نوع من السلفية الاغريقية اللاتينية عندما قال :

Sur des pensers nouveaux : faisons des vers antiques

ولقد استرعت هذه القضية انتباه أهل الاختصاص وغيرهم من الناطقين بالعربية ودارسيها فكانت مدعاة إلى مهاترات كلامية عاطفية عنيفة بين الداعين إلى هذه الطريقة اللغوية ومعارضيها (5) حتى كادوا يخمدون أصوات مذهب الحل الوسط الذين يرون أنه من الممكن أن نوفق بين الحاجيات العصرية الملحة وبعض الالتزامات الثقافية التي تفرض علينا ألا نفصم العروة التي تربط الثقافة العربية الكلاسيكية الموجودة بالفعل بالثقافة العربية المعاصرة الموجودة بالقوة . إذ يبدو لهم من اليسير الاحتفاظ بمعالم الثقافة العربية القديمة والربط بين جميع أحقاب التفكير العربي المتطور .

وقد ركزنا بحثنا هذا على هذه النزعة التوفيقية الثالثة التي نعتبرها أكثر التحاما بالواقع الثقافي العربي . فهي تهمنا بقدر ما أتت به من مساهمات جديرة بالعناية في الميدان العلمي وبقدر ما وفرته لنا من الامكانيات التي تسمح لنا أن نطبق عليها في حد ذاتها منهجا نقديا شاملا لم يطرق من قبل ، لأن المعجمية العربية المعاصرة قد زودتنا في الخمسينية الأخيرة بعدد كبير من المعاجم المهمة التي تمكننا من إبداء حكم مفيد وان كان نسبيا ، على هذه

---

(4) السيوطي ، المزهر (ط ثانية) ص 212 حيث يمكن الإطلاع على رأيه في الفصيح والأفصح .

(5) مصطفى الشهابي ، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث . دمشق 1965 ص 72 وما يليها .

المعركة التي نواجهها اليوم في جميع المجالات . ولقد اهتممنا بمخصص ابن سيده لأنه يُعتبر الأثر المثال الذي يرجع إليه في غالب الأحيان المعجميون العرب المعاصرون (6) وإن كان صاحب لسان العرب قد فضل عليه أثر ابن سيده الاخر وهو المحكم . فالمشكل يبدو لنا هاما بقدر ما نرى هؤلاء المعجميين يعتبرون هذا المؤلف من الغريب المصنف أثرا فيه مصلحة لأهل عصرنا إذ أن منهم من يستعير منه ألفاظا وصيغا وتراكيب للتعبير عن مفاهيم عصريـة ستتخذها أمثلة تطبيقية مفيدة تساعدنا على تقييم مساهمة التراث اللغوي والفني القديم في وضع معاجم عربية عصرية . وللوصول إلى هذه الغاية اعتمدنا ، فضلا عن المخصص (7) ، على ثلاثة معاجم مختصة وهي : معجم النبات (8) لأحمد عيسى ومعجم الحيوان (9) لأمين المعلوف ، ومعجم الألفاظ الزراعية (10) لمصطفى الشهابي التي سنعارضها طبعا بالمخصص وبالدراسة التحليلية (11) التي خصصها محمد الطالبي لمعجم ابن سيده . ويجدر أن نلاحظ أن هذه الدراسة الأخيرة التي تعتبر أن تأثير المخصص في المعاجم المتأخرة كانت معدومة (12) ، تمتاز بكونها قد ساهمت مساهمة هامة في هـذه المعركة . إذ أنها زودت الدارسين بفهرس كامل ومنظم حسب المواد للمخصص يساعدهم على القيام بمقارنات مفيدة . ويحسن في هذه الصدد أن نشير إلى أن هذا النوع من الاستقراء الكامل لامهات الكتب القديمة القيمة ،

---

(6) ونعني بالخصوص مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي اعتمده في معجمة . انظر محاضر الجلسات 177/2 .

(7) إبن سيده ، المخصص 17 مجلدا – ط. بولاق – 1316هـ–1321 .

(8) أحمد عيسى ، معجم أسماء النبات . القاهرة 1926–193ص (يضاف إلى ذلك دليل انكليزي ص 197–227 ودليل عربي يحوي 64ص) .

(9) أمين المعلوف ، معجم الحيوان ، القاهرة 1932 . 271ص + 17ص (دليل عربي) + لوحـات .

(10) مصطفى الشهابي – معجم الألفاظ الزراعية ، القاهرة 1957–694ص + 98ص (دليل عربي) .

(11) محمد الطالبي – المخصص ابن سيده ، دراسة – دليل ، تونس 1956–192ص .

(12) نفس المرجع ص 58 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نادرٌ في العالم العربي الإسلامي (13) إن استثنينا من ذلك بعض الدراسات الحديثة من ذلك دراسة محمد السويسي المخصصة للغة الحسابيات في العربية (14) وليس من الغريب أن تظهر هذه الدراسات بصفة خاصة في المغرب الذي يبدو أكثر استعدادا لاستثمار هذا التراث استثمارا معقولا لأنه يسمح بالإعتماد على النصوص القديمة ويستجلي قيمتها من مادتها لا غير . فالسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في هذه القضية يتعلق بطبيعة الحال بطريقة المعجميين المعاصرين في اعتماد المخصص مرجعا لغويا وعلميا في دراستهم . إننا نلاحظ في هذا الصدد أن أحمد عيسى يذكر مخصص ابن سيده في قائمة مراجعه من المؤلفات المختصة . فيكتفي منه بالمجلد الثاني عشر (15) من طبعة بولاق لكنه لا يبرر هذا الاختيار . فهل هذا يعني أن هذا المجلد قد انفرد بعلم النبات لا سيما النباتات الطبية التي يهتم بها هذا الطبيب اهتماما خاصا ؟ لأننا نلاحظ أنه يوجد ذكر لنباتات مختلفة في المجلد الحادي عشر (16) ويمكن أن نجزم أن عدد النباتات المذكورة في المجلدين الحادي عشر (17) والعاشر أكثر عددا مما أتى منها في المجلد الثاني عشر . أيعني ذلك أن أحمد عيسى قد ترك كل ما يتعلق بالشجر الاتي ذكره بالمجلد الحادي عشر مثلا ؟ لكن كيف نفسر إهتمامه بأشجار من نوع L'arbre à chapelet أو A. Precatornis الذي

---

(13) لقد قام بهذا النوع من الدراسات بعض الرواد منهم أ) Goinchon : Le Vocabulaire comparé d'Aristote et d'Ibn Sîda, cahiers de Tunisie 3 (1956) p. 17-40
ب) سهيل م. أفنان Philosophical terminology in Arabic and Persian; Leiden 1962; 124 p.

(14) محمد السويسي ، لغة الحسابيات في العربية ، تونس 1968—466ص . : (La langue des Mathématiques en Arabe)
أنظر في هذا الشأن عرضنا لهذا الكتاب في : Cahiers de Tunisie Tome XVIII n° 71-72 (1970) p. 256-259

(15) أحمد عيسى ، معجم ص 14 .

(16) محمد الطالبي ، دليل ص 71 .

(17) نفس المرجع ص 76—178 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وضع له أسماء عربية كثيرة مترادفة وهي سَسْم ، سَسْم أحمر ، حَبّ العَروس ، عُفْروس ، قُلْقُل وبَلَيّع (18) ولا شك أنه يعسر علينا أن نجيب على السؤال المطروح لسكوت المؤلف عن هذه القضية .

والجدير بالذكر أن أحمد عيسى يعتمد المخصص في معجمه فيذكره تسع مرات (أنظر اللوحة عدد 1 في آخر هذا المقال) . وهو ما يناسب تسعة مصطلحات علمية من الـ 5852 مصطلحا الآتي ذكرها في هذا المعجم العصري . فهي تكون مقدارا ضئيلا لا يشهد على قيمة المخصص العصرية إذ يبدو ان مصطلحاته القديمة لا تعبر عن حاجيات العصر الحديث . واعتبارا لهذه النتيجة الأولى التي لاحظناها فإنه يبدو أن طريقة الاستنباط لا تعتبر طريقة ناجعة عند هذا الرائد من رواد المعجمية العربية المعاصرة .

ولكن ما هو موقف أمين المعلوف من هذا الموضوع ؟ فهو لا يذكر ابن سيده ولا مخصصه في مراجعه لكنه يذكره صراحة أو ضمنيا في معجمه . فهو يعتمد 35 مصطلحا من مصطلحاته من الـ 1428 مصطلحا الموجودة في معجمه (أنظر اللوحة عدد 2) . ولقد أخذ أغلب مصطلحاته من المجلد الثامن الذي يهتم بالطيور (19) . فهو لا يعتمد إلا قليلا المجلد العاشر ولا يعير اهتماما كبيرا للمجلدين السابع والسادس (20) اللذين ذكرت فيهما أيضا أنواع مختلفة من الحيوانات . فلسنا نعلم ما هي أسباب هذا السهو الذي يبدو أنه ناتج عن منهجية هذا المعجمي التي سنقف على بعض هناتها عندما يأتي الحديث عن المصطلحات التي أخذها المعجميون من مخصص ابن سيده .

أما بالنسبة للشهابي ، فإن المخصص يكون مرجعا هاما وإن كان لا يذكره في مقدمة معجمه قائمة المراجع التي اعتمدها باستثناء ما يسميه بالمعجمات

(18) أحمد عيسى ، معجم ص 2 .
(19) محمد الطالبي ، دليل ص 71 .
(20) نفس المرجع ص 70–71 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأمهات منها « المخصص ولسان العرب والمحيط وتاج العروس وغيرها » (21) فنلاحظ أنه وقف من هذه القضية موقفا غامضا لأننا لا نعلم ما يعني بالمعجمات والامهات كما لا نعلم ما يعني بعبارة « وغيرها » . لا شك أنه يشير إلى معاجم ومؤلفات كلاسيكية لا يبين أسماءها ولا صلاتها بالمخصص . لكن هذه الهنات لا تمنع الشهابي من أن يعتمد المخصص 19 مرة في معجمه (أنظر اللوحة عدد 3) وهو ما يوافق 19 مصطلحا من الـ 9996 مصطلحا التي يحويها معجمه . فيبدو أن هذا المعجمي يكاد يأخذ كلمة واحدة من كل مجلد من مجلدات المخصص باعتبار أنه يحوي 16 مجلدا . فالحصيلة تبدو هنا أيضا ضعيفة للغاية ولا تبرر إحصائيا على الأقل ، استعمال طريقة الاستنباط الشاقة التي كثر فيها الاختلاف والتي وقفت منها المعاجم الثلاثة العصرية موقفا يكاد يكون متشابها إذ أنها أعارتها اهتماما ثانويا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيمكن أن نستنتج مما سبق أن الاستنباط اللغوي في هذا المستوى ينحصر في نهاية الأمر في عملية تنقيب لغوية شكلية لا طائل من ورائها وذلك ما يجعلنا نعتبر أن المخصص غير قادر على أن يساهم باعتبار عدد المفردات المأخوذة منه مساهمة هامة في وضع المصطلحات العلمية الحديثة التي تعبر في جلها عن مواضيع ومشاكل لم يعالجها العلم الكلاسيكي. (22) فموقف المعجمين العصريين من المعاجم القديمة يبدو معقولا إذ ما عساهم أن يجنوا في القرن العشرين من مؤلف خصص للغريب المصنف ؟ لكن حجتهم تبدو غير قائمة ورأيهم يظهر متعسفا ان اعتبرنا عدم اهتمامهم بجميع مجلدات المخصص التي لم يستقرؤوا مادتها استقراء كافيا كما سبق لنا أن ذكرنا . ذلك ما تصدى له مصطفى الشهابي ليدحض هذا الاعتراض بحجج قوية مبينا بالمثال أن

(21) مصطفى الشهابي معجم مقدمة .

(22) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية ص 29–32 حيث يذكر الفوارق التي تميز العلم القديم من العلم الحديث .

للمعجمات القديمة من الهنات (23) ما يجعلنا نترك جانبا أغلب مصطلحاتها وتعريفاتها في الميدان العلمي والفنـي .

ولا شك أن الاعتماد على هذه المعاجم باستعمال طريقة الاستنباط تثير مشاكل عديدة في مستويات مختلفة نذكر منها أولا قضية اختيار المصطلحات العلمية والفنية من المخصص وغيره من المؤلفات الكلاسيكية كي نعبر بها تعبيرا صحيحا ودقيقا عَن المصطلحات الأوروبية المعاصرة . فالقضية تتعلق أولا بالمعايير التي يجب اعتمادها لنعلم ان كان إسم النباتة في المؤلف الأوربي يقابل بدقة إسمها عند ابن سيده . فالمشكل يبدو يسير الحل ان وجدنا أن إبن سيده يعطي للنباتة المعينة إسما يقرب من إسمها الأوروبي أو يصفها أو يعرفها تعريفا لا يختلف كثيرا عن تعريف النباتيين المعاصرين لها . فأحمد عيسى يترجم مثلا Ficus sycomorus أو Figue d'Adam بجميّز وتعلق ، وتين أحمق وتين بريّ وخنَنّس (باليمن) وسَوْقَم وهو المصطلح الذي استعمله ابن سيده لأنـه جاء في معجم أحمـد عيسى « السوقم (قال ابن سيده : شجر عظام مثل الاثأب سواءا ولها ثمرة مثل التين الخ) » (24)

وهذا الوصف يكاد يكون مشابها لما وصف به الشهابي نفس النباتة (25) لكن يعسر في غالب الأحيان أن تتوفر لنا أمثلة من نوع المثال السابق الذكر إذ أننا نلاحظ مثلا أن المعجميين العصريين قد اتفقوا على ترجمة Busard أو Circus Nacrourus وهو إسم طائر بـ« مرزة بغشاء » (26) اعتمـادا على ابن سيده الذي يقول في شأن هذا الطائر : « طائر يشبه العقاب لا ينفـع ولا يضر وقيل بل المرزة الحِدَأة التي تصيد الجرذان » (27) .

(23) نفس المرجع ص 33—40 .
(24) أحمد عيسى ، معجم ص 83 عدد 15 .
(25) مصطفى الشهابي ، معجم ص 276 .
(26) أمين المعلوف ، معجم ص 123 .
(27) إبن سيـده ، المخصص 148/8 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكننا لا نجد أثرا لكلمة بغثاء (بيضاء فيها سواد) في أي مؤلف لتكون وصفا للمرزة بل نجد كلمة أبغث مستعملة عند ابن سيده للدلالة على لون الصقر (le Faucon sacre) والبازى (le Vautour) والشاهين (le Faucon pelerin) . فما الداعي الذي دعا المعجميين المعاصرين إلى هذا التعريف لا سيما عندما نعلم أن ابن سيده يخلط بين المرزة والعقاب لأن المرزة من الدواجن والعقاب من اللواحم الضارية مثلما يدل عليه وصفه وتعريفه الواردان في كتاب الشهابي واللذان يختلفان عما أورده ابن سيده في المخصص في نفس الموضوع ؟ فالشهابي يعرف العقاب كما يلي : « أنواعها كثيرة ويغلطون فيترجمون الكلمة الفرنسية بكلمة نسر . والنسر هو Vautour لا هذا الطائر والعقاب مؤنثة تطلق على الذكر والأنثى . جنس طيور من رتبة الكواسر وفصيلة الصقريات فيه أنبل الجوارح وأشدها بأسا » (28) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والجدير بالملاحظة أن القضية الكبرى التي يواجهها المعجميون المعاصرون الباحثون في المعجمات القديمة تتمثل في قصور تعريفات هذه المعاجم على تأدية المعاني والمفاهيم العلمية الحديثة فهي لا تفي بالمعايير العلمية ان اعتبرنا أن التعريف اللغوي والعلمي هو التعريف « الذي يطلق على الكلمة المعرفة دون سواها ويحيط بكل معانيها » (29) . واعتمادا على ذلك ينبغي لكل تعريف أن يكون ملائما لمعايير التصنيف العلمية وأن يشمل في الميدان الذي يهمنا في هذا المقال الشعبة أو الفرع (l'embranchement) والرتبة (l'ordre) والفصيلة (la famille) والقبيلة (la Tribu) والجنس (le genre) والنوع (l'espèce) والسلالة أو العرق (la race) والضرب أو الصنف (la Variété) والفرد (l'Individu) (30) .

---

(28) مصطفى الشهابي ، معجم ص 21 .

(29) G. Matoré, Histoire des dictionnaires français, Paris 1968 p. 232

(30) مصطفى الشهابي ، المصطلحات العلمية ص 100 .

وذلك ما ينقص معجم ابن سيده الذي يعتمد تعاريف خاطئة (31) وسطحية فيقتصر في غالب الأحيان على أن يشير إلى الحيوان المعني بالأمر بـ« معروف » . ولقد لاحظ مصطفى الشهابي في هذا الصدد أن ابن سيده وغيره من المعجميين كانوا يفترضون أن القارىء مطلع على الأسماء المعنية فمن الأسماء التي تعتبر معروفة يذكر لنا الشهابي الحنظل (Citrullus colocynthis) والسعتر (le Thym) والسوسن (l'Iris) والشحرور (le Merle) والكتان (le Lin) الخ (32) ولا شك أن هذه النباتات والحيوانات مشهورة لكنها ليست معرفة تعريفا علميا يتطور بتطور العلوم . أليس من المفيد أن نلاحظ أن الفل كان يطلق عند النباتيين القدامى على نباته تختلف عن النباتة المعنية اليوم بالأمر والتي تقابل الياسمين أو le Jasmin simbac ؟ ويمكن أن نلاحظ نفس الملاحظة فيما يتعلق بالقيقف الذي كان يطلق عليه في المعاجم القديمة إسم الازادرحت Melia Azedarach وهو يطلق اليوم على ما يسمى بالفرنسية العادية l'Erable ويطلق عليه علميا إسم Acer (33) .

وليس لنا أن نستغرب من هذه الملحوظات الهامة لأن تعريفات ابن سيده تعريفات أدبية إجمالية لا يؤيدها العلم الحديث ذلك أن هذا المعجمي الأعمى الذي كان من أهل اللغة الجمّاعين الماهرين لا يستطيع أن يضع إلا تعريفات تعتمد الرواية والسماع اللذين لا يقران بعض المعايير العلمية التي تفرض حتما مشاهدة الأشياء المدروسة ووصفها وتصنيفها . فالمخصص قد ساهم مساهمة هامة في وضع المصطلحات العربية العلمية في عصره لكنه لا يمكن للباحثين العرب المعاصرين أن يعتمدوا مادته العلمية اعتمادا كليا لوضع مصطلحات العلوم .

---

(31) محمد الطالبي ، دليل ص 33 وما بعدها .

(32) مصطفى الشهابي ، المصطلحات العلمية ص 37 .

(33) نفس المرجع ص 39 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما القضية الثالثة التي تطرح اليوم في موضوعنا هذا فهي تتمثل في المواقف المختلفة التي وقفها من المخصص المعجميون العرب المعاصرون وأهل الاختصاص في العلوم العصرية . فإننا نلاحظ مثلا أنهم لا يتفقون على إعطاء ترجمة موحدة مثلا للكلمة الواحدة التي يستسقونها من المخصص . فإن أحمد عيسى يترجم مثلا la Mousse d'Islande بالخَرَزَة (34) وهي مأخوذة من المخصص لكن هذه الترجمة لا تمنعه من أن يردفها بكلمات أخرى للتعبير عن نفس النباتة وهي خَرَز الصخور وشجرة النَّضّ والحَزَاز (35) .

أما الشهابي فهو يكتفي بترجمتها بكلمة واحدة هي الحَزاز (36) . فنلاحظ أن المصطلح المأخوذ من المخصص ينافس غيره من المصطلحات الأخرى عند أحمد عيسى ، وهو لا يذكر بتاتا في معجم الشهابي الذي يثير قضية هامة مفادها ان هذا المصطلح «حَزَاز» يكون في حد ذاته مشكلة لأنه غير واضح المعنى باعتبار أن المعجميين الكلاسيكيين والمعاصرين يستعملونه بطريقة مضطربة للتعبير عن نباتات ثلاث مختلفة وهي Mousse و Lichen و Algues التي يجب أن تترجم حسب التوالي بـ: خَزَاز ، أُسنَة وطُحلُب (37) . ويمكن أن نضيف إلى المثال السابق مثالا آخر يهم النباتة المسماة Ficus sycomorus أو Figue d'Adam . فأحمد عيسى يضع لها أسماء متعددة من ذلك السَّوْقَم المأخوذة من ابن سيده . أما الشهابي فإنه يكتفي بتسميتها جُمَّيْز وجُمَّيْزَى (38) .

وكثيرا ما يختلف المعجميون المعاصرون في قيمة المخصص ومساهمته في وضع مصطلحات علمية جديدة . فمنهم من يختار المصطلح الذي يستعمله

---

(34) أحمد عيسى ، معجم ص 46 .
(35) نفس المرجع .
(36) مصطفى الشهابي ، معجم ص 436 .
(37) نفس المرجع ص 391 .
(38) نفس المرجع ص 277 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المخصص ليكون مقابلا للمصطلح العصري الأوروبي ومنهم من يفضل عليه مصطلحا عربيا يختلف عنه كامل الاختلاف . فأحمد عيسى يعتمد المخصص ليترجم إسم النباتة la grande Mauve أو la Mauve sauvage بالدّهماء (39) . والشهابي يترجمها بالخُبّازة البرّية أو الحرَجيّة (40) . فهل يعني هذا أن الدّهماء هي الخبازة ؟ إننا لا نجد جوابا شافيا لا سيما وأن أحمد عيسى لا يصف النباتة المعنية بالأمر خلافا لما فعله الشهابي . إن منهجية صاحب معجم أسماء النبات لا تسلم من النقد بقدر ما يكتفي صاحبها بنقل مصطلح ابن سيده من دون أن يبرر ذلك . ويمكن أن يضاف إلى هذا المنزع اختلاف المعجميين فيما يتعلق بقضيتي الاستنباط والتعريب واختيار الأول أو الثاني . فأحمد عيسى يعرب Sycomorus بسَوْقَم أما الشهابي فإنه يعبر عنها بالجُمَّيْزَى كما سبق ذكره . ولا شك أن هذه المناهج المختلفة تبين أن قضية الاستنباط التي تعتمد التراث القديم قضية عويصة فيها اختلافات كثيرة لا يسمح أن تتخذ حلولا للقضايا اللغوية والعلمية المعاصرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما القضية الرابعة الهامة التي يثيرها الاستنباط فهي تنحصر حسب رأينا في مشكل المترادفات التي قرر مجمع اللغة العربية تجنبها عند وضع مصطلحاته وإن كان لم يعلل أسباب وجود تلك المترادفات اجتماعيا ولغويا . إن تجنب المترادفات أمر قد دعى إليه من قبل وأكثر القدامى في الحكم عليه في ميادين مختلفة مما أدى مثلا حسن بن حمزة الاصبهاني (توفي سنة 970م) إلى أن يقول في كثرة الأسماء التي تطلق على الداهية «إن أسماء الدواهي من الدواهي» (41) إن هذه الملاحظة لا تزال مع وجود الفارق قائمة الذات . فلم يتمكن المعجميون المعاصرون من تجنب المترادفات وقد اعتمدوا الاستنباط

(39) أحمد عيسى ، معجم ص 114 .

(40) مصطفى الشهابي ، معجم ص 417 .

(41) علي الجارم ، الترادف ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة 314/1 .

رجاء التقليل من الألفاظ المترادفة . لكن نلاحظ أن أحمد عيسى لا يكتفي بأن يترجم Cadaba Farinosa بالسَّرح ، المأخوذة من المخصص بل يعبر عنها بالقُرَّة والعَسَل والطُّرَيْح (42) . ذلك ما لا يؤيده الشهابي الذي لا يذكر السَّرح ولا الطّريح وهو يضع كلمة عسل لتكون مقابلا لـ Miel الذي يعبر عنه بكلمتين أخريين وهما الشَّهَدَ والأرْيُ (43) فهو لا يذكر إلا قرّة العين التي اتخذها مقابلا لِـ Cresson de Fontaine أو Nasturtium officinale (44) .

أما أمين المعلوف فإنه يترجم كلمة Agame بأربع مترادفات عربية وهي عَضْرَفُوت وأمّ جُبَيْن المأخوذة من ابن سيدة ، وحُبَيْنَة وحِذْرَوْن . ويعبر عنها الشهابي بعضرفوت وأنماقة اعتمادا على المعلوف (45) الذي يترجم Gypacte بالسّل المأخوذة من ابن سيده لكنه يردفها بكلمات أخرى وهي البُلاَح والبُلاَت والمُكَلِّفَة والفَسْنَة (46) وذلك مما يخالفه فيه الشهابي قليلا إذ يترجم نفس الكلمة بكاسر العظام والمكلّفة (47) . ويجدر بنا أن نلاحظ في هذا الصدد أن هذه المترادفات لم توضع عبثا لأن واضعيها كانوا يرمون إلى ذكرها جميعا استقراء لأسمائها عند مختلف الأشخاص في مختلف البلدان فكان الرواد منهم وخاصة أحمد عيسى يرون من الاعتباطي أن تفضل كلمة على أخرى دون مبرر واضح وإن كان أحمد عيسى كثيرا ما يتهاون بهذه القاعدة . فالقضية قضية اختيار تكون عادة من حق العلماء الذين توفرت لديهم كثير من الإمكانيات التي تساعدهم على تنقية معقولة

(42) أحمد عيسى ، معجم ص 35 .
(43) مصطفى الشهابي ، معجم ص 427 .
(44) نفس المرجع ص 196 .
(45) نفس المرجع ص 17 .
(46) أمين المعلوف ، معجم ص 143 .
(47) مصطفى الشهابي ، معجم ص 323 .

لا تخرق خرقا كبيرا العوائد ولا القواعد العلمية . ولقد استطاع مصطفى الشهابـي أن يوفق في هذا النوع من التنقية (48) . والملاحظ أنه لم يعتمد فيها كثيرا على المخصص باعتبار أنه يرى أن هذا المعجم لا يفي بالحاجة نظرا لتعريفاته الخاطئة التي سبق لنا أن تحدثنا عنها .

أما القضية الخامسة التي تكون عقبة كبرى في الموضوع الذي يهمنا تتعلق باختلاف المعجميين العرب المعاصرين في شأن تصنيف المواليد (Sciences Naturelles) التي أخذت أسماؤها من مخصص ابن سيده وغيره من المعاجم القديمة . فـإننـا نرى أن أمين المعلـوف يطلق كلمة سَلْوَى ج سَلْوَة على la Caille commune (49) التي يعبر عنها الشهابـي بالسُّمَانَى . ويتشعب المشكل عندما يعسر وجود اتفاق منهجي وسط بين معجميين إثنين ممن يجابهون مصطلحات أحد الآثار القديمة مثل مخصص ابن سيده بغية استقراء مصطلحاته واستعمالها في المعاجم العصرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن الحوار بين أهل الاختصاص يبدو عسيرا وكثيرا ما يقود إلى الشك في جدوى طريقة الاستنباط وفي أسس معاييرها العلمية التي تبتغيها لنفسها . أليس من الغريب أن يخصص الشهابـي السّلوى لـ Nephenathés وهي نباتة (50) ويخصصها المعلـوف لـ la Caille commune وهي طائر ؟ وذلك هو الشأن فيما يتعلق بكلمة حُمْحُم أو حِمْحِم المأخوذة من المخصص فهي عند أمين المعلوف تطلق على نوع من الحمام (51) وتفيد عند الشهابـي نوعا من النبات يدعى Bourrache أو Langue de Bœuf (52) :

(48) رشاد الحمزاوي ، تأبين مصطفى الشهابي In memorium, al Amir Mustapha As-Sihabî, Cahires de Tunis T. XVIII n° 69-70 p. 175-179

(49) أمين المعلوف ، معجم ص 198—199 .

(50) مصطفى الشهابـي ، معجم ص 450 .

(51) أمين المعلوف ، معجم ص 86 .

(52) مصطفى الشهابـي ، معجم ص 99 .

ولنا أن نلاحظ في هذا الصدد أن الشهابي الذي يعرف مؤلف أمين المعلوف ويعتمده لا يوافق المعلوف ولا ابن سيده دون أن يؤول اختلافه معهما إلى مقاطعة تامة . فلقد استطاع بفضل مكانته العلمية بمجامع دمشق والقاهرة وبغداد أن يستفيد من أعمال سابقيه وأعمال المجامع المذكورة في معالجتها لمشكل الاستنباط . فانتفع من مساعيها التي مكنته من مجابهة هذه القضية ومن التنبيه إلى إمكانياتها المحدودة .

إن هذه التجربة التي اكتسبها الشهابي بفضل تقدم البحوث اللغوية والعلمية في العالم العربي المعاصر قد مكنته من استثمار مظهر آخر من المخصص يبدو لنا أجدى نفعا من المظاهر السابقة . فهو يتعلق باللغة وخاصة بصرفها الذي جاء ذكره في المجلدات الثالث والرابع والخامس والسادس عشر (53) . ولقد آخذ محمد الطالبي صاحب المخصص على معالجته مسائل صرفية في هذا المعجم المختص حيث يتوسع في عرض آراء الصرفيين المختلفة (54) . والحقيقة أنه لا يسعى في منزعه هذا إلى بسط معارفه الواسعة ولا إلى الحشو لأننا نعتقد أن المخصص لا يكون في حدّ ذاته معجما من معاجم الغريب وإن كان لا يختلف عنها في بعض النواحي . ولذلك فإننا نعتقد أن إدماج المسائل الصرفية في هذا المعجم لا تدل على اضطراب المؤلف بل تعتبر طريقة يدعو فيها ابن سيده المختصين من أهل اللغة والعلوم إلى التنبيه إلى جميع الإمكانيات الصرفية التي تستطيع أن تساعدهم على استعمال الصيغ والأوزان الصرفية لوضع مصطلحات علمية جديدة لم يعبر عنها المخصص نفسه .ولا شك أن هذه النظرة إلى المستقبل لا تستغرب من هذا المعجمي الذي طبق في محكمه نظرية الخليل المعجمية . فهو يعتقد مثل صاحب كتاب العين أن مصطلحات عصره أو ما أسماه المستعمل أو الموجود بالفعل ، لا ينفي احتمال استعمال

(53) محمد الطالبي ، دليل ص 72 .
(54) نفس المرجع ص 36 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جديد في المستقبـل أسمـاه المهمـل أو الموجود بالقـوة والذي يسميه اللغويون المعاصرون لكسيم (Lexemes) (55) . فندرك عندئذ غرض ابن سيده من إدراج مادة الصرف في معجمه . ولقد اعتمدها المعجميون المعاصرون وأدركوا هدفه لأننا نرى الشهابي يأخذ برأي ابن سيده ليقترح على مجمع اللغة العربية بالقاهرة إقرار صيغة فُعِلَ للدلالة على الأمراض التي تصيب النبات (56) ولقد سبق للمجمع أن خصص للأمراض وزنـي فُعَال وفُعَـل . فيمكن لنا أن نقول اعتمادا على ابن سيده

شُقِرَ النبات أي أصابه الشقران	être atteint de rouille
رُسِعَ الزرع أي أصابه الرسع	être atteint d'asphyxie
هُدِلَ اللوز أي أصابه الهدل	être atteint de gui
كُشِتَ الكتان أي أصابه الكشوت	être atteint de Cuscute

ولقد اعتمد الشهابي أيضا ابن سيده ليساعد المجمع على اتخاذ قرار يسمح باشتقاق مُفَعْلَلَة من أسماء الأعيان المزيدة على ثلاثة أحرف وذلك للدلالة على أسماء الأماكن التي تكثر فيها الحيوانات والنباتات . ولقد كان الصرفيون الكلاسيكيون لا يسمحون باشتقاق أسماء الكثرة إلا من الأسماء الثلاثية على صيغة مَفْعَلَة وهكذا استطاعت العربية العصرية التي تحتاج إلى ترجمات كثيرة تدل على أسماء الأماكن التي تكثر فيها الحيوانات والنباتات . أن تتجاوز هذه العقبة اعتمادا على ما أجازه المخصص . فهو يذكر أنه يمكن أن نقول أرض مُثَعْلَبَة ومُعَقْرَبَة أي كثيرة الثعالب والعقارب (57) . ولقد اعتمدتْ

---

(55) André Martinet, Eléments de linguistique générale Paris 1960 p. 117
حيث يطلق المؤلف على هذا المصطلح إسما آخر وهو Monèmes lexicaux أي « الالفاظ التي توجد في معاجم لا يحصرها حصر » .

(56) مصطفى الشهابي ، المصطلحات العلمية ص 119 .

(57) نفس المرجع ص 201 .

هذه الأمثلة الكلاسيكية المستعملة في المخصص أمثلة قياسية لوضع مصطلحات عربية جديدة من ذلك (58)

مُصَنْبَرَة	Puneraie	من الصنوبر
مُزَيْتَنَةٌ	Oliveraie	من الزيتــون
مُصَفْصَفَةٌ	Saulaie	مـن الصفصاف
مُدَجَّجَةٌ	Poulailler	من الدجــاج

وذلك عوضا عن حَرَجَة صنوبر ومَغْرس زيتون وغَيْضَة صفصاف وبَيْت دجاج الخ .

فالإحتجاج برأي ابن سيده قد مكن المجمع أن يجعل من القياس مبدأ ديناميكيا يساعد العربية على مواجهة مشاكل المصطلحات العلمية والفنية . ولا غرابة أن يسبق هذا المعجمي الأندلسي إلى هذا التخريج الصرفي المفيد . فهو يستسقي رأيه هذا من تقاليد منهجية وعلمية قد قال بها أيضا ابن مضا وابن القوطية وابن عصفور الأندلسيون الذين كثيرا ما اعتمدهم المعجميون العصريون وأعضاء المجامع اللغوية العربية كلما دعت الحاجة إلى حجة لغوية المراد منها استعمال الاستنباط استعمالا مفيدا ومجديا ، لأن اعتماد الاستنباط يفرض على الذي يستعمله أن يكون عارفا حق المعرفة باللغتين الناقلة والمنقولة وأن يكون فضلا عن ذلك من المختصين في المادة العلمية التي يدرسها ويعالجها . فلقد مكننا الاستنباط أن نضع مصطلحات عصرية مثل سيارة وذرة وهاتف لتقابل بالتوالي Automobile و Atome و Téléphone . لكن يجدر بنا أن نلاحظ أن كلمتي Téléphone, Automobile تستعملان باطراد مثل مقابلتيهما العربيتين . فيحسن في هذا الصدد أن نشير إلى أن استعمال الاستنباط من دون الاعتماد على معايير علمية دقيقة يؤول بنا دائما إلى الوقوع

---

(58) نفس المرجع ص 202 .

في مغامرات لغوية (59) . ألم يعتبر الاب انستاس الكرملي العراقي والعضو بجميع مجامع اللغة العربية المعاصرة أن Acheter آتية من اشترى وأن Agréer من أغـرى و Aigle من عقّال (60) ؟ ويدعـي بعضهم أن Tabac من الطبّاق وهو في الحقيقة إسم نباتة من نوع Inula وخاصة من نوع Inula Viscosa فضلا على أن التبغ آتيـة من الأسبانيـة Tobaco التي استعارتها من لغة قبيلة هندية بأمريكا تدعى أرواك (61) .

إن هذه النزعة التمجيدية التي توجد في جميع اللغات وفي كـل الثقافات التي تواجه أزمات تاريخية هامة كثيرا ما تؤول إلى بحوث لا طائل من وراءهـا وتأتي بمصطلحات عتيقة لا يقرها الاستعمال من ذلك المصطلحات الكيمياوية التي وضعها المعجمي القاهري الشيخ أحمد الأسكندري الذي لم يكن مختصا في علم الكيمياء . الم يقترح المخصب والمحوّر والمقرم والشذّام لتقابل على التـوالي Nétrogène و Chlore و Iode و Sodium الخ (62) . ولا غرابة ألا تستعمل هذه الألفاظ المستنبطة وغيرها وإن كانت مستمدة من أصول عربية لأن قضية الاستنباط عملية عسيرة تتطلب قبل كل شيء وضع معايير مشتركة بين أهل الاختصاص ترمي أولا وبالذات إلى وصف التراث القديم وتصنيفه وذلك للنظر في قيمته الحقيقية على ضوء التطورات العلميـة ولتحاشي ما من شأنه أن يوسع في شقة الاختلاف بين المعجميين المعاصرين عوضا عن التوفيق بينهم . وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن استعمال طريقة الاستنـباط واستقراء المؤلفات القديمة مثل المخصص يرميان في غالب الأحيان إلى توقيف

(59) عبد الحق فاضل ، مغـامرات لغويـة ، بيروت 1952 . ويدعى هذا المؤلف أن كثيرا من الألفاظ واللغات آتية أو متفرعة عن لغة أم وهي العربية . فهو يتبنى الرأي الذي ساد أو ربا في القرون الوسطى والذي يدعى أن العبرية هي أم لغات الدنيا .

(60) مصطفى الشهابي ، المصطلحات العلمية ص 112 .

(61) نفس المرجع ص 113—114 .

(62) مجلة مجمع اللغة العربية 49/5 وما بعدها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغوي خطير لأن هذه النزعة التي لا تتصور الثقافة الا منغلقة تثير مشاكل زائفة وتتسبب غالبا في مهاترات مضرة . فهي نزعة هامشية كثيرا ما تغشي الأبصار وتحيد بنا عن استعمال الطرق اللغوية المعهودة مثل الارتجال والاشتقاق والنحت والتعريب التي تكون أسس الصرف العربي وتساعد على تطوير العربية تطورا ديناميكيا مثلما نبه إلى ذلك ابن سيده عندما بين لنا في مخصصه امكانياتها العديدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللــــوحـــة الاولى

المصطلحات الموجودة في المخصص والمستعملة في معجم اسماء النبات لأحمد عيسى (*)

المصطلحات العربية	المصطلحات الاعجمية	الصفحة
الرُغل ج أرغال الواحد رُغلة	Atriplex palaestinum	28
قَاقُلَّى — رجل الفروج — فُجيلة — فُجل الجمال	Cacile Maritima	35
السَرْح ، قرة ، عسل ، طريح	Cadaba farinosa	35
البركان	Centaurea scoparia	45
خرز الصخور — **الخرزة** — شجرة النض حزاز	Cetraria Islandica	46
دَهَن	Euphoria mauritanica	79
القصاص — **القصقاص**	Euphoria polycantha	80
جميز — تألق — تين احمق — تين بري — تين الجميز — سيقمور خنس — **السوقم**	Ficus Sycomorus	83
الدهمـــاء	Malva Silvestris	114
صعتر البر — قاتل النحل — ندْغ — كيلدارو — الندغة	Satureia hortensis	163

(*) ان المصطلحات المكتوبة بحروف كبيرة هي المصطلحات التي أخذت من المخصص ولقد رأينا من المفيد الا نذكر في هذه اللوحة كل التفاصيل المتعلقة بكل مصطلح . وقد طبقنا هذه الطريقة على جميع اللوحات .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللــوحــة الثــانيــة

المصطلحات الموجودة في المخصص والمستعملة في معجم الحيوان
لأمـين المعلـوف

الصفحة	المصطلحات الاعجمية	المصطلحـات العربية
7	Agamidae	بنـات حبين ـ **العضرفوط** ـ **ام حبين**
20	Arcidae, archidae	بنـات الخلول (1)
33- 32	Little green bee eater (guepier)	وروار سـوداني ـ **خضيـراء** وخضار ـ **القارية ج قواري**
34	Belonidea	**بـراك**
65	Circaetus gallicus (circaete)	**صـرارة**
73	Cormorant, Phalacocorax (cormoran)	**غـاق** ـ غاقة
75	C. religiosa - sacred shrew (Musraign)	**زبابـة** مقدسة
77	Cuckoo (coucou)	**وقـواق**
79	Cut-Throat-Amadina fasciata	**زغيـم**
82	Darter, Anhinga plotus rufus	زُقّـة
86	Cape dove, Oena capensis	حُمحم ، حمحم ، حُمحمة ومحمحة ويحوم
99-100	Eryx Sand boa or sand snake	دساس ـ نكاز ـ **أعيرج**
112	Marine garfish	خرمان بحري ـ **بـراك**

(1) لقد ذكر المخصص هنا لانـه يمكن من استعمال القياس . فالمؤلف يرى أنـه يمكن ان نقول نبات الخلول قياسا على نبات حبين

الصفحة	المصطلحات الاعجمية	المصطلحات العربية
123	Pallid harrier, circus Macrourus (Bussard)	مرزة بغثاء ــ عقيب
130	hydrobatidae... (hydromètre)	زخارف ج زخرف
132	Ibex, capra ibex (Bouquetin)	وعــل
135	Side striped jackal - canis lateralis (chacal)	ابن آوى مجدد أو ذئب مجدد
143	Lammergeyer, gypaetus barbatus (gypaetre)	السّتل ــ كاسر العظام ــ بُلح ــ بُلت ــ مكلفة ــ فينة
150	Common rabbit, Lepus cuniculus (Lapin domestique)	خرنق ــ أرنب أهلية ــ عكرشة
155	Mabuia quinquetaeniata Lezard)	حُـكْأَة ــ وحكـاة ــ حُـكاءة (عظاءة)
171-172	Nightjar, Caprimulgus (engoulvent)	سبند ــ صوع ــ الضوعة
173	Noddy (Fou)	أبلـــه
180	Tawny owl (Hulotte)	خبـــل
198-199	Quail - Coturnix	سلـــوى
209	Roebuck, Cerous Capreolus (Chevreuil)	يحمور (يأمـور)
227	Isabelline shrike, L. Cristatus Isabellinus (Pie grieche)	الصُّـرَدْ
230	Skimmer, Rhyncos flavirostis (forficule auriculaire) Perce oreille	عُجهـوم ــ أبو مقص
247	Song thrush turdus philomelos (grive draine)	سمنة مطريـة
248	tick (tique)	قَـرادة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصطلحات العربية	المصطلحات الاعجمية	الصفحة
ضب	Uromastix, Dabb-lizzard	255
أفْعَى	Viper - Vipera (Vipère)	257
ذغـرة	Wagtail, Motacilla (Bergerounette)	261
شوّالة (دخلة)	Desert warbler, Sylvia nana	262-263
جمل البحر – كبع	Humpack whale	264
لَــواء	Wryneck, Jynk torquilla (Torcol)	266

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللـوحـة الثـالثـة

المصطلحات الموجودة بالمخصص والمستعملة في معجم الألفاظ الزراعية لمصطفى الشهابي

الصفحة	المصطلحات الاعجمية	المصطلحات العربية
13	Actinomyces	**حارش** مرض الحارش
18- 19	Agnelle	**خروفة**
59	Ascaris (ascaride)	**صفر**
109	Buttage ou chaussage	**كم** ، لف ، حصن
176	Colonie ou ruchée	**ثول** — خشرم
186	Coriandre cultivée	كزبرة ، كسبرة — **تقد** — تقدة — ثقدة
198	Criquet	جراد
227	Domestication	دجون — تألف
232	Eau de vie	**قنديد** ، **باذق**
240	Elytre « Demi »	ظهر
257	Essaim d'abeille	فرق النحل
285	Fourmi jaune ou rousse (lasus flavus)	نملة صفراء أو مغراء ، **سمام** — **سماسم**
285	Forumi moissonneuse (atta Barbata atta structor)	نملة حصادة ، **جفلة** ؛ **جثلة**
285	Forumi rouge (myrmyca rubra)	نملة حمراء ، **سمسمة**
379	Lait caillé	لبن رائب أو مروب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصفحة	المصطلحات الاعجمية	المصطلحات العربية
380	Laitière	لبن ، ملبن ،حلوبة ،غزيرة ، درور، لبنة ، خوارة ، ثرة، **جداء**
556	Regisseur	**وكيل** ، مدير ، جري
557	Rendement	**ريع** ، غلة ، نزل ، نزل
564	Rhy tidome	**قرف** ج قروف

رشاد الحمزاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عالم رياضي اندلسي تونسي

القلصـــــادي

بقلم : محمد السويسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نسبته ـ نشأته وحياته :

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي ، القلصادي (1) ، ولد ببسطة بالاندلس ، وإليها ينسب ، في بداية القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر الميلادي) (2) . فدرس بها وتتلمذ لجلّة شيوخها وعلى رأسهم الفقيه الإمام علي بن موسى اللخمي المعروف بالقرباقي (3) . وتوفي القرباقي ببسطة في الوباء عاشر صفر عام 844 (جويلية 1440) .

---

(1) ضبطه نيل الإبتهاج ، ص 210 ، «القلصادى بالقاف والصاد واللام المفتوحة» ؛ وجعله السخاوى في الضوء اللامع ، ج 5 ص 14 ، القلصادى بلام ساكنة ؛ وجاء اسمه في كشف الظنون ، ط. 1943 ، ج 2 ص 1488 : القلصاوي .

(2) في الاعلام ، ج 5 ص 162 ، يجعل الزركلي مولده سنة 815هـ/1412م بينما يعتبره سركيس في مجمع المطبوعات ص 1519 من مواليد سنة 803هـ/1400م وسنقف في نهاية الترجمة على ما نميل إليه من هذين الرأيين .

(3) يروى لنا نيل الابتهاج ص 207 ما قال في شأنه القلصادى في رحلته : «شيخنا وبركتنا الفقيه الامام الصدر العلم الخطيب الخطير الكبير الشهير أوحد الزمان وفريد البيان العديم الاقران المفتي المؤلف المدرس المصنف الذاكر لأحوال العرب وأنسابها حافظا للغاتها وآدابها له في العربية أوفر نصيب وفي التفسير والحديث والاصول والطب سهم مصيب حتى ارتقى لدرجة عالية ورتبة سامية فشهد له بالفضل في الغيبة والعيان وأقر له صديقه وحاسده للدليل

ثم انتقل القلصادي إلى غرناطة فأخذ بها عن جملة شيوخها ، ولاسيما الاستاذ أبا إسحاق إبراهيم بن فتوح (4) والإمام أبا عبد الله السرقسطي (5) . قال القلصادي في رحلته : «لازمت بغرناطة شيخ علماء الاندلس في وقته سيدي أبا إسحاق بن فتوح ، كانت له مشاركة في العلوم مع تحقيقها خصّه الله تعالى بفكر نقاد وذهن منقاد فانتفع به الجهابذة والنقاد ، تخرّج على يديه أكثر طلبة الاندلس الاعيان ... ولم يكن في وقت إدراكي له يعتني بالعربية ولا بالتأليف وإنما كتب على الاسطر لاب ونظم رجز الصفيحة الشكازية في أول عمره ... وقرأت عليه مقالات أبي رضوان في المنطق والشمسية ورجز ابن سينا في الطب ومختصر ابن رشد في الاصول وجمع الجوامع وكراسة الجزولي والتسهيل لابن مالك وشامل بهرام ومعظم خليل وقرأت كتاب سيبويه فختمناه سنة 58 (1454) ثم الكشاف وختمناه سنة 66 (1461) ... وتوفي ليلة الثلاثاء سادس ذي الحجة عام 1462/867 » .

واما محمد بن محمد بن محمد الانصاري السرقسطي الغرناطي فحضر القلصادي عليه كتبا متعدّدة منها صحيح مسلم والموطّأ والتهذيب والجلاب والتلقين والرسالة وابن الحاجب الفرعي وخليل وبعض مقدمات ابن رشد والمدوّنة ... وتوفي يوم الثلاثاء سابع رمضان عام 1460/865 (6) .

والبرهان قرأت عليه التلقين والايضاح للفاسي وابن الحاجب الفرعي وتنقيح القرافي وفصيح ثعلب وألفية إبن مالك وأدب الكاتب لابن قتيبة وتأليفه المسمى بالتبصرة الكافية في علمي العروض والقافية على الخزرجية وحضرت عليه كثيرا من التفسير » .

– من أهم الكتب المذكورة : «تنقيح الفصول في الاصول» لشهاب الدين أحمد القرافي المالكي المتوفي سنة 1285/684 ، وشرحه بتونس حلولو شيخ القلصادي .

– والخزرجية ، أرجوزة شهيرة في العروض ، لضياء الدين بن محمد الخزرجي المولود ببيغة ، من ضواحي قرطبة (Priego de Cordoba) سنة 1194/590 ، والمتوفى بالاسكندرية سنة 1228–29/626 .

(4) نيل الابتهاج ، ص 53 ؛ توفي ابن فتوح عام 1462/867 .

(5) نيل الابتهاج ، ص 314 ؛ قال القلصادي في رحلته : «كان من أحفظ الناس لمذهب مالك رحمه الله تعالى ولا كلفة عليه في كتب الفتيا ؛ كان فصيحا في كتبه وجيز العبارة له مشاركة في علوم الشريعة ...» توفي يوم الثلاثاء سابع رمضان عام 865 ؛ ومولده ليلة الثلاثاء 25 ربيع الاخير عام 784 .

(6) نيل الابتهاج ص 314 .

ومن غرناطة رحل القلصادي إلى الشرق ، قصد الحج ، متوقفا في طريقة بأهم المدن بالمغرب والمشرق ، فلقي الكثير من علماء عصره وانتفع بعلمهم ؛ وسجّل في رحلته أسماء هؤلاء العلماء والعديد من التدقيقات التي تمكننا من ضبط تاريخ هذه الرحلة .

فمن شيوخه بتلمسان :

– أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني (7) ؛ فقرأ عليه بعض مختصر المدونة لابن أبي زيد ومختصر خليل وحكم ابن عطاء الله مع شرح ابن عبّاد والحوفي بطريق الصحيح والمكسور والمناسخات من شرح والده ومختصره في أصول الدين وغيرها ... وتوفي في ذي القعدة عام 1450/854 .

– ومحمد بن أحمد بن محمد ... ابن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني الصوفي (8) فقرأ عليه بعض كتابه في الفرائض وأواخر الايضاح للفارسي وشيئا من شرح التسهيل ، وحضر عليه إعراب القرآن وصحيح البخاري والشاطبيتين وفرعي ابن الحاجب والتلقين وتسهيل ابن مالك والألفية والكافية وابن الصلاح في علم الحديث ومنهاج الغزالي والرسالة . وتوفي ابن مرزوق يوم الخميس رابع عشر شعبان عام 1439/842 .

– ومحمد بن أحمد بن زاغو (9) المتوفى عام 1445/849 وأخذ عنه علم الحساب والفرائض ، وهو يذكر بعض طرقه الطريفة في شرحه لتلخيص ابن البنّاء وفي مصنفه لباب تقريب الموارث .

– ومحمد بن أحمد النجار ؛ يقول عنه القلصادي : « كانت له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية ، قرأت عليه بعضا من مختصر الشيخ خليل ومستصفى

(7) نيل الابتهاج ص 223 ؛ يقول في شأنه : « شيخنا وبركتنا الفقيه الامام المعمر ملحق الاصاغر بالأكابر العديم النظير والاقران ، مرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان ... » .

(8) نيل الابتهاج ص 293 .

(9) نيل ص 308 .

الغزالي وأصلي ابن الحاجب ، وحضرت عليه تفسير القرآن ومنهاج البيضاوي وجمل الخونجي وقواعد القرافي وتنقيحه وبعض الألفية والمرادي والجمل وشيئا من المدونة ، وتوفي عام 1442/846» .

— ومحمد أبو عبد الله الشريف المشهور بحمّو ، فقرأ عليه تلخيص المفتاح وبعض التسهيل لابن مالك ومفتاح الاصول للشريف التلمساني وحضر عليه الألفية وبعض المرادي عليها وجمل الزجاجي وتنقيح القرافي ؛ وتوفي الشريف حمّو عام 1443/847 .

وممّن لقي القلصادي بتونس :

— الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم ابن عقاب الجذامي (10) ، تلميذ ابن عرفة ، قاضي الجماعة بتونس ، فحضر عليه في التفسير من سورة الحشر إلى آخر البروج ، وبعض مسلم والموطأ وكتبا شتى من التهذيب والرسالة والجلاب وفرعي ابن الحاجب ، وسمع عليه رواية جميع البخاري وشفاء عياض ، وقرأ عليه أبعاضا من العمدة والتيسير والشاطبيتين والحوفية والجعدية في الميراث ومختصر ابن عرفة الفقهي والمنطقي والطوالع وجمل الخونجي والحصار وناوله الجميع وأجازه إياه وحضر عليه مستصفى الغزالي والمنهاج والاربعين ومختصر الحوفية والبردة والشقراطسية وأحكام الآمدي وتنقيح القرافي وذخيرته ونهاية الاصول وأبكار الأفكار وبعض نوادر ابن زيد وقواعد عياض وجمع الجوامع وروض الأنهار . ويذكر القلصادي في رحلته أنه بلغه وهو بمكة بعد مفارقته أنه توفي يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى عام 1447/851 .

(10) نيل الابتهاج ص 308 . قال السخاوي : «كان إماما فقيها جليلا رحالة» وقال القلصادي : « أوحد زمانه العديم النظراء في عصره وأوانه » .

– والشيخ الفقيه الإمام النحوي اللغوي أحمد المنستيري (11) وقرأ عليه التسهيل وجمل الخونجي والألفية وأصلي ابن الحاجب وتنقيح القرافي والمعالم الفقهيـة .

– وأحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني (12) ، قاضي الجماعة بتونس ؛ حضر أبو الحسن عليه تفسير القرآن وجميع صحيح البخاري وبعض مسلم والرسالة والجلاب والتهذيب وابن الحاجب وأجازه جميعها ؛ وتوفي القلشانـي عام 1458/863 .

– ومحمد الواصلي التونسي (13) ، يقول عنه القلصادي : كان فقيها إماما صدرا علما حضرت عنده في القراءة عام 1450/854 .

– وأحمد بن عبد الرحمان بن موسى بن عبد الحق اليزليتني المشهور بحلولو (14) القروي ، تلميذ الحافظ البرزلي والإمام عمر القلشاني والإمام قاسم العقبانـي والفقيه أبي القاسم بن ناجي ، وكان عام 1470/875 بقيـد الحياة لا يقصر سنه عن الثمانين .

ولقـي القلصادي بوهران :

– علي بن قاسم الشهير بالحدّاد (15) ؛ قال القلصادي في فهرسته : «هو الشيخ الفقيه الصدر اجتمعت به بوهران» .

– وإبراهيم بن محمد بن علي التّازي (16) ؛ قال القلصادي : « أقمت بوهران مع الشيخ المبارك سيدي إبراهيم التازي خليفة الهواري في وقته» .

(11) نيل الابتهاج ص 79 .
(12) نيل ص 78 .
(13) نيل ص 315 .
(14) نيل ص 83 .
(15) نيل الابتهاج ص 208 .
(16) نيل ص 54 ؛ توفي التازي عام 1462/866 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وممن لقي القلصادي بالمشرق نذكر :

– زين الدين الطاهر بن محمد بن علي النويري (17) وقد ولي التدريس بالبرقوقية والاقراء بالجامع الطولو ني ، قرأ عليه القلصادي بعض الجلاب ومختصر خليل وشرحه للبساطي وشرح الشاطبية للفاسي ؛ وتوفي الإمام زين الدين في ربيع الأول عام 1452/856 .

– ومحمد بن محمد بن علي أبا القاسم النويري (18) نسبة إلى قرية من قرى صعيد مصر الادنى ، وتوفي بمكة رابع جمادى الاولى عام 1453/857 .

– وابن حجر العسقلاني المتوفي عام 1448/852 .

– وأبا الفتح المراغي .

فإذا ما تصفحنا التواريخ التي رويناها عن القلصادي نفسه يمكننا أن نحدّد رحلته إلى البقاع المقدسة ، رحلة الذهاب على الأقلّ ، فتكون هذه الرحلة في فترة تتراوح بين عام 1439/842 ، وهو العام الذي توفي فيه ابن مرزوق وعام 1447/851 وقد نعي له فيه بمكة شيخه التونسي الإمام أبن عقاب.

وعاد القلصادي بعد أداء فريضة الحج إلى غرناطة فوطنها وكان على قدم في الاجتهاد ومواظبة الاقراء والتدريس كما تفرغ للتصنيف فكان « آخر من له التآليف الكثيرة من أيمة الاندلس » .

وقرأ عليه جمّ غفير من الناس وأخذ عنه شيوخ أجلّة منهم :

– أبو عبد الله الملالي ، فقال في شأن شيخه : « كان عالما فاضلا صالحا شريف الاخلاق سالم الصدر ، له تآليف أكثرها في الحساب والفرائض كشرحه العجيب على تلخيص ابن البناء وشرحه العجيب على الحوفي » اه .

– وأبو عبد الله السنوسي ، فأجازه جميع ما يرويه .

---

(17) نيل ص 130 .
(18) نيل ص 311 .

ARCHIVE http://Archive.Sakhrit.com

– وأحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الذي هاجر غرناطة إلى تلمسان بعد عام 1485/890 ، ثم إلى المشرق . فقال : « شيخنا الإمام العالم الصالح خاتمة الحساب والفرضيين » .

ثم حلّ بوطن القلصادي ما حلّ من الكوارث الجسام ومن هجومات مملكتي أرغون وقشتالة المتحدتين قصد القضاء على آخر معقل إسلامي بالاندلس فسعى القلصادي جهده ، حسب رواية المؤرخين ، في تخليص بلاده من الشرك ، ولكنني لا أظن أنه ساهم مساهمة فعلية في المعارك حول غرناطة ، إذ كان قد بلغ من العمر عتيا فلم يكن ليمكنه أن يخوض ساحات الوغى ، بل قد يكون سعيه اقتصر على تحريك الهمم وتحريض المقاتلين ومراسلة من لقي من الاعلام بالمغرب والمشرق لطلب الاغاثة والنجدة ؛ ولعلّه شعر في النهاية بألم الخيبة وبمرارة الهزيمة ، فرحل فيمن رحل إلى المغرب ثم إفريقية حيث أدركته المنية بباجة منتصف ذي الحجة عام 891/ ديسمبر 1486 أي ست سنوات قبيل سقوط غرناطة بين أيدي النصارى .

وإذا ما نظرنا في تاريخ وفاته الذي دققه وأثبته تلميذه البلوي يوما وشهرا وعاما يكون في الامكان أن نعود إلى تاريخ ولادته كي نبدي رأينا فيه (19) ؛ فلا يمكننا أن نجاري سركيس في كون القلصادي ولد سنة 1400/803 ، إذ تكون وفاته عن سن بلغت ستا وثمانين سنة ، ولا نتصوره في هذه السن مبديا ما رواه المؤرخون من كبير النشاط للدفاع عن وطنه ولا متحملا لمشاقّ الترحال وأتعاب السفر حتى بلاد إفريقية . ولا يسعنا الا ان نرجّح ما ذهب إليه صاحب الاعلام من كون أبي الحسن من مواليد سنة 1412/815 .

---

(19) انظر ص 1 من هذا المقال ؛ التعليق 2 .

أهمّ إنتاجه الشخصي

علمنا ممّا سبق أن تكوين القلصادي الثقافي كان متنوعا شاملا ، فأخذ أبو الحسن من كل علم بنصيب وافر وبلغ في كثير من الميادين رتبة التحقيق ودرجة الاجتهاد ، وكان لمصنفاته المتنوعة أيضا عظيم الاثر في المشرق والمغرب فأخذت عنه ودرست وشرحت ؛ ولئن كان في العديد من المسائل راويا جامعا فلقد امتاز بحسن الترتيب والتبويب وبالعناية بالتفريع والتمثيل . ولكن أهم ميدان كان فيه المجلّي فاشتهر به ونقل فيه عنه ميدان الرياضيات والفرائض .

ومن أطرف ما يؤثر عنه ميله إلى تبسيط المسائل ، فنجد في مصنفاته أوّل أثر في الحساب والجبر لاختصار العمليات والمعادلات وأوّل استعمال للرموز والعلامات الدّالة على العلاقات والمجاهيل فهو اقتصر على حرف الشين وأحيانا على نقط اعجامه الثلاث للدلالة على الشيء وهو العدد المجهول كما استعمل حرف الميم للمال وهو مربّع المجهول وحرف الكاف للمكعّب وحرف اللام للدلالة على المعادلة وحرف الجيم للجذر (20) .

ومن الناحية العلمية المحضة إنه يمكننا أن نذكّر بعلاقة طريفة وصلها القلصادي لتدقيق التقريب في الجذور (21) ؛ كما نذكر له تصنيفه واستقراءه

(20) من الملاحظ أن القلصادي كان يعتبر على جذر عدد ، اثنين مثلا ، بوضع حرف الجيم عليه $\overset{\text{جـ}}{2}$ ؛ فجاء ديكارت ووضع عين العلامة على يسار العدد $\sqrt{}2$ ؛ والرمز المستعمل اليوم بالبلاد الغربية هو $\sqrt{2}$

(21) نجد في شرح القلصادي على تلخيص ابن البناء طريقة لتدقيق التقريب في الجذر التربيعي ؛ فبعد أن يذكر العلاقة اليونانية جذر (أ² + ب) = أ + $\frac{\text{ب}}{\text{2أ}}$ هو يحلل علاقة إبن البناء جذر (أ² + ب) = أ + $\frac{\text{ب}}{\text{2أ} + 1}$ ويعرض علاقته الخاصة وحالات استعمالها :

لأنواع الكسور وتفريعه لأساليب الحساب فيها (22) وحفظ لنا القلصادي طريقة نقلها عن شيخه ابن العباس أحمد ابن زاغ في تطبيق الكسور على حلّ مشاكل الفرائض وقسمة المواريث ولنا من ذلك نماذج في كتابه « المستوفي لمسائل الحوفي » وعلى الخصوص في مصنفه « لباب تقريب الموارث ومنتهى العقول البواحث » ومن ذلك مسألة العول بالنسبة لأصحاب الفروض .

مثاله : توفيت امرأة عن زوج وشقيقتين فما هو نصيب كل من ميراثها ؟ للزوج النصف ولكل من الشقيقتين الثلث ، فيكون مجموع الانصباء $\frac{1}{2} + \frac{2}{3} = \frac{7}{6}$ وهو كسر يفوق الواحد الكامل .

فكان حلّ ابن زاغ أن طبق القاعدة الثلاثية متعرضا لما يسمّى اليوم بمشكل تغيير الوحدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذا كان ب ≤ أ ← جذر (أ2 + ب) = أ + $\frac{\text{ب}}{\text{2أ}}$

وإذا كان ب > أ ← جذر (أ2 + ب) = أ + $\frac{\text{ب} + 1}{2(\text{أ} + 1)}$

أمثلة جذر 19 = جذر (16 + 3) = 4 + $\frac{3}{8}$ = 4،375

جذر 20 = جذر (16 + 4) = 4 + $\frac{4}{8}$ = 4،5 .

جذر 21 = جذر (16 + 5) = 4 + $\frac{6}{10}$ = 4،6 .

ويحدد القلصادى القيمة القصوى للخطأ بكونها تساوي $\frac{\text{ب}^2}{4\text{أ}^2}$

(22) انظر مقالنا « الكسر » في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية .

فإذا كانت الوحدة الجديدة $\frac{7}{6}$ كاد مناب الزوج $\frac{1}{2} : \frac{7}{6} =$ *

$\frac{1}{2} \times \frac{6}{7} = \frac{3}{7}$ ولكل أخت $\frac{1}{3} : \frac{7}{6} = \frac{1}{3} \times \frac{6}{7} = \frac{2}{7}$

فيكون المجموع $\frac{3}{7} + \frac{2}{7} + \frac{2}{7} = 1$

مثال ثان : توفيت امرأة عن زوج وأم وشقيقتين وأخوين للأم . فما هو مناب كل من الورثة ؟

الحل : للزوج $\frac{1}{2}$

ولكل شقيقة $\frac{1}{3}$

وللأم $\frac{1}{6}$

وللأخ للأم $\frac{1}{6}$

أي ان المجموع

$\frac{1}{2} + \frac{2}{3} + \frac{1}{6} + \frac{2}{6} = \frac{5}{3}$

فيكون مناب الزوج

$\frac{1}{2} \times \frac{3}{5} = \frac{3}{10}$

ومناب الام

$\frac{1}{6} \times \frac{3}{5} = \frac{1}{10}$

ومناب الشقيقتين

$2 \times \frac{1}{3} \times \frac{3}{5} = \frac{4}{10}$

ومناب الأخوين للأم

$2 \times \frac{1}{6} \times \frac{3}{5} = \frac{2}{10}$

المجموع $= \frac{10}{10} = 1$

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتعرض القلصادي إلى مسألة التعدية في الميراث أي نقل مناب المستحق إلى آخر بواسطة الارث . ويكون من المفيد ان نبسط حلّ القلصادي وخاصة كيفية ترتيبه له والشكل الذي أخرجه فيه

مثال مستمد من كتاب القلصادي « لباب تقريب الموارث » .

هلك هالك عن ابن وبنت فتوفي الابن تاركا أخته وابن عم ؛ فما هو مناب كل وارث ؟

تنظيم الحلّ :

الابن	$\frac{2}{3}$	توفي	
البنت	$\frac{1}{3}$	الأخت	$\frac{1}{2} \times \frac{2}{3} + \frac{1}{3} = \frac{2}{3}$
		ابن العمّ	$\frac{1}{2} \times \frac{2}{3} = \frac{1}{3}$

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصنّفاته

ونقف على التنوع والشمول الذين ذكرناهما إذا ما استعرضنا قائمة مصنّفات القلصادي ، وقد طبع البعض منها ، وبقي الكثير مخطوطا فسجلته الفهارس المشهورة ، أو أغفل البعض الآخر فنشير نحن إلى ما لدينا منه .

أ) مصنّفات الحساب والجبر

1) بغية المهتدي (كذا) وغنية المنتهي ، في الفرائض :
انظر بركلمان ج 2 ص 343 ؛ مخطوط مدريد 340 ؛
وطبع بفاس بمعية كشف الاسرار والياسمينية
ونلاحظ أنه يجب إصلاح العنوان : « بغية المبتدي الخ ... » وهذا أقوم ، ولنا تأييد عليه حسبما نجد في نسخة من مجموعتنا الشخصية .

2) غنية ذوي الألباب في شرح كشف الجلباب ؛ خ تونس 14554 .

3) كشف الاسرار (الاستار) عن علم (حروف) الغبار (23) ؛ خ باريس 2473 ، 5350 ؛ تونس 168ر ، 402ر ؛ عاصمة الجزائر 17، 399 ؛ 9، 1448 ؛ الرباط 455 ، 456 ؛ بريل 295 ، 532 ؛ بيروت239 ؛ خ . شخصي ؛ تونس 3292 ، 2934 ، 4775 طبع بفاس عام 1897/1315 وبالقاهرة 1891/1309 .

4) كشف الجلباب عن علم الحساب ؛ خ باريس 13، 2463 ؛ القاهرة 5، 178 ؛ الاسكوريـال 4، 2853 ؛ المتحف البريطانـي 418 ؛ 12، 903 ؛ تونس 2054 ؛ وبك : المجلة الاسيوية المجموعة 5، ج1 ، 1854 .

5) انكشاف الجلباب عن فنون الحساب : المتحف البريطاني خ 418 2، 903 ؛ محمد بن شنب وليفي بروفنسال : مجلة حلب 1922 .

6) قانون الحساب وغنية ذوي الألباب ؛ خ برلين 5995 ؛ الاسكوريال 8534 ؛ وللمؤلف نفسه شرح عليه عنوانه انكشاف الجلباب المذكور آنفا وهو يشبه بعض الشبه المخطوط عدد 935 من الاسكوريال الذي شرحه سعيد ابن محمد العقبانـي الغرناطي ، والد القاسم ، شيخ القلصادي بتلمسان .

7) رسالة في معانـي الكسر والبسط ؛ خ تونس 2039 .

8) رسالة في معرفة استخراج المركّب والبسيط ؛ خ تونس 2043 .

9) شرح الارجوزة الياسمينية ؛ بركلمان ج 1 ص 621 ؛ خ. شخصي؛ ط. فاس سنة 1892 .

10) شرح ذوات الاسماء ؛ خ. الرباط456 ؛ خ. شخصي ضمن مجموع يشتمل على : أ) شرح الياسمينية

ب) لباب تقريب الموارث ومنتهى العقول البواحث

ج) ذوات الاسمـــاء

د) بغية المبتدي وغنية المنتهي .

---

(23) سنعرض تحليل هذا الكتاب في نهاية البحث .

11) شرح تلخيص ابن البناء ؛ سوتر 331 ؛ خ. باريس 2464 .

12) تبصرة المبتدي بالقلم الهندي ؛ رمبور 1 ، 3، 409 ؛ ويذكره كشف الظنون بعنوان : « التبصرة في حساب الغبار » ؛ خ تونس 2043 (نسخة مؤرخة بتاريخ 1020) .

13) التبصرة الواضحة في مسائل الاعداد اللائحة ؛ خ تونس 2049 .

ب) مصنّفات في الفرائض :

1) الضروري في علم المواريث ، ذكره صاحب الاعلام ، ج 5 ص 163 .

2) الكليات في الفرائض مع شرحه ، ذكره نيل الابتهاج ، ص 208 .

3) لباب تقريب الموارث ومنتهى العقول البواحث ، خ شخصي ضمن مجموع .

4) المستوفي لمسائل الحوفي ، ذكره نيل الابتهاج ص 208 .

5) شرح الفرائض لابن الحاجب والعتابية والتلقين ، والابواب الخاصة بالفرائض من مختصر خليل ، انظر نيل الابتهاج ص 208 .

6) شرح الفرائض لصالح بن الشريف ولابن الشّاط .

7) شرح مختصر العقباني ، ولم يتمه .

8) شرحان على التلمسانية ؛ ذكره سوتر ج1 ، 666 .

9) تقريب الموارث وتنبيه البواعث ، ذكره القلصادي نفسه في مقدمة بغية المبتدي .

ج) مصنفات في الفقه المالكي والحديث ومدح الرسول :

يذكر جميعها نيل الابتهاج ، ص 208 :

1) أشرف المسالك إلى مذهب مالك ؛ ويذكره الاعلام ج 5 ص 163 .

2) هداية الانام في شرح قواعد الاسلام .

3) شرح البـــردة .

4) شرح حكم ابن عطـــاء الله .

5) شرح الانوار السنية في الحديث .

6) شرح لبّ الازهار ؛ يذكره بركلمان ج 2 ص 343 .

7) شرح مختصر خليـل .

8) شرح رجز ابن بري .

9) شرح رجز أبي عمرو بن منظور في أسماء الرسول .

10) شرح رجز القرطبي .

11) شرح الرسالـة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د) مصنفات في النحـو :

1) غنية النحـــاة مع شرحــه .

2) شرح الجروميـــة .

3) شرح الجمـل للزجاجي .

4) شرح ملحة الاعراب ؛ ذكره بركلمان ج 1 ص 328 ؛ خ الاسكوريال 1، 2121 .

ه) مصنفات في العروض والقوافي :

1) مختصر في العروض .

2) شرح الخزرجيـة .

و) متفرقــات :

1) شرح ايساغوجــي .
2) شرح أرجوزة ابن فتوح في النجوم .
3) رحلة ، جعلها شبه الفهرسة فذكر فيها شيوخه واختصاصاتهم وطريقتهم ومذاهبهـم .

تحليل «كشف الاستار عن علم (حروف) الغبار»

هو ملخص وجيز في الحساب والجبر في متناول المبتدئين ، سهل العبارة ، يسير الادراك ، متنوع الأمثلة والتمارين ، يرمـي القلصادي من وراء هـذه التمارين إلى توضيح القواعد وتصوير العمليات تصويرا جليا . وهو كتاب يتوخّى فيه مؤلفه الاسلوب التدريسي التعليمـي ، فيكرّر الملحوظات ويعيد العمل الواحد مرّات معتقدا أن في الإعادة إفادة ، ويخاطب قارئه مباشرة مستعملا طريقة الحوار كـي يساهم القارىء نفسه في حلّ المشاكل وفي إجراء العمليات المنعوتة ، كأن يقول : « إذا كان لك كذا و كذا فالعمل كذا ويحصل لك كـذا » .

ويتضمن هذا الملخص 36 ورقة ويشتمل على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وقسّم فيه كل باب إلى ثمانية فصول :

الباب الأول : في العدد الصحيح : الفصل الأول : الجمع .
الفصل الثانـي : الطرح .
الفصل الثالث : الضرب .
الفصل الرابع : القسمة .
الفصل الخامس : تحليل الاعداد إلى أيمتهـا .
الفصل السادس : التسمية والنسبـة .
الفصل السابـع : التقسيم التناسبي .
الفصل الثامـن : ميزان العمليات .

الباب الثانـي : في الكسور ويستهله بمقدمة يعرف فيها الكسر ومسمياته ، ثم تليه العمليات بإدخال عمليتي الحطّ والصرف .

الباب الثالث : في الجذور واستخراجها وتدقيق التقريب فيها والعمليات التابعة لها والكميات المتصلة والمنفصلة .

الباب الرابع : في استخراج المجهول وفي الاعداد المتناسبة والكفات والجبر والمقابلة وحلّ المعادلات .

الخاتمـة : في المتواليات العددية والمتواليات الهندسية وتجميعهما .

وكان لهذا الكتيب الصغير الحجم كبير الاثر ، فكان طيلة قرون المرجع الاول لأهل الحساب والجبر ، وصنفت عليه شروح عديدة نذكر منها :

ــ هداية البادي لكتاب القلصادي ، تأليف سالم بن سالم القيرواني المصري ، خ تونس 168ر و64ر .

ــ إغاثة ذوي الاستبصار على كشف الاستار ، تأليف محمود بن سعيد مقديش الصفاقسي ، مؤرخ بعام 1225هـ/1809 ؛ خ تونس 402ر .

ــ شرح كشف الاستار ، وهو شرح ضخم كبير الفائدة ، ألفه الشيخ طفيّش ، نزيل غرداية من مزاب الجزائر (1236ــ1332/1820ــ1914) . أتم هذا الشرح في 21 رمضان 1283/1866 خ. بمكتبة عائلتي طفيّش والثميني الجزائريتيــن .

محمد السويسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عـود الى أبي اسحـاق ابراهيم بن القـاسم الـرقيق او ابن الـرقيق

بقلم : محمد الطالبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبى الاستاذ الشاذلي بويحيى إلاّ أن يعرّج — وهو يعرّف بتحقيق السيد أحمد الجندي لقطب السرور — على العمود الذي خصّصته لابن الرقيق أو الرقيق في دائرة المعارف الإسلامية ، كي يكشف عمّا به من « هنات وأخطاء ... لعل مرجعها المعاجلة (1) » .

والهنة الاولى هي أنّ الفصل أتى «قبل أوانه» في مادّة ابن الرقيق عوض الرقيق . ويجزم الاستاذ الناقد أنّه « إنّما وردت تسمية الكاتب بابن الرقيق ورودا قليلا شاذا لا يعمل به » . كلّ ذلك طبعا يقطع به قطعا دون إبداء برهان ولا حجّة ولا إحالة على مرجع . وذلك شأنه في كامل الصفحة التي خصّنا بها . ونحن نعتبر أنّ هذه الطريقة ليست من المناهج العلمية في شيء . والغريب أنّ من هذا أسلوبه ، أسلوب التقرير بلا بيّنة ، يستبيح لنفسه النيل من أمانة غيره العلمية ، بل يعمد إلى تحريف آرائه حتّى يتسنّى له فضح الهنات التي قد أضافها له مسبّقا .

---

(1) الشاذلي بويحيى : حول نشر كتاب « قطب السرور » أو من سوء حظ إبراهيم الرقيق ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثامن ، سنة 1971 ، ص 9 .

فمن ذلك أنّنا بدأنا ، في دائرة المعارف الإسلامية ، الفصل المنتقَد هكذا : « ابن الرقيق أو الرقيق ... » وهذا يفيد بصفة واضحة أنّنا نعلم جيّد العلم أنّ الرجل قد عرف « بابن الرقيق » كما عرف « بالرقيق » . فلم ينتبه الناقد إلى هذا ، ولم ينبّه إليه خاصّة بكلّ أمانة ؟ ! فإن لم يقع في تلك «المعاجلة» التي يزري بها على غيره ، فما السبب في عدم تنبّهه وتنبيهه ؟ أيكون التحامل ؟!

ومهما يكن من أمر الدواعي التي أملت لهجة المقال ومحتواه ، فإنّه يجدر بنا أن نزيل الأوهام مدعمين أقوالنا بالإحالة البيّنة على المصادر والمراجع . فنذكر أوّلا أنّ بروكلمان (Brockelmann) ، من بين الباحثين المعاصرين ، قد توقّف وتردّد في شأن تسمية صاحب قطب السرور . فدعاه مرّة أولى « أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الكاتب القيرواني الرقيق النديم (2) » ، ودعاه ثانية « أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الكاتب القيرواني ابن الرقيق النديم (3) » . وكذلك خير الدين الزركلي فهو يذكر اسمه مرفوقا بهذه العبارة : « المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق (4) » . وفي هذا دلالة على أنّ الباحثين المعاصرين الجديين لم يروا في تسمية صاحبنا بابن الرقيق أمرا « شاذا لا يعمل به » .

وهم على صواب تامّ في ذلك . فإن نُعِتَ كاتبنا بالرقيق (5) ، فكثيرا ما نعت أيضا بابن الرقيق ، ممّا يدعو إلى التوقّف . فهذا ابن خلدون مثلا ،

---

(2) GAL., GI, 161

(3) GAL., SI, 252

(4) الأعلام ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1969 ، ج 1 ص 51 .

(5) ياقوت ، معجم الأدباء ، مصر 1355/1936 ، ج 1 ، ص 216 ؛ التيجاني ، رحلة ، تونس 1958 ، 6 ، 7 ، 11 ، 32 ، 83 ، 241 ، 320 ؛ ابن الابار ، الحلة ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة 1964 ، ج 1 ص 173 ، 176 ، 180 ، 265 ، ج 2 ص 326 ، 331 ، 393 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، تحقيق هلمت ريتر (Hellmut Ritter) ، فيسبادن (Wiesbaden) 1962 ، ج 1 ص 49 .

ولم يكن غـَمـْرًا ، لم يدعه قط في مقدّمته (6) ولا في سائر كتاب العبر (7) إلاّ بابن الرقيق . وكذلك القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن حَمَّادُ يورد أنّه « الكاتب المعروف بابن الرقيق (8) » . وكذلك النويري فانّه يدعوه ، عندما يروي عنه ، بابن الرقيق (9) . أمّا المقّري فإنّه يدعوه تارة بالرقيق (10) ، وطورا بابن الرقيق (11) . فهذا ليس بالنزر القليل الذي «لا يعمل به» ولا يعوّل عليه . وكلّ ما يستنتج من هذا هو أنّ أمر الرجل قد اشتبه على القدماء ، ولم يثبت في شأن اسمه ما يمكّن الباحث المعاصر أن يبتّ في القضيّة ويحسم الخلاف . فأيّ حرج إذن ، وأيّ هنة ، أن يُثْبَتَ اسمه في موسوعة علمية في مادّة « ابن » ؟ وما معنى قبل الأوان ؟ فإنّ كلّ ما في الأمر هو أن يُثْبَتَ أيضا اسمه في مادّة « الرقيق » ، وأن يحال عندها على مادّة « ابن » تسهيلا للبحث . فهذا النوع من الإحالات شائع في التصانيف العلمية ، وهو ما فعل إحسان عبّاس مثلا في فهرس نفح الطيب حيث يحيل على مادّة « ابن الرقيق » ، ويشير هناك إلى الأجزاء والصفحات (12) . وعلى كلّ فإنّ هذه المسألة ثانوية . وسنرى أنّ ناقدنا أطنب باستمرار من غير وجه ولا أساس علمي في الجزئيات والشكليات ، ووقع في أخطاء ذريعة في أمّهات المسائل والجوهريات .

فقد يعتقد مثلا مطالع الصفحة التي يكشف فيها الاستاذ الشاذلي بويحيى عن هنات وأخطاء بحثنا أنّنا من السذاجة حتّى نكون قطعنا أنّه ورد ذكر الرقيق في كتاب العمدة لابن رشيق . وكتاب العمدة بين أيدي الناس لا يخفى

---

(6) بيروت 1956 ، ص 4 .

(7) بيروت 1956–1959 ، ج 4 ص 94 ، 436 ، ج 6 ص 237، 302، 324، ج 7 ص 26 ، 88، 120 ، 156 ، 319 .

(3) أخبار ملوك بني عبيد ، الجزائر 1346/1927 ، ص 48 .

(9) النهاية ، تحقيق وترجمة قسبار رميرو (Gaspar Remiro) للأبواب الخاصة بالمغرب والأندلس ، غرناطة 1917–1919 ، ج 2 ص 66 .

(10) نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، بيروت 1968، ج 1 ص 44، ج 3 ص 132 ، 134 .

(11) نفح الطيب ، ج 1 ص 193 ، 576 ، ج 2 ص 385 ، 489 ، ج 3 ص 33 ، 148 .

(12) انظر نفح الطيب ج 8 ص 5 و58 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أحد . ولو ورد به ذكر الرقيق لأحلنا على الجزء والصفحة منه كما فعلنا بالنسبة للمصادر الأخرى . وكلّ ما كتبنا ، اعتمادا على ياقوت (13) ، هو أنّ الرقيق « كان كاتبا للزيريين منذ ما يقرب من ربع قرن عندما كان ابن رشيق يصنّف العمدة » . ولم نفصّل القول في هذا الصدد لأنّ العمود الذي سبكنا فيه بحثنا مبنيّ على الإيجاز . وبيان ذلك هو أنّ كتاب العمدة ، من بين كلّ الكتب التي صنّفها ابن رشيق ، الكتابُ الوحيد الذي يمكن أن نضبط بعض الضبط تاريخ تأليفه . ذلك أنّه صُنِّف بدون شكّ قبل سنة 425 ، وهي السنة التي توفي فيها « رجل الخطب ، وفارس الكتب ، أبو الحسن على بن أبي الرجال الكاتب (14) » ، الذي أهدى إليه ابن رشيق تأليفه . فآثرنا أن نتّخذ من هذا التأليف ، لنسبيّة ضبط تاريخ تصنيفه ، نقطة استدلال نستدلّ بها على الزمن الذي عاش فيه الرقيق ، والوقت الذي عرفه فيه ابن رشيق عند اتّصاله برجال بلاط بني زيري . ويتحدّث ابن رشيق في العمدة عن كتّاب وشعراء عصره فيقول : « **وهذا باب قد احتذاه الكتاب فى زماننا هذا إلا القليل ، وقوم من شعراء وقتنا أنا ذاكرهم فى كتاب غير هذا إن شاء الله** (15) » . وفي هذا دلالة على أنّ ابن رشيق ، عندما كان يصنّف العمدة ، كان أيضا يجمع مادّة كتاب آخر – لم يبيّن اسمه – خاصّ بأهل عصره . فلاشكّ إذن أنّ هذا الكتاب الثاني المشار إليه قد صُنّف بعد العمدة بزمن غير طويل . فإن ورد ذكر الرقيق في هذا الكتاب الثاني – كما هو طبيعي ومُتَوَقّع – فلا حرج أن يُتَّخَذَ من الكتاب الأوّل ، أي من العمدة ، نقطة استدلال تاريخية لتقارب الزمن بين التأليفين . أمّا هذا التأليف الثاني الذي يعلن عليه ابن رشيق في العمدة – من دون أن يسمّيه – فالأرجح أنّه أنموذج الزمان في شعراء القيروان . ذلك أنّ الكتاب الآخر الذي خصّ

---

(13) معجم الأدباء ، ج 1 ص 216 .

(14) العمدة ج 1 ص 15 . ط مصر 1955/1374 .

(15) العمدة ج 1 ص 84 . ط مصر 1955/1374 .

به صاحبنا شعراء إفريقية ، وهو الروضة الموشيّة في شعراء المهديّة ، يعسر أن يكون قد ألّف قبل نزوح المعزّ إلى هذه المدينة بعد خراب القيروان على أيدي الهلاليين ، أي قبل سنة 1057/449 . ثم إنّ الرقيق ، الذي يدعى بالكاتب القيرواني نسبة للقيروان ، لا شكّ أنّه ذكر في التأليف الذي يعنى بشعراء هذه المدينة ، وإن كان هذا كلّه لا يُستنتج إلاّ بالاستقراء ، إذ لم يصلنا لا الأنموذج ولا الروضة الموشيّة ، ولم يذكر لنا ياقوت ، الذي ينقل لنا قول ابن رشيق ، عن أيّ تأليف من عديد تآليفه نقل .

ومن هنات وأخطاء بحثنا أيضا أنّنا نكون قد عرّفنا كتاب قطب السرور بأنّه « من نوع [كتب] الخمريات على ما هي شائعة عليه بالمشرق » . وهذا تحريف واضح لقولنا الذي « عرّبه » الاستاذ الشاذلي بويحيى على النحو الذي يرضيه ويرضي مقاصده التي يقصد إليها . وصواب قولنا أننا لم نزد أن لاحظنا « أنّنا ندين أيضا لنشاط [الرقيق] الأدبي بمصنّف بلغنا ، هو قطب السرور المخصّص للغرض الخمري كما ازدهر في الشرق (16) » . فواضح أنّنا لم نقل إنّ قطب السرور من نوع الكتب الشائعة في الشرق والمصنّفة في الخمريات ، إنّما نبرز بكلّ وضوح أنّ « الغرض الخمري كما ازدهر – هذا الغرض – في الشرق » هو مادّة قطب السرور والمحور الذي يدور حوله محتواه . وهذا أمر لا مراء فيه ولا جدال ، وفي وسع كلّ قارىء ، إن لم يستطع الرجوع إلى المخطوطات ، أن يتبيّن ذلك في النصّ الذي نشره أحمد الجودي على علاّته (17) . فإنّك لا تجد بقطب السرور إلاّ النزر القليل جدّا في وصف مجالس الخمر واللهو بإفريقية ، وما أوحت به الكُمَيْت من شعر ونثر في بلاطات أمرائها ، ومحافل سراة القوم وأدبائهم وظرفائهم

(16) وهذا النص الفرنسي لقولنا : « Nous devons également à son activité de littérateur un ouvrage qui nous est parvenu, son Kutb al-Surùr... consacré au genre bachique tel qu'il fleurit en Orient ».

(17) سلسلة مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1969 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بها . والكتاب مفعم بالوصف والطرائف والنوادر والملح والأشعار التي أوحت بها الخمر وكان ركحها الشرق . فقطب السرور يمثّل الحياة الشرقية ، وهو لا يعرّج على حياة إفريقية إلاّ في صُفَيحات قليلة تكاد تعدّ على أصابع اليد . أن نبرز كلّ هذا بكلّ دقّة ووضوح ، وفي أوجز عبارة كما يقتضيه مقام المقال ، ضرورة منهجية جوهرية . ذلك أنّ الباحث قد ينتظر عن جدارة ، من مؤلّف ألّفه إفريقي بإفريقية ، ما لا يفي به هذا المؤلف عند الاطّلاع . فوجب إذن أن ننبّهه حتّى نوفّر عليه إضاعة الوقت بلا طائل . وإذا ما تبيّن هكذا أنّ تحريف رأينا جليّ ، وإذا ما كنّا لا نتّهم فهم الاستاذ الشاذلي بويحيى للفرنسية ولا قدرته على التعريب ، فما نتّهم إذن ؟ !

ويعيب علينا ناقدنا شكّنا « في نسبة القطعة المنشورة بعنوان تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق » — ومن المعلوم أنّها قطعة لم يرد عليها اسم مؤلّفها — ويرى أنّ ذلك الشكّ « لا يبرّره مبرّر » إذ قد وردت بهذه القطعة نصوص نجدها « في كتب المؤرّخين الذين يصرّحون أنّهم اقتبسوها من كتاب الرقيق » . ولم ينتبه إلى أنّ المؤلّف المجهول الذي ألّف القطعة قد نقل كما نقل غيره عن الرقيق ، فاتّفق وإيّاهم في كثير ممّا نقلوا . وهكذا يتبنّى ناقدنا استنتاجات الأستاذ المنجي الكعبي الذي حقّق القطعة المشار إليها ونسبها اعتباطا للرقيق ، ولم يتفطّن إلى أنّ تلك الاستنتاجات واهية لا تقنع في شيء ، وأنّنا لو اتّخذنا من مجرّد مقياس توارد الفقرات المتماثلة في كتب التاريخ مقياسا فردا حاسما لنبتّ بتّا فصلا في نسبة هذه الكتب ، لأمكننا أن ننسب أيّ كتاب شئنا مجهول المؤلّف لأيّ مؤلف أردنا ، إذا ما راعينا التخوم التاريخية ، إذ أنّ الموسوعات القديمة في التاريخ مبنيّة كلّها على النقل ، ينقل بعضها عن بعض نقلا كثيرا ما يكون حرفيا . وهكذا يساند الاستاذ الشاذلي بويحيى زميله السيد المنجي الكعبي ويشاطره في خطئه المنهجي البعيد الأثر ، بينما نراه يسرف في تتبّع هفواته الشكلية ، من أخطاء مطبعية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وغيرها ناتجة عن المعاجلة ، في تحقيقه للقطعة التي نسبها خطأ للرقيق (18) . ونحن لا نطيل في هذا الصدد ، إذ قد فصّلنا القول تفصيلا في خطإ نسبة هذه القطعة للرقيق ، وذلك في فصل خاصّ بالقضيّة نحيل عليه من يهمّه الأمر (19) .

وكذلك الشأن بالنسبة لميول الرقيق المذهبيّة ، فإنّنا نحيل أيضا عمّا كتبناه في هذا الصدد (20) ، مع التنبيه إلى أنّ ميله إلى الشيعة — ونعني بذلك عطفه في كتاباته على مخدوميه من بني زيري ومذهبهم — لاجدال ولا شكّ فيه ، بقطع النظر عمّا كان يكنّه الرجل في أعماق قلبه من عقائد فيما بينه وبين ربّه ، ممّا لا يهمّ الباحث بحال من الأحوال ، إذْ يكفيه أن يعلم — كي يحسن استخدام روايات مؤرّخ الزيريين — أنّها مشربة بلون شيعي .

فلم يبق من الهنات والأخطاء التي حُمِّلْنا وزرها إلاّ أنّنا أخطأنا في ضبط رقم مخطوط قطب السرور بالمكتبة الوطنيّة بباريس . فهذه كبوة قلم نأسف لها حقا ، وهي لا تحتاج فيما نعتقد إلى أكثر من تعليق في هامش ، لا سيما وأنّنا أحلنا على مصنّف بروكلمان الذي يعطي الرقم الصحيح ويجنّب الباحث مَغَبَّةَ سهونـــا .

محمد الطالبي

(18) تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي ، نقد : الشاذلي بويحيى ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الخامس ، سنة 1968 ، ص 125—131 .

(19) M. Talbi, *un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident Musulman*, 62-196/682-812, *Cahiers de Tunisie*, 1q 71, *XIX*, 1q-52

(20) M. Talbi, *A propos d'Ibn al-Raqiq*, *Arabica*, XIX, Paris 1q 72, 86-96

زيادة التعريف بالرقيق

أو

رد الشاذلي بويحيى

على مقال محمد الطالبي الذي عنوانه

« عود الى أبي اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق أو ابن الرقيق »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد جهد الأستاذ محمد الطالبي جهدا في مقاله هذا المنشور أعلاه في الوصول إلى غايات ثلاث ؛ أولاها أنه لم تأت في الفصل الذي نشره بدائرة المعارف الإسلاميّة والذي تعرّضنا إليه بالنقد إلا « كبوة » واحدة – على حدّ تعبيره – وذلك حين أخطأ في ضبط رقم مخطوط « قطب السرور » للرقيق المحفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس . والغاية الثانية ان كلّ ما ادّعيناه على هذا الفصل صادر عن تحامل منّا على محرّره . والغاية الثالثة هي وصفنا بالعجز والجهل في عبارات يعلم الناس انها لم تكن يوما أداة إقناع في عرف أصحاب الجدل وسنّة رجال النقد ومناهج أهل العلم الصحيح .

نحن ننزّه هذه المجلّة عن الرّد على التنقيص بالتنقيص بل وخلافا لما تراءى للأستاذ م. الطالبي ولما يدّعيه فإننا تلطفنا فسمّينا عيوب فصله بالهنات ولم نر بدّا من تسمية أخطائه بالأخطاء .

على اننا سنعرض هاهنا إلى النقط التي يحاجّنا فيها نقطة نقطة حتى نبيّن ان نقدنا إيّاها كان لا بدّ منه وانه نقد موضوعيّ وأنّ اتهاماته إيّانا لا أساس لها .

النقطة الأولى تسميته الرقيق بابن الرقيق . ففي احتجاجه علينا هنا تثور ثائرته فيتّهمنا بعدم « إبداء برهان ولا حجّة ولا إحالة على مرجع » ويعتبر « ان هذه الطريقة ليست من المناهج العلميّة في شيء » وان هذا الأسلوب « أسلوب التقرير بلا بيّنة » ثم يستدرج من هذا إلى عبارات الثلب التي نعرض عن إعادتها ورعا وهي منشورة في مقالته أعلاه . فنجيب مبدئيّا انّ التعريف بفصل جاء في عمود واحد من دائرة المعارف لا يتطلّب الاّ تنبيه قرّائها إلى ما فيه من غلط أو صواب يُذكر حتى يحتاطوا من غلطه ويطمئنّوا إلى صوابه ثم لهم إن شاؤوا بعد ذلك ان يرجعوا إلى المصادر — المذكورة في ذلك الفصل أو في نقده إن خلا منها الفصل — فيتبيّنوا الحقيقة من بين ما ورد في الفصل وما جاء في النقد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حُجَجُ الأستاذ محمد الطالبي في هذه النقطة تنحصر في كثرة ورود تسمية الكاتب بابن الرقيق كما كثرت تسميته بالرقيق . ويذكر ممّن سمّاه بابن الرقيق من القدماء والمحدثين عددا من المؤلّفين نستطيع أن نُضيف إليه — إن شاء — قائمة طويلة . وأوّل من يستشهد به بروكلمان Brockelmann وخير الدين الزركلي فيذكر أنهما لم يقطعا بين التسميتين . ولئن كان هذان المرجعان ممّا يستعمله كل باحث فإننا نذكّر الأستاذ محمد الطالبي بما يتعلّمه كل طالب مبتدىء في كلّ جامعة من أن بروكلمان وإن كان مصدرا أساسيّا لا ينكر في البحث العلمي فإنّ ظروف جمعه كتابه الشهير وتعويله غالبا على طلبته ومساعديه في جمع مادّته جعلت هذا الكتاب لا يخلو من أخطاء يحرص الباحث دائما ألاّ يغترّ بها . ونذكّر الاستاذ أيضا أن بروكلمان وإن كان أهمّ مصدر للبحث في علوم العربيّة الا أنّ به نقصا بيّنا في ميدان من ميادين العربية هو المغرب العربيّ وخاصّة إفريقية — أي تونس — وهو ما يعنينا

بالضبط هاهنا . فإذا ما علم الأستاذ محمد الطالبي هذا كان عليه الا ّ يبدأ قائمة حججه بكتاب بروكلمان فكأنه أراد بذلك فتحها بحجة دامغة هي شهادة بروكلمان . فليعلم إذن ان شهادة بروكلمان هنا ليست حاسمة ولا مقنعة . أما استشهاده في المرتبة الثانية بكتاب « الاعلام » للزركلي – وإن كان ذلك أيضا لذكر ورود التسميتين في هذا الكتاب – فمن الغريب ان باحثا جامعيا يركن إلى هذه الطريقة ويطمئن ّ إلى مثل هذا المرجع لحسم نزاع في مسألة علمية . بل هو يزيد فيقول بعد ذكر هذين الكتابين : « وفي هذا دلالة على ان الباحثين المعاصرين الجديين لم يروا في تسمية صاحبنا بابن الرقيق أمرا شاذا لا يعمل به » .

نحن نترك له مسؤولية استعمال عبارة « الباحثين المعاصرين الجد ّيين » في هذا المقام .

والحق ان الاستاذ محمد الطالبي لم يقتصر على هذين المرجعين بل ذكر بعدهما تدعيما لرأيه مصادر أخرى عديدة منها ما جاءت فيه تسمية الكاتب بالرقيق وأخرى تسميه ابن الرقيق بينما ترد في غيرها التسميتان . ويختم بقوله : « هذا ليس بالنزر القليل الذي لا يعمل به ولا يعو ّل عليه . وكل ّ ما يستنتج من هذا هو أن أمر الرجل قد اشتبه على القدماء ولم يثبت في شأن اسمه ما يمك ّن الباحث المعاصر ان يبت ّ في القضية ويحسم الخلاف » . .

وفي هذا القول خاتمة غريبة واستنتاج أغرب إذ يعد ّ الأستاذ محمد الطالبي مجر ّد تراكم المراجع حج ّة وهو الذي يصرح بقوة في هذا المقال ذاته أن ّ المؤلفين العرب القدماء ينقل الواحد منهم على الاخر فهو يعلم إذن أن ّ تكر ّر الخبر الواحد أو العبارة الواحدة في كتب عديدة ليس دائما دليلا على صح ّة ذلك الخبر وثبوت تلك العبارة أو على أقل ّ تقدير ليس ذلك التكر ّر تواترا يفيد ما يفيده التواتر . هو يصر ّح بذلك وينب ّه إليه غيره كقاعدة إلا أنه ينسى أو يتناسى التنب ّه إليه حتى يعمد إلى ما لا بد ّ منه عند أهل البحث الصحيح وهو

ما يسمّى بنقد المصادر والمراجع . ولو تنبّه إلى ذلك وهو أبسط مناهج البحث الأوّليّة لنظر في هذه المراجع وفطن إلى ان التي تسمّـي « كاتبنا بالرقيق » هي أشدّ المراجع التي ذكرها متانـة وأقربها إلى الصحّة وأجدرهـا بالثقة لأنها هي أقدم المصادر . فإن لم ينتبه إلى ذلك فالأمر خطير من حيث المنهجيّة التي يعيب غيره باسمها وإن كان تنبّه إلى ذلك وأبى ان يستخلص منه النتيجة الحتميّة فالأمر أخطر لأنه يرجع إلى فقد عمله تلك الأمانة العلمية التي يدّعي أنّنا قصدنا إلى النيل منها عنده . لذا قلنا ان الأمر الثاني – وهو عدم الاستنتاج الحتمي ممّا قد يكون تنبّه إليه – أخطر من عدم التنبّه . ولا يبعد ان يكون الأستاذ محمد الطالبي قد تنبّه فسكت على ما تنبّه إليه ودليلنا على ذلك أنه ذكر المصادر التي تثبت نظريّته في غضون نصّ مقالته بينما رمى بالمصادر التي تفنّد هذه النظريّة وتثبت نظريّتنا رمى بها في التعليق . وسنرى فيما بعد دليلا آخر على هذا .

والآن حان ان نذكر حجّتنا على ان الكاتب اسمه الرقيق لا ابن الرقيق : ذلك ان أقدم ترجمة وصلتنا للرقيق هي ترجمة ياقوت له في كتابه معجم الأدباء (1) . وأوّل جملة يبدأ بها ياقوت ترجمته هي قوله : « إبراهيم ابن القاسم الكاتب **يعرف بالرقيق** القيرواني **والرقيق لقب له** » . فلم يبق بعد هذا مجال للشك ولا للتردّد . ذلك ان ياقوت أكثر تثبّتا من غيره وهو أقدم من غيره فلم يأخذ عن غيره وإنما نقل مباشرة من كتاب « الأنموذج » لابن رشيق معاصر الرقيق وزميلـه في ديوان المعزّ بن باديس أو خلفه فيه . وابن رشيق هو المترجم الأوّل للرّقيق ولعلّه الأوحد في ما وصلنا من مصادر . والذي يزيد شهادة ياقوت متانة انه ينقل عن نسخة من كتاب « الأنموذج » بخطّ مؤلّفه ابن رشيق . فقد صرّح بذلك غير ما مرّة إذ يقول في « معجم

(1) ياقوت : معجم الأدباء . ط. القاهرة 1936 ج 1 ص 216 وهي الطبعة التي استعملها الأستاذ م. الطالبي في فصله المنقود من دائرة المعارف وعليها يحيل في مراجعه آخر ذلك الفصل .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البلدان » في حديثه عن قرية رُصفة الإفريقيّة : «**كذا ضبطه من خطّ حسن ابن رشيق في الأنموذج** » (2) ويقول في هذا الكتاب ذاته في حديثه عن قرية صَدَف بإفريقية أيضا : « قال الحسن بن رشيق القيرواني **ومن خط يده نقلته** » (3) . وهذه الدقّة في التعبير وهذا التحرّي عند ياقوت ممّا يدعّم ما ذكرناه آنفا من أنّ ما يسمى بنقد المصادر لابدّ أن يتجلّى عنه تفضيل ياقوت على غيره إذا دعت الحاجة إلى الاختيار بين عديد المصادر المختلفة . « ومعجم الأدباء » من المراجع التي اعتمدها الاستاذ محمد الطالبي في فصله. فأين التثبّت إذن ؟ وأين المنهجيّة في عمله ؟ وهل يجدر بباحث يشارك في تحرير فصول دائرة المعارف ان يهمل مرجعا كهذا وحجّة كهذه ويعتمد على الزركلي وبروكلمان ؟ وبما ان « معجم الأدباء » من المراجع التي اعتمدها الأستاذ محمد الطالبي في فصله لم نر فائدة – عندما نقدنا فصله هذا – في تذكيره أن الحجّة والبرهان القاطع على أن الكاتب اسمه الرقيق لا ابن الرقيق يوجدان في أحد مراجعه فنظهر عند ذلك في مظهر من يرميه بالعجز عن استغلال مراجعه أو بطمس ما تفيده هذه المراجع . أبعد هذا يتّهمنا بعدم « إبداء برهان » ؟ بينما البرهان بين يديه

لقد أثبتنا حينئذ بهذا كلّه ان ما جاء في فصل الأستاذ محمد الطالبي من تسمية مؤلف « قطب السرور » بابن الرقيق غالط وأن تصويبنا له صحيح . فكان عليه ان يقتنع بذلك وألا يرى في نقدنا الا مساهمة منا في الجهود الرامية إلى الوقوف على الحقيقة العلميّة أو الاقتراب منها . وكان عليه الا يرى في ذلك « نيلا من أمانته العلميّة » وألاّ يتّخذ هكذا أوهامه ذريعة للطعن والثلب لمجرّد إرادة الطعن والثلب . ذلك أنه لا ريب عندنا في أنّ الأستاذ محمد الطالبي عندما قرأ نقدنا لفصله المذكور اقتنع بأننا على صواب عندما أصلحنا

(2) معجم البلدان . ط. القاهرة 1906 ج 4 ص 259 .
(3) معجم البلدان ج 5 ص 345 .

غلطه في تسمية الكاتب . نعم . اقتنع بذلك وانتفع به فجاء عنوان مقالته المنشورة أعلاه هكذا : « عود إلى أبي اسحاق إبراهيم بن القاسم **الرقيق أو ابن الرقيق** » بينما الفصل الذي نشره بدائرة المعارف والذي تعرّضنا إليه بالنقد جاء في مادّة « ابن » هكذا : « **ابن الرقيق أو الرقيق** أيضا » . ثم هو في مقالته المنشورة أعلاه كلّما ذكر هذا الكاتب فإنّه لا يسمّيه إلا الرقيق لا ابن الرقيق . فسمّاه تسع مرّات الرقيق ولم يسمّه مرّة واحدة ابن الرقيق . فهذا أقوى دليل على اقتناعه . فلِمَ هذه الحملة إذن ؟ فهلاّ وافق على الأمر أو سكت ؟ وهل في ذلك حرج ؟ فمن ذا الذي اقتحم ميدان البحث العلمي فسلمت قدمه من الزلـــل ؟

أمّا النقطة الثانية من محاجته لما جاء في نقدنا فهي ملاحظتنا « أن كلام ابن رشيق المعتمد في تحديد مدّة اشتغال الرقيق بالكتابة لأمراء بني زيري جاء في كتاب الأنموذج لا في كتاب العمدة » . فيعترف الأستاذ محمد الطالبي في مقالته المنشورة أعلاه ان العبارة وردت في كتاب « الأنموذج » حقا لا في كتاب « العمدة » وانها لم تكن لترد إلا في كتاب « الأنموذج » إلا أنه أخذ يبيّن في عناد غريب أنه إن ذكر كتاب « العمدة » لا كتاب « الأنموذج » فكأنه ذكر « الانموذج » لا « العمدة » والأمر واحد إذ أن ابن رشيق عندما ألّف « العمدة » كان يجمع مادّة « الأنموذج » والغرض يحصل إذن سواء حدّدنا المدّة المذكورة بهذا الكتاب أو بذاك « لتقارب الزمن بين التاليفين » على حدّ تعبير الأستاذ محمد الطالبي . قد يكون ذلك . لكن لماذا هذه الطريقة الملتوية ؟ أليس من المنطق والتعبير السليم البديهي الحتميّ إن كان الأستاذ محمد الطالبي يعلم ان العبارة المنقولة عن ابن رشيق وردت في « الأنموذج » ان يقول : « عندما كان ابن رشيق يصنّف الأنموذج » عوض أن يقول « عندما كان ابن رشيق يصنف العمدة » ؟ وله أن يزيد — إن شاء زيادة

الضبط – إشارة وجيزة إلى أن ذلك كان قبل سنة 426 (4) . وإن خشي الإطالة من هذه الزيادة فلا حرج في إلغائها كما ألغاها فعلا في فصله وهو يذكر كتاب « العمدة » . وليس قوله : « ولم نفصّل القول في هذا الصدد لأن العمود الذي سبكنا فيه بحثنا مبنـي على الإيجاز » بحجّة مقبولة إذ الأمر ينحصر في وضع كلمة « الأنموذج » عوض كلمة « العمدة » فقط . فواضح من هذا كلّه ان الأستاذ محمد الطالبي عندما كتب فصله كان يعتقد ان العبارة وردت في كتاب « العمدة » ولما قرأ ملاحظتنا انتبه إلى غلطه الا أنه أبى الا العناد فأراد أن يقنعنا أنه إذا ما كتب « [زمن تصنيف] العمدة » فهو يعني « [زمن تصنيف] الأنموذج » . وهذا مردود في عرف منطق البحث العلمي الذي يفرض تسمية الأشياء بأسمائها .

ثم وأخيرا فإنّ أقوى دليل على اقتناعه بغلطه بعد قراءة نقدنا أنّه كتب في فصل نشره بالفرنسيّة في مجلة Arabica عدد 1972 ص 88 وهو يذكر تلك العبارة المنقولة عن ابن رشيق في تحديد زمن اشتغال الرقيق بالكتابة لبني زيري : « ... عندما كان ابن رشيق يصنّف أنموذجه » . فنتساءل مرّة أخرى : أيّ حرج في الاعتراف بالغلط أو السهو وهو مغفور لكلّ باحث قد لا يعير كبير أهمّيّة لبعض الجزئيّات كهذه – وهي من

(4) هكذا نصلح سنة وفاة الوزير ابن أبي الرجال وهي – حسب المتعارف الان – سنة 426 لا 425 كما كتب ذلك الأستاذ م. الطالبي عن سهو أو عن سبق قلم فيما يبدو .
لكننا نشير بهذا الصدد إلى غلط آخر في مقالة الأستاذ م. الطالبي المنشورة أعلاه . فقد كتب : « فآثرنا ان نتخذ من هذا التأليف لنسبية [؟] ضبط تاريخ تصنيفه نقطة استدلال نستدل بها على الزمن الذي عاش فيه الرقيق والوقت الذي عرفه فيه ابن رشيق عند اتصاله برجال بلاط بني زيري » . وهو يعني حسب مفهوم هذه العبارة الغامضة ان ابن رشيق اتصل «برجال بلاط بني زيري» حوالي سنة 425 . والصحيح ان ابن رشيق اتصل بابن أبي الرجال مربي المعز ووزيره سنة 410 . وفي هذه السنة أيضا دخل في زمرة شعراء المعز (انظر فصلنا « ابن رشيق » في دائرة المعارف الإسلامية ج 3 ص 927 من الطبعة الثانية ومعجم الأدباء ج 8 ص 112 حيث ينقل ياقوت هذا الكلام لابن رشيق في الأنموذج : « صاحب هذا الكتاب هو حسن بن رشيق ... وقدم الحضرة [القيروان] سنة 406 وامتدح سيدنا خلد الله دولته – قال المؤلف يعني المعز بن باديس بن المنصور – سنة عشر [أي 410] بقصيدة أولها ...» .
فهذا أيضا من بين الهنات التي جاءت في مقالة الأستاذ م. الطالبي وفصله في دائرة المعارف .

الجزئيّات ؟ أما الذي لا يغفر بوجه من الوجوه فهو الجحود المتمثّل في الانتفاع بملاحظة ناقد واستغلالها في نصّ والثورة على تلك الملاحظة وإرادة دحضها وشكوى الظلم وتهجّم صاحبها ورميه بالنوايا السيّئة في نصّ آخر .

ولا يسع القارىء الا ان يلاحظ هذا الموقف الغريب والتصرّف الملتوي في النقطتين الأولى والثانية من حجاج الأستاذ محمد الطالبي وهما أوّلا : الثورة على دعوتنا إلى تسمية الرقيق بالرقيق لا بابن الرقيق بينما صار فعلا لا يسمّيه الا الرقيق كما رأينا . وثانيا : الثورة على أن دعونا إلى استعمال عبارة « زمن تصنيف الأنموذج » عوض « زمن تصنيف العمدة » بينما صار فعلا يستعمل العبارة الاولى لا الثانية في كتاباته . فالقارىء يشهد . اما نحن فلا يسعنا الا التعجّب ممّن هذا تصرّفه والعزم على الإعراض عن الردّ على كلّ ما قد يكتبه من قبيل هذا البحث في كثرة تحامله وبعده عن الموضوعيّة والمنطق وإن لم يكن بدّ من الردّ في هذه المرّة توضيحا للأمور وتبريرا لعزمنا هذا الذي عزمناه هنا . فلنواصل إذن هذا الردّ وإن عن مضاضة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النقطة الثالثة في حجاج الأستاذ محمد الطالبي هي أننا حرّفنا قوله في التعريف بقطب السرور حيث كتب بالفرنسيّة ما يترجمه هو بقوله : « ... قطب السرور المخصّص للغرض الخمريّ كما ازدهر بالشرق » وما أشرنا إليه نحن بقولنا : « ... من نوع [كتب] الخمريّات على ما هي شائعة عليه بالمشرق » . فنقول إننا لم نقصد إلى ترجمة عبارته الفرنسيّة ولا يعنينا ذلك ولكن أردنا ان نبيّن ونحن نكتب بالعربيّة غلط ما تدلّ عليه تلك العبارة من فكرة صاحبها وقد بقي ذلك الغلط في ردّ الأستاذ محمد الطالبي في حجاجه هذا إذ أن كتاب « قطب السرور » ليس كتابا « مخصّصا للغرض الخمري كما ازدهر في الشرق » حسب عبارة الاستاذ محمد الطالبي النهائية — بالعربيّة — كما كتبها في مقالته المنشورة أعلاه . وان ما زاده من التأكيد في هذه المقالة من « أن الغرض الخمريّ كما ازدهر — هذا الغرض — في

الشرق هو مادّة قطب السرور والمحور الذي يدور حوله محتواه » هو كلام مبهم في ذاته ولا يعطي الصورة الحقيقية لقطب السرور . والغريب أنه يواصل فيقول تأييدا لقوله هذا : « وهذا أمر لامراء فيه ولا جدال وفي وسع كلّ قارىء إن لم يستطع الرجوع إلى المخطوطات ان يتبيّن ذلك في النصّ الذي نشره أحمد الجندي على علاّته » بينما يعلم أن الفصل الذي نشرناه بالعدد الثامن من مجلة حوليّات الجامعة التونسيّة والذي جاء فيه نقدنا لما كتبه في دائرة المعارف إنما خصّصناه بالذات للتعريف بطبعة أحمد الجندي لكتاب « قطب السرور » وأننا بيّنّا في ذلك الفصل أن ما نشره أحمد الجندي لا يعطي لقارئه صورة حقيقيّة من كتاب « قطب السرور » كما ألّفه الرقيق وقلنا « إنه تشويه لقطب السرور ومسخ بل لا نتردّد في أن نقول إنه ليس قطب السرور كما ألّفه الرقيق » (5) وقلنا : « إننا لم نر بدّا من الإشارة إلى هذه العيوب [عيوب الكتاب الذي طبعه أحمد الجندي بعنوان قطب السرور] التي زعمنا أنها تمسخ كتاب الرقيق مسخا وتفرض على كلّ قارىء أو باحث نزيه ان لا يعتبر هذا المطبوع صورة للكتاب الذي وضعه إبراهيم الرقيق بعنوان قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور » (6) . وانتهى بنا بيان تلك العيوب إلى القول : « فبهذا يتبيّن الباحث أن النسخة المعتمدة لطبع هذا الكتاب ليست كاملة بل هي لا تعطي من كتاب الرقيق صورة صحيحة » . فالأستاذ محمد الطالبي قرأ هذا الفصل بلا شكّ إذ هو يردّ على بعض ما جاء فيه . قرأ وعلم حينئذ أن طبعة أحمد الجندي وقع الخدش فيها أو الشك في كونها صورة صحيحة لكتاب « قطب السرور » . هو حرّ في أن يقبل هذا الرأي — رأينا — أو أن لا يقبله (7) . غير أنه إذا ما لم يقبله فهويتحمّل مسؤوليّة

(5) حوليات الجامعة التونسية عدد 8 ص 10 .

(6) المصدر السابق ص 10—11 .

(7) بيد أنه في الواقع قبله إذ يقول في ما ذكرنا له أعلاه عن هذا الكتاب : « ... النص الذى نشره أحمد الجندي على علاته » .

ما كتب في مقالته هذه عن « قطب السرور » بالاعتماد على طبعة وقع تحذيره منها . وأخطر من هذا أنه يحتجّ بهذه الطبعة ويُشهد القرّاء على صحّة قوله بالاعتماد على هذه الطبعة دون أن يشير إلى النقد الذي وجّهناه إليها ولو لردّه أو لمجرّد التصريح بأنه لا يعتبر له قيمة . والأمانة العلميّة بل المنهجيّة البسيطة تفرض عليه أن يذكر ذلك النقد حتى ينبّه القرّاء الذين دعاهم إلى قراءة طبعة أحمد الجندي لقطب السرور ليشهدوا له – ينبّههم إلى أن هذه الطبعة وقع الشكّ في كونها تعطي صورة حقيقية لكتاب الرقيق الحامل لهذا العنوان .

ولا شكّ أن الأستاذ محمد الطالبي كتبَ ما كتب عن « قطب السرور » وهو لم يطالع شيئا منه إذ ظاهر من كلامه في ردّه أنه لم يطّلع على أيّ مخطوط لهذا الكتاب وإلا لذكر ذلك في حجاجه وأحال على مخطوط أو اثنين أو أكثر لإثبات ما ادّعاه من وصف الكتاب . ثم إنه يوم حرّر فصله المنشور بدائرة المعارف والذي نقدنا وصفه لكتاب « قطب السرور » فيه لم يكن قد قرأ الكتاب الذي نشره أحمد الجندي لظهور هذا الكتاب بعد تاريخ تحرير فصل دائرة المعارف لا محالة (8) . وإنما اعتمد في وصفه هذا ما جاء في بعض الكتب ككتاب بروكلمان مثلا من تعريف بقطب السرور مما لا يقتنع به الباحث ولا يستغنى به عن الرجوع إلى الكتاب . فالغريب في هذا كلّه ان الأستاذ محمد الطالبي يحاجّ في ما لا يعلم علم المعايَنة وأغرب منه أنه يستشهد على وصفه هذا بكتاب طبع بعد تحرير هذا الوصف وفي ذلك دليل واضح على العناد والحجاج لمجرّد الحجاج .

لقد سبق ان وصفنا هذا الكتاب (9) اعتمادا على الجزء الأول منه وهو لم يزل مخطوطا إلى الان رغم ظهور طبعة أحمد الجندي الموسومة « بقطب

(8) من أدلة ذلك أن الأستاذ م. ط. لا يذكر هذه الطبعة في فصله « ابن الرقيق » بدائرة المعارف .

(9) انظر كتابنا : « الحياة الأدبية بإفريقية في العصر الصنهاجي » (بالفرنسية) ط. تونس 1972 ص 140–141 .

السرور » (10) وذكرنا أن الكتاب كتاب « أدب مخصّص » محوره الخمر واللّهو ومتع الحياة . فيه يتعرّض الكاتب إلى أوصاف الخمر وخصائصها المختلفة وينقل كلام العلماء والفلاسفة عن محاسنها ومساويها ومنافعها ومضارّها وحرامها وحلالها ويذكر ما جاء في أقوال الحكماء والشعراء والظرفاء من أخبار وأشعار وحكم وملح عن الخمر ومن اشتهر بها من رجالات الجاهليّة والإسلام ومن سادات وعظماء وملوك يصفهم ويصف حياتهم خاصّة حياة اللّهو والطرب والقصف والغناء حياة التمتع والسرور وقطب ذلك كلّه هوَ الخمر طبعا لكن بدون أن يقتصر الكتاب على الخمر . ففيه لغة ونحو وأدب وفيه علم وحكمة وفلسفة وتاريخ وفيه نظرة إلى الحياة هي نظرة أهل الظرف والمتع ففيه إذن وصف للون من ألوان الحياة هامّ شديد الأهمّيّة وإن كان ستار الصمت مسدولا عادة عليه وأقلام الكتّاب جافية جافّة عنه . فأماط الرقيق عنه اللثّام في كتاب لا نعلم له مثيلا في الأدب العربيّ . فأين من هذا كلّه على اختصاره ما يقوله عنه الأستاذ محمد الطالبي من ان « الكتاب مفعم بالوصف والطرائف والنوادر والملح والأشعار التي أوحت بها الخمر وكان ركحها الشرق » ؟ هو معذور فإنه لم يطّلع — لردّه على نقدنا — إلا على الكتاب الذي نشره أحمد الجندي فاستنجد به في هذا الرّدّ ونحن نكرّر القول ان ليس في هذا الكتاب ولا في أوصاف الأستاذ محمد الطالبي لقطب السرور ما يقرب من الصورة الحقيقيّة لقطب السرور . لكن ما عذر من سبق تحذيره فتجاهل التحذير بل واستنجد بما وقع تحذيره منه ؟

والنقطة الرابعة التي يحاجّنا فيها الأستاذ محمد الطالبي هي أننا اعتبرنا شكّه « في نسبة القطعة المنشورة بعنوان تاريخ إفريقية والمغرب للرّقيق لا يبرّره مبرّر بعد البحث الذي قام به محقّق الكتاب في مقدّمته وتعاليقه بتتبّع فقرات

(10) انظر تفصيل قولنا عن هذا الكتاب وهذه الطبعة في المقال الذي نشرناه بمجلة « حوليات الجامعة التونسية » عدد 8 ص 7—19 .

من هذه القطعة في كتب المؤرّخين الذين يصرحون أنهم اقتبسوها من كتاب الرقيق ... الخ » فيجيب الأستاذ محمد الطالبي على ذلك بعبارات التنقيص والازدراء ومن بينها ما معناه أننا « نشاطر محقّق هذه القطعة في خطئه المنهجيّ البعيد الأثر » . ذلك أن الأستاذ محمد الطالبي يعتبر طبعا أنه هو المصيب إصابة منهجيّة في طريقته . فما هي هذه الطريقة ؟ هي تتمثّل في عبارته التي يعتقد أنه حسم بها المشكل وهو قوله عنّا — بعد ذكره لعبارتنا السابقة — إننا « لم ننتبه إلى أنّ **المؤلّف المجهول** الذي ألّف القطعة **قد نقل كما نقل غيره عن الرقيق** » . كذا . وهذا هو فحوى حجّته التي أطال فيها في هذه المقالة وفي الفصل الذي نشره بمجلّة Les Cahiers de Tunisie و« يحيل عليها من يهمّه الأمر » على حدّ قوله . فلقد قرر الأستاذ محمد الطالبي ان مؤلّف هذه القطعة مجهول . وقد يقبل منه ذلك لو كان يعني بهذه العبارة أنّ المؤلّف المجهول — وإنما هو مجهول لأن اسمه لم يرد في هذه القطعة — يمكن أن يكون الرقيق ويمكن أن يكون غير الرقيق . لكنّه قرّر أنّه ليس الرقيق بدليل قوله ان هذا « المؤلف المجهول ... قد نقل كما نقل غيره عن الرقيق » . فلا يكتفي بأن يقرّر هكذا أنه غير الرقيق بل يزيد فيجزم أنه « قد نقل كما نقل غيره عن الرقيق » . فبأيّ وحي علم الأستاذ محمد الطالبي ان هذا المؤلف المجهول قد نقل عن الرقيق وانه ليس الرقيق ؟ تظهر في ذلك طريقة الأستاذ محمد الطالبي المنهجيّة ونذكّره هنا أنه في بداية مقالته كان قد اتّهمنا — باطلا كما بيّنّاه — بالأسلوب التقريري .

وإنصافا للأستاذ محمد الطالبي نذكر أنه قال إنه لم يطل في هذا الصدد « إذ قد فصّل القول تفصيلا في خطإ نسبة هذه القطعة للرّقيق » وذلك في فصل نشره بالفرنسيّة (11) . وهو فصل تتجلّى فيه نفسيّة مؤلّفه وطريقته في البحث . أما نفسيّته فتظهر في الشتم المقذع والثلب الذي يوجّهه إلى غيره من

(11) بمجلة Les Cahiers de Tunisie عدد 73—74 ص 19 وما بعدها .

الزملاء والباحثين خاصّة الأستاذ روجي هادي إدريس . وألطف ما جاء في هذا السباب ما نالنا نحن من أن تعريفنا بالقطعة المنشورة بعنوان تاريخ افريقية والمغرب تعريف «سطحي جدّا خال من الفائدة» . وأمّا طريقته فهي شبيهة بهذه التي اتّبعها في مقالته المنشورة أعلاه إذ يقرّر انّ القطعة ليست للرّقيق وأنّ مؤلّفها نقل عن الرقيق — ولو أردنا الهزل لجاريناه في هذه الطريقة وقلنا : لعلّ القطعة لمجهول نقل عنها الرقيق . فهو افتراض يساوي افتراضه قيمة — فطريقته إذن تتمثّل في أنّ بحثه الطويل وتغليط غيره وشتمه كلّ ذلك مبنيّ على افتراض افترضه : فكلّ ما كتبه في هذه القضيّة واه ضعيف إذن لأنه مبنيّ على مجرّد افتراض . ورأينا — مازحين — أنه ما دام في نطاق الافتراض فالاحتمالات كثيرة فليس له أن يعتبر أحدها مقبولا حتما وحده وأنّ جميع ما بقي من الاحتمالات مردود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أننا ننصف الأستاذ محمد الطالبي مرّة ثانية فنقول إنّ افتراضه لم يكن مجرّدا وإنما أراد تدعيمه بنوع ممّا يسمّى بالنقد الداخلي أي النظر في النصّ حتى يتبيّن هل هو للرقيق أم لغيره اعتمادا على لغته وأسلوبه الخ . وهي طريقة صالحة يتبعها الباحث عند الحاجة لكن الأستاذ محمد الطالبي استعملها في فصله المنشور بالفرنسيّة استعمالا اغتباطيّا يستغرب من أستاذ جامعي . ذلك أنه بنى بحثه هناك أيضا على افتراض أو على فكرة مسبّقة . وهذا الافتراض هو أساس بحثه كلّه وهو أن التعبير أحيانا في القطعة المنشورة قليل البلاغة أو الضبط أو الحبك أو غير ذلك من الخصال التي تتّصف بها لغة كاتب كبير كالرقيق وأسلوبه ومنهجه . فمن أين للأستاذ الطالبي أن يحكم للغة الرقيق وأسلوبه بالمنزلة التي تجعله يقطع انّ ما جاء فيه خلل من هذه الناحية لا يمكن أن يكون من كلام الرقيق ؟ أيّ كتاب قرأه للرقيق فعرف منه بصورة قطعيّة انه ينبغي تنزيه الرقيق عن مثل هذا الضعف ؟ أيكون قد قرأ — قبل تحريره فصله — ما نشره أحمد الجندي بعنوان قطب السرور ؟ يستطيع أن

يدّعي ذلك . وإن كنّا نستبعده . لكن حتى وإن كان ذلك فهذا المنشور بعنوان « قطب السرور » لا يخلو من بعض الضعف الشبيه بما جاء في قطعة « تاريخ إفريقية والمغرب » . ثم إننا عندما طالعنا مخطوطة باريس لقطب السرور منذ سنين عديدة واعتمدناها لدراستنا عن الرقيق والأدب في عصره لاحظنا بعض الضعف أو التهاون أو الإهمال في لغة الرقيق فكتبنا في الأطروحة التي تمّ نقاشها سنة 1969 أي قبل ظهور كتاب أحمد الجندي والإطلاع على عيوب طبعته ما تعريبه : « ... إن إمعان النظر في هذا الكتاب يكشف بصورة غريبة عن استعمال لغة بسيطة عاديّة تكاد تكون لغة جارية تنتمي – في ما يبدو لنا – إلى لغة المؤرّخ أكثر منها إلى لغة الأديب » (12) . فمنهج الأستاذ محمد الطالبي هذا مع خطورة استنتاجاته مبنيّ حينئذ على افتراض افترضه . وهذا الافتراض يستند بدوره إلى فكرة مسبّقة على أسلوب الرقيق ليست خالية من الضعف . وافتراض ثان يبني عليه ما سمّيناه له بالنقد الداخلي هو أن هذا الضعف في الأسلوب الذي قرّر أنه لا يمكن أن ينسب إلى الرقيق نسبه إلى ذلك المؤلّف المجهول الذي افترض أنه صاحب القطعة المنشورة . فبأيّ مشيئة ينسب ذلك إلى مجهول ما دام هذا مجهولا ؟ بأيّ حجّة قرّر انّ هذا المجهول جاهل فحرّف ؟ نحن إذ نستغرب هذه الادّعاءات لا ندّعي بدورنا عكسها بل لا ندّعي شيئا إنما أردنا ان نبيّن وهن طريقة هذا الذي يرمي غيره بوهن الطريقة ويبالغ في ذلك إلى حدّ الثلب ناسيا أنّه أتى بأعظم مما نسب – خطأ – إلى غيره .

والنقطة الخامسة رأى فيها نقدا أو ذمّا لما ذهب إليه فيقول : « وكذلك الشأن بالنسبة لميول الرقيق المذهبيّة ... » ثم يزيد قائلا : « ... ان ميله [الرقيق] إلى الشيعة ... لا جدال ولا شكّ فيه » . بينما لم نتّخذ موقفا عندما لاحظنا

(12) انظر كتابنا « الحياة الأدبية بإفريقية في العصر الصنهاجي» ط. الشركة التونسية للتوزيع . تونس 1972 ص 141–142 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجرّد الملاحظة ان الدراستين اللّتين ظهرتا حول الرقيق وعرّفنا بهما في فصلنا تتناقضان في هذا الباب فكتبنا ما نصّه : « ثم إنّ الغموض يستفحل حول مذهب الرقيق وعقيدته . فبينما يرجّح محقّق تاريخ إفريقية والمغرب — بعد تردّد — انّه سنّيّ ينبّه صاحب فصل دائرة المعارف إلى ميل الرقيق إلى الشيعة » . يظهر من هذا أن الأستاذ محمد الطالبي يقف موقف المدافع في كل حال سواء أكان محلّ عتاب أم لا فيستعمل كلّ حجّة من بين ذلك ما ليس بحجّة وما هو عكس الحجّة والمهاجمة والثلب . له ذلك . أمّا نحن فلا يهمّنا من هذه القضيّة كلّها إلا أن نكون بردّنا قد أثبتنا صحّة نقدنا التي أبى الأستاذ محمد الطالبي أن يعترف بها إلا في نقطة واحدة فوجب علينا أن نفصل القول في كلّ من النقط الباقية رفعا للالتباس وإظهارا للحقّ ومساهمة في جلاء الصورة الحقيقيّة للرّقيق وتراثه .

الشاذلي بويحيى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبيات لابن هانيء المغربي لم تنشر

بقلم : محمد اليعلاوي

ARCHIVE
http://Archive.sakhrit.com

كنّا نشرنا في حوليّات الجامعة التونسيّة جملة من القصائد لابن هانيء الأندلسيّ المغربيّ ، لم تندرج ضمن الطبعة الوافية للديوان التي نشرها المرحوم زاهد علي الإسماعيلي الحيدرآبادي بالقاهرة سنة 1933/1352 ، تحت عنوان « تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء » (1) .

وهي قصائد عثرنا عليها في مخطوطة من الديوان محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بتونس ، تحت رقم 13746 ، ونبّهنا في خاتمة تقديمنا لتلك القصائد التي لم يشعر الناشر بوجودها ، إلى أنّه توجد أيضا بضعة أبيات أخرى ومقطوعات قصيرة ضمن هذه النسخة النفيسة التي أطلقنا عليها لقب « تونس 1 » ، ووعدنا بنشرها بعد تحقيقها والبحث في صحّة نسبتها إلى شاعر الفاطميّين .

وها نحن نقدّم اليوم إلى القرّاء والباحثين ، هذه الأبيات التي تنفرد نسخة « تونس 1 » بحفظها ، ونعتذر إليهم سلفا عن أخطاء التحقيق وغموض المعنى في كثير من الأبيات ، فانّ الخطّ رديىء جدّا ، والحروف المعجمة

(1) انظر « حوليات الجامعة التونسية » — العدد السادس (1969) ص 79 .

كثيرا ما تخلو من التنقيط ، وكثيرا ما يسهو الناسخ عن علامات المدّ . وحتّى ان توصّلنا إلى قراءة مقبولة أحيانا ، فانّ المعنى يبقى على غموضه في كثير من الأبيـات .

كما نعتذر أيضا عمّا يظهر في هذه المقطوعات من سخف وابتذال وضعف ، فهي دون ما نعرفه من شعر ابن هانىء بكثير ، ولا سيّما المقطوعاتُ الغزليّة المرذولة التـي يتزلق فيها إلى مستوى ابن سكّرة أو ابن حجّاج . ولكنّ الذي حملنا على كشفها واخراجها إلى النشر هو هذا الجانب الجديد من الشاعر ، وإن كان في الحقيقة جانبا متوقّعا : فلقد تناقلت الأخبار والروايات أنباء مجونه وعربدته ، سواء في حياته الأولى باشبيلية ، أو في الظروف التي أدّت إلى مقتله ببرقة منذ ألف عام . وانّ في هذا الجانب المجونيّ مـن شخصيّة الشاعر ، كما يظهر من خلال هذه المقطوعات ، لدليلا على أنّ الشاعر المدّاح ، ولا سيّما الشاعر المختصّ بخدمة دولة ودعوة والعمل على حمايتها ونشرها ، قد يشعر بالكبت ، في إطار شعره الرسميّ ، فيحاول أن ينفلت منه ، ويطلق العنان لأهوائه وميوله . فعلى هذا الأساس ، يمكن أن نقول انّ نسخة تونس 1 هـي التي تعطينا أكمل صورة وأصدقها لشخصيّة الشاعر الفاطميّ . وقد نعلّل فقدان هذه المقطوعات التي ننشرها اليوم ، من بقيّة النسخ التـي بنى عليها زاهد عليّ نشرته للديوان ، بنوع من التطهير والتشذيب من جامعـي شعره ، خصوصا إن كانوا شيعيّين مثله . ولا غرابة في ذلك : فقد رأينا الجانب المقابل ، أي السّنيّين ، يعملون بدورهم على تطهير الديوان من القصائد المغالية في تقديس الأئمّة ، مثل القصيدة 24 الشهيرة التي يقول فيها : « ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... » (2) .

(2) انظر مخطوط ديوانه بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 18624 (مكتبة المرحوم ح ح. عبد الوهاب) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يخف علينا أنّ بعض هذه القطع القصيرة قد تكون منحولة ومنسوبة إليه خطأ أو تعسّفا وجَوْرًا . وقد يُسهّل مثلَ هذا الخطإ في النسبة ، وجودُ شاعرين آخرين على الأقلّ يحملان هذا الاسم : شاعر أندلسيّ ذكرهُ الثعالبيّ تحت اسم « جعفر بن هانىء الأندلسي » (3) وآخر مصريّ ينحدر من سلالة صاحبنا ، ويسمّى مثله « محمّد بن هانىء » ، وإنّما يتميّز عن شاعرنا باسم أبيه : محمّد بن إبراهيم بن هانىء ، ولهذا سمّوه « ابن هانىء الحفيد » (4) . هذا بغضّ الطرف عن الحسن بن هانىء أبي نواس ، وعن عدد كثير من الكتّاب وذوي القلم عرفوا أيضا باسم ابن هانىء . وإنّا ، في تعليقنا على كلّ مقطوعة ، ننبّه إلى ما يعتري نسبتها من شكّ ونحتجّ لقبولها له أو دفعها عنه .

وقد رأينا من الصالح أيضا أن نذيّل هذه المقطوعات الخاصّة بمخطوط تونس 1 ، أي التي لم تنشر من قبل ، بأبيات أخرى منسوبة إلى شاعرنا ، عثرنا عليها في بطون كتب الأدب والتراجم . وقصدُنا من ضمّها إلى شعره المجهول ، أن نضيف إلى الديوان في صورته الحاليّة ، ما ضاع من شعر ابن هانىء . ومن يدري ؟ لعلّ الأيّام تطالعنا يوما بشعره الأوّل ، شعر الأندلس ، ذاك الذي ضرب عليه الزمان بغطائه فمسحه مسحا ، حتّى كأنّ الشاعر لم ينطق الاّ حين لمست قدماه أرض المغرب .

***

---

(3) الثعالبي : تتمة اليتيمة ، نشر عباس اقبال بطهران 1934 ج 1 ص 34 .

(4) العماد الاصفهاني : خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ج 1 ص 248 .

1 — أبيات مخطوطة :

1

المقطوعة عدد 11 من المخطوط — الورقة 16 أ

وقال في شادن (سريع) :

« لا تَلْحَنِي يَا هَذِهِ انّني لم تُصْبِنِي هندٌ ولا زينبُ
« لكنّني أصبو إلى شادن فيه خِصَالٌ جَمَّةٌ تُرغَبُ
« لا يرهبُ الطّمْثَ ، ولا يَشْتَكِي حَمْلاً ، ولا عن مُقْلتِي يُحجَبُ »

هذه الأبيات أوردها ابن سعيد المغربيّ (ت 685/1286م) في المُغرب (5) مع اختلاف طفيف : « يا عاذلي » عوض « يا هذه » وفي الشطر الأخير : « ولا عن ناظر يحجب » . وابن سعيد هو الذي يقول في سبب موته انّه « قتل « في مشربة على صبيّ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

2

المقطوعة عدد 12 من المخطوط — الورقة 16 أ كذلك

وقال يخاطب صديقا له يسمّى أبا زكريا بن محمّد القفصي الشاعر ، وكان يتعشّق قينة متبذّلةً في المآتم والأعراس تعرف بـ« رُمّانة المسك » . وكان قد عزم على الخروج معها إلى مصر ، وإنّما خاطبه بهذا الشعر على وجه التأديب والاشفاق عليه (كامل) :

« مَاذَا تُؤَمِّلُ أرضُ مصرٍ مِنْ فتىً
يَغْنَى (؟) بهَا وخريدةٍ يُجْدَى (؟) بها
« يُمْنِي (؟) ذَوي آدَابِهَا وَشَبَابِهَا
أنْ زِيدَ في شُعَرَائِهَا وَقِحَابِهَا »

(5) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) : المغرب في حلى المغرب نشر شوقي ضيف ج 2 ترجمة محمد بن هانيء (عدد 409) .

قراءةُ البيتين عسيرة جدّا ، لرداءة الخطّ وتعدّد الاحتمالات ، وقد أوّلنا الكلمات الملتبسة بالاستناد إلى معنًى إجماليّ : ماذا يحصل من نفع لمصر إذا ما انضاف إلى سكّانها هذا الشاعرُ وهذه المغنيّةُ ؟ ولا نعرف شيئا عن هذا الشاعر القفصي ولا عن رمّانة المساك صاحبته ولعلّها كانت سوداء زنجيّة كلون المساك .

3

المقطوعة عدد 28 — الورقة 37 أ

وله في طنبور وقع عليه وهو سكران ، فكسره (طويل) :

«برئتُ إلى الطنبُورِ مِمّا جنيتُهُ
عَلَيْهِ ، وان أُذْنِبْ ، فمنهُ التعمُّدُ
« وهَلْ كنتُ الاّ كالخَليّ من الهوَى
أصابَ حَمامَ الأيْكِ ، وهو يُغَرِّدُ ؟ »

ليس من المستبعد أن يكون شاعرنا قد تعاطى الخمرة ، بذلك تشهد أخبار مجونه في شبابه بالأندلس ، وتشهد به كذلك الروايات في ظروف مقتله أو وفاته ببرقة يوم 23 رجب 29/362 أبريل 973 ، ولنا في القصيدة عدد 34 من ديوان « تبيين المعاني » أنموذج من خمريّاته .

ولكن من المستبعد أن يكون هذان البيتان من نظم صاحبنا ، نظرا لانعدام الصلة بينهما ولغثاثة معناهما .

4

المقطوعة عدد 29 — الورقة 37 أ

وطيّر له ابن زائدة الكاتب بيتا وهو (طويل) :

« فلو أنّ ما أبقيت منّي معلّق بعود ثمام ، ما تأوّد عودها »

فأخرج البيت وضمّنه هذه الأبيات :

« مررتُ على أسرابِ طيرِكَ وُقّفًا فأرسلْتُ عِقبانِي إليهَا تَصيدُهَا
« فلم تُغْنِ عنها في اللقاءِ صفوفُها ولم تُغنِ عنهَا في البِراز رُدُودُهَا
« أكُرُّ علَى ما فرّ مِنْهَا كَأنّنِي أكرُّ على فرسَانِ حَرْبٍ أذُودُهَا
« فأذْكَرَتْني ما قَال عاشقُ خلّةٍ برَى جسمَه هِجرَانُهَا وصدودُهَا
« فلو أنّ مَا أبقَيْتَ منّي ،مُعلّقٌ بعُودِ ثُمَامٍ ، ما تَأوّدَ عُودُهَا »

التخريج كالتضمين أو المعارضة،نوع من الفنون الشعريّة يلتزم فيه الشاعر أن ينظم أبياتا على منوال بيت أو أبيات أخرى معروضة عليه ، إمّا للمجانسة وإمّا للمعارضة ، وهذا الباب من المطارحات الشعريّة والمساجلات الأدبيّة باب واسع .

أمّا أحمد بن زائدة ، فلئن لم تعرفه كتب التاريخ الفاطميّ ، ولا كتب التراجم ، فلقد عرفناه من خلال احدى القصائد الإضافيّة التي اكتشفناها في مخطوطة تونس 1 (6) ، ويظهر أنّه كان قائدا فاطميّا أو واليا على بعض المقاطعات في دولة المعزّ ، وهو « كاتب » أيضا ، وهي وظيفة لا تتنافى مع القيادة العسكريّة ، فقد كان جوهر الصقلبي يدعى أيضا « جوهرا الكاتب » . وعرفنا أيضا أنّ ابن زائدة هذا يمنيّ الأصل ، ومعلوم انّ شاعرنا شديد الفخر بنَسَبه الأزديّ اليمنيّ . وابن زائدة خطيب مفوّه : « ... وان كنتَ من مقاولها » (7) ، وينظم أحيانا كما يدلّ عليه هذا البيت ، وبيتان آخران سيردان ضمن المقطوعة عدد 103 .

ولا نشكّ في نسبة هذه الأبيات إلى ابن هانىء ، نظرا لسالف معرفتنا بعلاقته بابن زائدة هذا ، ونظرا لكثرة هذه المطارحات الشعريّة في عصره ،

(6) الحوليات — عدد 6 ص 97 — القصيدة 3 .
(7) البيت 34 من القصيدة المشار إليها .

وقد وُجدَ منها أنموذج آخر في الديوان المطبوع (8) ، وأخيرا ، نظرا لميل شاعرنا إلى التصريع في أبياته ، وهو أن يطابق بين الشطرين فيوازي بين لفظهما وتركيبهما كما فعل في البيت الثاني من هذه المقطوعة .

هذا وانّ تحقيقنا للأبيات لم يُرضنا ، ولا سيّما في هذا البيت الثانـي ، في عبارة « لم تغن » المكرّرة .

5

المقطوعة عدد 30 ، ورقة 37 أ

وقال في عبد الله بن سليمان ليغيظ تميم بن المعزّ ، ولها حكاية ستذكر إن شاء الله في ما يأتي من حرف النون عند قوله :

« اسمُ الذي عذّبني حبُّهُ وَصارَ قلبي في يدَيْهِ رَهِينْ »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال (سريع) .

«أُغَيْدُ مِثْلَ الشَّمْسِ لَمَّا بَدا تَاهَ عَلَى النَّاسِ بِنَحْرٍ وَجِيدْ
«لاعبْتُهُ الشِطْرَنْجَ فِي خَلْوةٍ حُكمَ مُطاعٍ في الذِي قد يُرِيدْ
«صفّفتُ خيْلِي بإزَا خيْلهِ ثُمَّ الْتقَتْ من بعْدِ ذاكَ الجنُودْ
«فأَطْرِدَتْ خيْلُ حَبِيبِي وقد أقلّهَا الرَّكْضُ وَخَفَقُ البنُودْ
«فقال: ما حُكْمُكَ يا سَيِّدِي فإنّنِي منْ بَعْدِها لاَ أعُودْ ؟
«فقُلْتُ: حُكْمِي أنْ أنال المنى من ذلكَ الرِّدْفِ وَذَاكَ البرُودْ
«فَحَلَّ عَنْ طَوْعٍ سرَاويلَهُ وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ بِهذَا يَجُودْ
«فَنِلْتُ مِنْهُ فَوْقَ ما أشْتَهِي وَفَوْقَ مَا يُرْغِمُ أنْفَ الحَسُودْ»

قد يستغرب القارىء أن يصدر مثل هذا الشعر المرذول عن ابن هانـيء شاعر الفاطميّين الذي خصّ ديوانه بمحامد أئمّة بني عبيد ، وقداسة الامامة

---

(8) تبيين المعاني – القصيدة 48 .

الفاطميّة الاسماعيليّة ، وأحقيّة آل عليّ وفاطمة بإرث رسول الله (صلعم) وولاية أمر المسلمين . ولكنّ تلك الصورة التي حصلت لنا من ابن هانىء الفاطميّ المغربيّ هي الصورة الرسميّة الجدّيّة التاريخيّة ان صحّ التعبير ، صورة الشاعر المتحزّب للأئمّة المنحاز لدعوتهم الداعي إليها العامل على نشرها . وإلى جانب الصورة الرسميّة ، قد توجد صورة خفيّة « واقعيّة » تترجم بصدق عن شخصيّة الشاعر الحقيقيّة ، وتكشِفُ عن ميوله وعواطفه وإحساساته وانحرافاته .

وعدم تجلّي هذه الصورة الثانية في ديوانه المنشور ، لا يعني انعدامها واستحالتها ، بل نرى في فقدانها دليلا على أنّ الشاعر ، أو بالأحرى جامعي ديوانه من أنصار الدعوة ، أرادوا أن يبقوا للتاريخ الصورة المهذّبة المشذّبة المطهّرة من شاعر الأئمّة الأطهار ، فلذلك فُقِدَتْ – أو أُلغِيَتْ وأُتلفت – المقطوعات « المنحرفة » من جنس هذه المقطوعة الثلاثين أو المقطوعات 11 و12 و28 السالفة الذكر . وقد تنزلق مثل هذه الأبيات المكشوفة في دواوين أكثر الشعراء جدّا واستقامة : انظر مثلا هجاء المتنبّي لضبّة وأمّه الطرطبّة ، كما ينزلق رواة الأدب إلى توشية مختاراتهم بنماذج من هذا الأدب الساقط العاري بدعوى نشره بين أهل السخف والرعاع أيضا ، كما ينتشر عند أولي الألباب القويمة والأخلاق الرفيعة ، بما فيه من جدّ ومواعظ وحكم . وعلى هذا البرنامج سار الثعالبي في اليتيمة وغيرُه .

وهذه الظاهرة ، ظاهرة الانحراف الجنسيّ ، تستشفّ من بعض القصائد الـ«جدّيّة » في الديوان المنشور : انظر مثلا الاستهلال الطويل للقصيدة الرابعة في مدح أبي الفرج الشيباني ، تر خاطا متواصلا غريبا بين المعاني الحربيّة ومعاني الغزل بالمذكّر . ولم تخف هذه الطبيعة في الشاعر عن المترجمين له ، فقد جعلوها سببا لنفيه من الأندلس ، ثمّ سببا لقتله في برقة منذ ألف عام خلت . وإلى هذه المنافسة الجنسيّة الغزليّة بَيْنَهُ وبين تميم بن المعزّ الفاطميّ ،

يشير الدواداري بقوله : « ومن أحسن ما وقع له في النسيب ، وهو الذي أخلّ « به حتّى قتل ... » ، ثمّ يورد الأبيات الثلاثة البائيّة – مقطوعة عدد 11 – التي أوْرَدَها ابن سعيد أيضا . ويضيف الدواداري : « أراد بقوله غلاما كان «الأمير تميم يهواه ، فتحيّل عليه حتّى وُجدَ في بعض الأودية مخنوقا بتكّته ، « وقيل : انّه حسده لجودة شعره فقتله لذلك ، والله أعلم بأمره » (9) . وإلى هذا أيضا أشار ابن سعيد بقوله : « وقتل ببرقة في مشربة على صبيّ ».

أمّا تميم بن المعزّ ، فانّ المؤلّفات الفاطميّة نفسها تشير إلى انحرافه ، وانسياقه مع الشهوات ، ممّا حمل أباه المعزّ على خلعه عن ولاية العهد وتعويضه بأخويه عبد الله ثمّ نزار (10) . أمّا أن يبلغ هذا الانحراف إلى حدّ قتل الشاعر المنافس له ، فهذا ممّا لم نسمعه الاّ من الدواداري : فهو الوحيد الذي يعزو مقتل ابن هانىء إلى تميم .

6

المقطوعة عدد 31 ، ورقة 37 ب

وقال في أبي الفرج محمّد بن عمر الشيبانيّ (طويل) :

«ثَلاَثُ خِصَالٍ سُدْتُ بها عَشيرَتي ... وَمن لم تَكُنْ فيه ، فلَيسَ بِسَيِّدِ
«فهُنَّ : إذاوَاخيْتُ ، صِرفُ مَوَدَّتي ... وَجودُ يَميني ، وَامتِدَاحُ مُحَمَّدِ »

أبو الفرج الشيباني قائد فاطميّ مجهول من المؤرّخين ، مدحه ابن هانىء بستّ قصائد وبهذين البيتين . ولعلّه كان واليا أو عاملا للمعزّ على مقاطعة من المغرب الأوسط ، وبالأخصّ على أعمال تاهرت . ذلك انّ قبيلة شيبان ، حسب ما جاء في أطروحة زميلنا الأستاذ بويحيى (11) ، كانت قد استوطنت

(9) الدواداري (أبو بكر) : الجزء 6 من «كنز الدرر» وهو « الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية » . القاهرة 1961 ص 241 .

(10) سيرة الأستاذ جوذر : نشر محمد كامل حسين وعبد الهادي شعيرة ص 16 و120 انظر كذلك ترجمة ماريوس كانار لها الجزائر 1958 ص 213 .

(11) الشاذلي بويحيى : الحياة الأدبية بافريقية في عهد بني زيرى – تونس 1972 ص 84 .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

جهة تاهرت منذ الفتح الإسلاميّ . ثمّ انّ الشاعر كثيرا ما تغنّى بقتال ممدوحه هذا للحروريّين ، أي الخوارج ، في المغرب . ومعلوم أن تاهرت كانت عاصمة دولة بني رستم الخارجيّة .

7

المقطوعة 45 — الورقة 51 أ

وقال في سيف يهزّ على مليح (كامل) :

«اِفْتِكْ بِهَـذَا السامريِّ السَّاحِرِ   وأذِقْهُ طَعمَ المشرفيِّ البَاتِرِ !
» كم قُلْتُ إذ نَزَّهتُ فـِي وجناتِه   طَرْفي ، فما رَجَعَتْ إليَّ مَحاجِرِي
«ذا ويحكُم ماءٌ وَجَمْرٌ مُحْرِقٌ   فقد احترَقتُ،وما تَرَوَّى ناظِرِي »

ليس في الأبيات ما يسترعي الانتباه ، الاّ اطلاق اسم « السامريّ » على الغلام الحسن الخلقة . والسامريّ انّما هو ساكن سمريّة إحدى مقاطعات فلسطين القديمة . وذكر القرآن « السامريّ » ، وهو الذي أضلّ بني اسرائيل وحملهم على عبادة العجل ، في سورة طـه (الآية 85 وما يليها) .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

8

المقطوعة 46 — ورقة 51 أ

وقال في جعفر ويحيى (مجزوء الكامل):

«خَيْرُ البَرِيَّـةِ يَعْرُبُ   وَبَنُـو عَلِـيٍّ خَيْرُهُمْ
«فَكَأَنَّهُمْ مِنْ جَوْهَرٍ   لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُهُمْ »

جعفرُ ويحيَى ابنا عليّ بن الأندلسيّةِ هما أميرا المَسيلَةِ من قِبَلِ المُعِزّ ، ولابن هانىءٍ فيهما مدائح كثيرة .

9

المقطوعة عدد 47 — ورقة 51 أ

وقال أوّلَ دخولـه مصر (متقارب) :

«أقولُ لِذي قامةٍ كالقَضيبِ وَخَصْرٍ تَبارَكَ مَنْ خَصَّرَهْ
«وَوَجْهٍ يُباري سَنَاهُ المُدَامَ يُصَبُّ من الكوبِ فِي القُبَّرَهْ (؟)
«ألا فاغضُضِ الطرْفَ يا ذا الفتى فلِلَّهِ طرْفُكَ مَا أسْحَرَهْ !
«لقد لعبتْ بي صُرُوفُ الزّمَانِ كلعبِ الفتَى والفتَى بالْكُرَهْ
«وَطيَّرْتُ شرْقًا إلى غرْبِهَا كَتطيِيرِ العَوَاصِفِ بالزُّنْبُرَهْ
«وَيُعْجِبُنِي أنَّنِي شاعرٌ وَقوْلُ البَرِيَّةِ مَا أشْعَرَهُ
«وَلَوْ رَهَنُونِي وَكُتْبِي مَعًا مَعَ الشِّعْرِ وَالظَّرْفِ وَالمحْبَرَهْ
«على قوتِ يَوْمٍ ، لَرَدُّوا الرِّهَانَ وَأرْمَوا إلى فِضَّةٍ مُحْضَرَهْ
«حَرَامٌ حَرَامٌ زَمَانُ الفقيرِ حَرَامٌ حَرَامُهُ مَا أقْذَرَهُ (؟)
«إذا كانَ عَيْشُ الفتى ضيِّقًا فَخيرٌ مِنَ العِيشةِ المَقْبَرَهْ .»

هذه الأبيات غريبة جدّا ، ونسبتها إلى ابن هانـىء أغرب : فهي غريبة أوّلا للاختلاف الواضح بين الأبيات الثلاثة الأولى وبقيّة المقطوعة ، في اللهجة والمضمون ، فما صلة هذا الغزل المبتذل بالمذكّر ، بهذه الشكوى المرّة من الفقر وصروف الزّمان ؟ ثمّ انّ تحقيق كلماتها عسير نظرا لرداءة الخط : ففي البيت الثاني ، عوضنا « الكوكب » بالـ« كوب » ، فالكوكب لا معنى له هنا ، ولا يوافق الميزان . امّا القبّرة فقراءة ظنّيّة ، ولقد صرّفنا الكلمة في جميع الوجوه فلم نظفر بطائل . وفي البيت السابع ، تردّدنا بين « الطِرف » (الحصان) والـ« ظرف » (الوعاء) ، فاخترنا الوعاء ، ولعلّه وعاء كتبه وورقه . أمّا الفرس ، فهو أفقر من أن يستبقيّه في مثل هذه الفاقة . وفي البيت الثامن ، لم نثق بقراءتنا لفعل « وأرموا » لأنّ « أرمى » تطلب مفعولا ، وهو مفقود من البيت . وكامل العجز في البيت التاسع لا ثقة بقراءته ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقد تكرّرت حروف « حرم » مرّتين فيه ، وفهمناه على أنّه تضمين للحديث : « الفقـر كفـر » .

أمّا نسبتها إلى ابن هانـىء ، فغريبة من نواح :

1 ـ لم يدخل الشاعر مصر ، وانما قتل ببرقة في طريقه إليها ، خلافا لما ورد في مقدّمة هذه الأبيات ، وخلافا لما نقله أبو المحاسن في النجوم الزاهرة : « ... قتل ببرقة في عوده إلى المغرب من مصر » (12) ، فقد قتل في رجب ، والمعزّ لم يدخل القاهرة الاّ في رمضان ، فلا يمكن أن يكون الشاعر معه لا في شعبان ولا في رمضان .

2 ـ انّ مرافقة الشاعر للخليفة في طريقه إلى عاصمته الجديدة كانت دليلا على علوّ منزلته عند المعزّ . فقد كان شاعر الدولة العبيديّة كما كان النعمان قاضيّها ومفتيّها ، وكما كان جوهر قائدها . فكيف يصدر مثل هذا التأوّه ممّن قال عنه المعزّ حين بلغه مقتله : « كنّا نأمل أن نفاخر به «شعـراء المشرق» ؟

3 ـ ان كانت الأبيات لشاعرنا ، فالبيت الخامس على صيغته هذه ، لا يقبل ، لأنّ ابن هانـىء كان طيلة حياته متنقّلا من الغرب إلى الشرق ، لا العكس .

هذه الاعتراضات قد تحملنا على دفع نسبة الأبيات ، ورفعها إلى محمّد بن هانـىء المصريّ المذكور في الخريدة ، خصوصا وانّ ابن ظافر الأزديّ ذكره في « بدائع البدائه » بما يفهم منه أنه قدم إلى مصر من بلد آخر ، ولعلّه إفريقية ، وهو كما قلنا من أحفاد شاعرنا المغربيّ . يقول ابن ظافر : « ... ولو لا بيت أظهره الضجر عند أوّل دخولـه هذه البـلاد ... » (13) .

---

(12) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ... ط. القاهرة 1933 ج 4 ص 67 .
(13) ابن ظافر الأزدي : بدائع البدائة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة 1970 ص 389 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكنّ هذه النسبة متعذّرة ، لأنّا عثرنا في نفح الطيب (14) على إشارة تفيد أنّ ديوان ابن هانىء كان يُقرأ على ابن رزين ملك السهلة إحدى طوائف الأندلس (خلعه المرابطون سنة 1103/496م) ، وانّ قارئه توقّف عند قوله : « حرام حرام زمان الفقير » . فأصبح من الواضح انّ هذه الأبيات كانت مدرجة بديوان الشاعر في أواخر القرن الخامس ، فزالت بذلك نسبتها إلى ابن هانىء المصريّ الذي كان يعيش في أواسط القرن السادس . ولنذكّر القارىء بأنّ مخطوطة تونس 1 قد نُقلت عن أصل يرجع نسخه إلى سنة 1211/608م . فالأبيات التي نتحدّث عنها لم تُغادر ديوان ابن هانىء حينئذ منذ منتصف القرن الخامس على الأقلّ .

ولئن اضطرّتنا إشارة المقّري إلى قبول نسبتها إلى شاعرنا ، فلا بدّ من تحوير البيت الخامس على النحو التالي : « وطيّرت غربا إلى شرقها » ، وكذلك تحوير المقدّمة ، فلا يمكن أن تكون هذه الأبيات من نظمه أوّل دخوله مصر ، وهو لم يدخل مصر .

ولا نطمئنّ إلى نسبتها إلى صاحبنا ، فلعلّها من نظم ابن هانىء الثالث ، ذاك الذي سمّاه الثعالبيّ جعفر بن هاني ، وأورد له أربعة أبيات ، منها اثنان منسوبان إلى صاحبنا في نسخة تونس 1 (القطعة القادمة) .

10

المقطوعة 67 من المخطوط ، ورقة 70 ب

« وقال في هجو الطمشيش (بسيط) :

« يا صَاحِ دَعْ مُدْنَفًا قدْ لَجَّ في عَنَقِهِ
وَدَعْ هِلالَ الضُّحَى إنْ بَانَ في أفْقِهِ

(14) المقرى : نفح الطيب ... ط. بيروت 1968 ج 3 ص 407 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« وَانْظُرْ إلَى لِحْيَةِ الطَّمْشِيشِ بارِزَةً
حَمْرَاءَ صَافِيَةً دَلَّتْ عَلَى حُمُقِهْ
« كَأَنَّمَا سَرَقَ الفَرَّانُ جَارَتَهُ
دِيكًا فَعَلَّقَهُ القَاضِي إلَى عنُقِهْ »

لا نعرف الطمشيش هذا ، ولقد عثرنا في « تتمّة اليتيمة » على بيتين أوردهما الثعالبي لشاعر يدعى « جعفر بن هانىء الأندلسي » ووسمهما باسم « الطمشيش » ، فقال : هو القائل في رجل يلقّب الطمشيش :

أما ترى لحية الطمشيش حين بدت حمراء قانية دلّت على حمقهْ
كأنّما سرق الملعُونُ جيرتَه ديكا فعلّقه الشرطيُّ في عنقِهْ

وأضاف الثعالبي بيتين آخرين ، فقال : وممّا ينسب إليه في الحكم ، ويروى لغيره (وافر) :

«إذا أفنيتَ بعض اليوم فاحزَنْ فقد أفنيتَ من مَحياكَ بعْضا
«وما من ساعة إلاّ وتنعَى إليك نصيبَ عمرٍ قد تقضّى»

وهذان البيتان لا يوجدان في مخطوط تونس 1 . فلا مندوحة من دفع نسبة بيتي هجاء الطمشيش إلى ابن هانىء المغربيّ ، وإسنادهما إلى جعفر بن هانىء ، وان كنّا لا نعرف عنه شيئا ، ولا حتّى نثق بوجوده .

11

القطعة عدد 68 — ورقة 71 أ

« وقال يصف خمرا (رجز) :

« فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ مِنْ رَحِيقِ صُبْحًا يُمَجُّ مِنْ فَمِ الإبْرِيقِ
« يُسَلِّطُ المَاءَ عَلَى الحَرِيقِ وَيَغْرِسُ اللُّؤْلُؤَ فِي العَقِيقِ »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذان البيتان ليسا مستقلّين ، إنّما اقتُطعا من الأرجوزة المنشورة في ديوان زاهد علي تحت عدد 34 . فقد توزّع البيت الثاني بين البيتين 12 و13 من الأرجوزة ، أمّا البيت الأوّل ، فمفقود منها ، وان كانت قافيتاه « رحيق » و« إبريق » مذكورتين في البيتين 12 و14 .

12

القطعة عدد 82 — ورقة 92 ب

« ومرّ يوما بصناعة الصياقل ، فنظر إلى صيقل يهزّ سيفا ، وينشره على «صبيّ ، وكان بين يديه ، يسمّى يحيى بن حمّادة ، وكان في غاية الجمال ، «فقال (بسيط) :

« يا مصْلِتَ السيْفِ ، لاَ تَطْلُبْ بِهِ بَدَلاً
لاَ تُبْقِيَنَّ ، فَمَا أبْقَى وَمَا عَدَلاَ
« خُذْهُ بِثَأرِي جَزَاءً بِالذي فَعَلاَ
وَاقْتُلْهُ عَنّي فَإنِّي بَعْضُ مَنْ قَتَلاَ
« أقِدْهُ بِي ، وَتَجَنَّبْ مِنْهُ أرْبَعَةً
الجِيدَ ، وَالخَدَّ ، وَالألْحَاظَ ، وَالكَفَلاَ
« مَا أنْسَ لاَ أنْسَ أيَّامَ السُّرُورِ بِهِ
كَأنَّمَا كَانَ ظِلاً فَاءَ فَانْتَقَلاَ »

هذه الأبيات شبيهة في غرضها بأبيات المقطوعتين 11 و30 ، و104 القادمة . وقد أثبتَ منها ابن فضل الله العمريّ في مسالك الأبصار المخطوط البيتين 2 و4 ، ضمن مجموعة واسعة من شعر ابن هانيء المعروف ، والفرق بين الروايتين طفيف (15) .

---

(15) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار – شعراء الجانب الغربي . مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 2327 وقد تفضل الأستاذ أبو القاسم محمد كرو باطلاعنا على نسخة منه مصورة ، فإليه جزيل شكرنا .

13

المقطوعة عدد 103 ، ورقة 119 أ

وقال من غير الأصل المنقول عنه : طيّر له ابن زائدة بيتين وهما (مجزوء الكامل) :

«أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ مَا إِنْ يَذِلُّ وَلَا يَهُونْ
«فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمُ فَهُنَاكَ يُعْلَمُ مَا يَكُونْ»

فأخرجهما وضمّنهما هذه الأبيات :

«أَرْسَلْتَ عُجْمًا مَا تَبِينُ فَتَشَيَّعَتْ فِيهَا الظُّنُونْ
«لَيْسَ المَدِيحُ لِمَنْ قَصَدْتَ ، وَلَا المَكَانُ بِهِ مَكِينْ
«هَذَا يُقَالُ لِأَحْمَدٍ إِنْ حَصْحَصَ الحَقُّ المُبِينْ
«فَهُوَ الذِي لَمْ تَجْتَمِعْ إِلَّا لَهُ دُنْيَا وَدِينْ»

تندرج المقطوعة ضمن المطارحات الأدبيّة بين الشعراء والكتّاب ، كما مرّ في المقطوعة عدد 29 ، وخلافا لما رأيناه فيها ، فإنّ البيتين المعروضين لم يضمّنهما الشاعر أبياتـه .

14

المقطوعة عدد 104 — ورقة 119 ب

«وقال متغزّلا بعبد الله بن سليمان وزير المعزّ ، المذكور في حرف الدال «(انظر المقطوعة 30) وكان يميل إلى ابن هانىء لأدبه . وكان غلاما فائقَ «الجمال ، وكان تميم بن المعزّ يتعشّقه ، فصنع هذه الأبيات وضمّن كلّ «بيت حرفا من اسمه بعد البيت الأوّل ، وهي (سريع) :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«اسمُ الذي عذَّبني حبُّهُ … وَصارَ قلبي في يديه رَهِينْ

«ع علَى حروف ستَّة أصْلُهُ … وَالهاءُ منْهُ بمَكان مَكينْ

«ب باحَ بِهِ سِرّي وَأخفيْتُهُ … وَصِرْتُ منْ أجْل الهوَى أستكينْ

«د دهَانِي الحبُّ وَكُنْتُ امرَءاً … يا قَوْمُ ، ذَالُبّ وَعقْلٍ رَصِينْ

«ا إذا كتمْتُ الحُبَّ أبْدَى بِهِ … نُحُولُ جِسْمِي وارتفاعُ الأنينْ

«ل لوْ كانَ ما بِي منْكَ في صَخْرَة … لانْصَدَعَتْ ، أوْ بَدوَاة (؟) البرِينْ

«ل لافترَقَتْ منْ أجْلِهِ رِقَّةً … ولم يُرَبَّ البَرْدُ سُقْيًا سَمِينْ (؟)

«ه هذا لعَمْري اسمُهُ كامِلاً … في كُلِّ بيْتٍ منهُ حرْفٌ مكِينْ»

عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«وبلغت هذه الأبيات تميم بن المعزّ فقلق لذلك قلقا شديدا ، وسعى عليه «عند أبيه حتّى قطع جرايته . وكانت سعايته أن قال له : انّ هذا ينسب إليك «انّ الوحي يتزل عليك بقوله :

« أمديرَها من حيث دارَ لطالما … زاحمتُ تحت لوائه جِبْرِيلا »

(القصيدة 41 البيت 29)

«فقال ابنُ هانىء في عبد الله بن سليمانَ ليغيظ تميمَ بن المعزّ: أغْيَدُ «مِثْلَ الشَّمْسِ ...» (المقطوعة 30)

اطّلعنا على هذه المنافسة بين تميم وشاعرنا من خلال المقطوعة عدد 30 ، ومن خلال ما نقله الدواداري في كنز الدرر . وانّا لنستغرب خبر السعاية لأنّه لم يُذكر عند الذين ترجموا لابن هانىء ، ولم يتعرَّضْ له هو في شعره . هذا ، وانّ سيرة الأستاذ جوذر تطلعنا على استنكار الخليفة المعزّ لسيرة ابنه ووليّ عهده ، ممّا دفعه إلى خلعه ، فلا نظنّ بعد هذا أن تكون مثل هذه السعاية عنده مسموعة .

ويلفت انتباهنا في هذه الأبيات الإلْغَازُ باسم المحبوب بتصدير كلّ بيتٍ بحرفٍ من اسمه ، وهذه اللعبةُ معروفة أيضا في الشعر الفرنسيّ باسم « أكروستيش Acrostiche » ، وقد سمّاها بعض المعاصرين « تطريزا » (16) . هذا وانّا لم نتوصّل إلى قراءة مفهومة لعجز البيتين السادس والسابع .

15

المقطوعة عدد 105 — ورقة 120 ب

«قال وهو ببرقة ، وقد سقاه بعض إخوانه شرابا أحمر في قدح زجاج أحمر .
«فأبى أبو القاسم من شربه (كذا) وظنّه ملآن وكان كبيرا . فقال : ليس
«هو ملآن ، وإنما ظهر لك أنّه ملآن لحمرة القدح ، فأخذه وشربه ، وقال
«بديها (كامل) :

«حَمْرَاءُ صِرْفًا أَلْبَسُوهَا أَحْمَرًا قَدْ أَنْصَفُوهُ فَخِلْتُهُ مَلْآنَا
«فَحَسِبْتُهُمْ جَارُوا عليّ ،ولَمْ يَكُن جَارُوا ، وَلَكِنِّي خُلِقْتُ جَبَانَا»

رأينا من المقطوعة عدد 28 أنّ شاعرنا كان يتعاطى الخمرة . وقد مرّ ابن هاني ببرقة ومدح أميرها أفلح الناشب بقصيدتين ، وبها قتل ، وبرقة ليس اسم الاقليم الشرقي الحالي من ليبيا ، بل اسم مدينة كانت تقع قرب بني غازي ، في مكان يدعى « المرج » .

وان دلّ البيتان على شيء ، فعلى ضعف شاعرنا في الارتجال والبديهة .

16

المقطوعة 107 — ورقة 122 ب

وقال في شخص يعرف بابن أبي زمّور ،وكان حشّاشا فعاد سقّاء (طويل) :

(16) صفاء خلوصي : فن التقطيع الشعري والقافية بيروت 1966 ص 375 .

«أيا ابنَ أبِي زَمُّورٍ المَاجِدَ الذِي تَبَدَّلَ كَيْ يُنْسى فلم يكُ مَنسيًا
«تَبَدَّلَ مَن جامِ الكَنيفِ بِقِرْبَةٍ وَكان طَعَامِيًّا فَعَادَ شَرَابِيًّا»

الـ«ـحشّاش» حسب السياق وحسب ما جاء في مادّة «حشش» في اللسان، قد يكون الشخص الذي توكل إليه وظيفة السهر على نظافة المراحيض (17)، ذلك ان «الحُشّ بالضمّ والفتح هو المتوضّأ، سمّي بذلك لأنّهم كانوا «يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين». وهذا الشخص الذي ملّ الكنيف فاستحال سقّاءَ ماءٍ، غيرُ معروف. ولا يخفى ما في البيتين من تعريض مرذول وفكاهة سخيفة.

17

المقطوعة عدد 108 — ورقة 123 أ

وقال يهجو رجلاً كاتبا اسمه أحمد بن عبّاس (رمل):

«أسقَطَ الحاءَ مِنَ الحَمْـــــدِ وَمَا ذَاكَ لِعِيّ
«إنَّمَا يُنْقِصُ حَرْفًا فِي الحُسَينِ بْنِ عَلِيّ»

لم نفهم الملحة في البيتين ان كان فيهما ملحة: أكان هذا الشخص يتعمّد ترك الحاء في كلامه؟ أكان يتندّر على الشيعة بتحريف أسماء أئمّتهم؟

18

المقطوعة عدد 109 — ورقة 123 أ

وقال في عبد الكريم يهجوه (خفيف):

«إنَّ عَبْدَ الكَرِيمِ يَغْضَبُ لِلْهَجْـــــوِ، علَى أنَّ عِرْضَهُ هَاجِيهِ
«لاَ تَلُمْنِي علَى الهِجَاءِ فَمَا يَهْـــجُوهُ إلاَّ تَمَكُّنُ القَوْلِ فِيهِ»

(17) انظر: دوزي: ملحق القواميس العربية، مادة حشش. الحشاش هو الذي يفرغ المراحيض عند امتلائها.

لم يخصّص ابن هانىء شعرا كثيرا للهجاء ، الاّ ما جاء ضمن مدائحه للمعزّ من تهجّم على خصوم الفاطميّين من أمويّين وعبّاسيّين وروم بيزنطيين وبرابرَ خوارج من مغراوة وزناتة خاصّة . وهذان البيتان لا يدلاّن على قَدَمٍ راسخة في هذا الغرض العريق . ولانعرف شيئاً عن عبد الكريم هذا .

***

2 — أبيات لابن هانىء مبثوثة في كتب الأدب ، ولم يتضمّنها ديوانه « تبيين المعاني » .

1

من الكامل :

« بَسَمَ الصباحُ لأعيُنِ النُّدَمَاءِ وَانشقّ جَيْبُ غِلاَلَةِ الظَّلْماءِ »

المرجع : خزانة الأدب لابن حجّة الحموي (ت 837/1433م) ط. القاهرة 1304 ص 4 .

وقد صدّر المؤلّف هذا الشاهد بقوله : « وما أحلى ما ناسب به ابن هانىء «قِسمِيْ» مطلعه بالاستعارات الفائقة ، حيث قال ... » .

ولا يوجد في الديوان قصيدة على هذا الوزن وهذا الرويّ المكسور الاّ القصيدة الثانية ، ولكنّ لها مطلعا غير هذا :

« يا ربَّ كلّ كتيبةٍ شهباءِ ومآبَ كُلّ قصيدةٍ غرّاءِ »

2

(كامل)

« هـَذَا أميرُ المُؤْمنينَ بِمَجْلِسٍ أبْصرْتُ فيهِ الوَحْيَ والتّنزيلاَ

« وَإذَا تَمثّلَ رَاكِباً في مَوْكِبٍ عَايَنْتُ تَحْتَ رِكابِهِ جبريلاَ »

المرجع : محمّد كامل حسين : طائفة الاسماعيليّة : تاريخها ، نظمها ، عقائدها . القاهرة 1959 ص 159 .

لم ينسب المؤلّف البيتين إلى محمّد بن هانيء وإنما قال : « وقال شاعر آخر ... » . ولكنّ شطر البيت الثاني ورد على هذه الصورة تقريبا في البيت 29 قصيدة 41 في ديوان « تبيين المعاني » ، والقصيدة من نفس الوزن والرّويّ . وهذا ممّا يحمل على الاعتقاد بأنّهما منقولان عن هذه القصيدة المعروفة ومحرّفان .

والمرحوم محمد كامل حسين كان مختصّا بتاريخ الفاطميّين ، وهو منشىء سلسلة المنشورات الفاطميّة ، وقد كان ينوي نشر كتاب « المجالس والمسايرات » للقاضي النعمان ، فحال الأجل دون ذلك . وكان للمرحوم ح. ح. عبد الوهاب نسخة مصوّرة من هذا الكتاب النفيس الذي لابدّ لكلّ دارس للفترة المغربيّة من تاريخ الفاطميّين ، من الرجوع إليه ، ولكنّ الأيدي لعبت بها فافتقدت من مخلّفات العلاّمة التونسيّ التي أهداها إلى المكتبة الوطنيّة (18) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

3

« ولابن هانيء الأندلسي في قبقاب ، وهو نعل يصنع من الخشب ، وهو «محدث بعد العصر الأوّل ، ولفظه مولّد أيضا ، لم يُسمع من العرب كما قاله «الأزهريّ (خفيف) :

« كنتُ غُصْنًا بيْنَ الرياضِ رطيبا   مائِسَ العِطفِ من غِناء الحَمَامِ »
« صِرتُ أحكي عِداك في الذل إذ صر   تُ برغمِي أداسُ بالأقدامِ »

(18) انظر ثبتا بالمخطوطات المهداة في « حوليات الجامعة التونسية » العدد السابع (1970) ص 133 . وانظر ما كتبه فرحات الدشراوي : بمجلة «كراريس تونس» الفرنسية اللغة – سنة 1956 ص 295 وسنة 1959 ص 317 وكذلك مجلة « أرابيكا » ج 8 ص 189 ، وكذلك ما نقله عن المجالس في أطروحته – باريس 1970 .

المرجع : ريحانة الألبّاء وزهرة الحياة الدنيا للشهاب الخفاجيّ (ت1069/1658م) ، تحقيق عبد الفتّاح الحلو القاهرة 1967 ج 1 ص 187 .

ويقول المحقّق في التنبيه عدد 3 : والبيتان ممّا ليس في ديوانه .

ولا شكّ انّ صاحب الكتاب يعني بابن هانىء صاحبنا ، إذ يورد في الصفحات الموالية شواهد من شعره معروفة في ديوانه (انظر القطعة القادمة) .

4

(كامل)

« عاطَيْتُهُ كأساً كأنّ شعاعَها شمسُ النّهارِ يُضيئُهُ إشراقُها

« انظرْ إليْهِ كَأنّهُ متنصّلٌ بجفُونه ممّا جنَتْ أحداقُها

« وكأنّ صفْحةَ خدّهِ وعِذارَهُ تفّاحةٌ حُفّتْ بِها أوْراقُها »

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

المرجع : هو المرجع السابق ج 1 ص 260 وقد أورد الأبيات تعليقا على أخرى لشاعر آخر ، فقال : « وأصلها لابن هانىء الأندلسي » ثمّ ساق الأبيات الثلاثة .

وانّ الشطر الأوّل من البيتين الثاني والثالث وردا على لفظهما في القصيدة الرابعة من « تبيين المعاني » ويسوق الخفاجي هذه الأبيات المشتركة من القصيدة البائيّة (قصيدة 4) اثر الأبيات القافيّة مباشرة .

وقد نقل المحبّي (ت1111/1699م) هذه الأبيات القافيّة ثمّ البائيّة ، في « خلاصة الأثر » ، القاهرة 1284 ج 1 ص 137 ، نقلها عن الريحانة .

5

(طويل)

« سأبْكي عليكَ مدةَ العمْرِ إنّني رأيتُ لَبيداً في الوَفاءِ مقَصّرا »

المرجع : المحبّي أيضا في « نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة » تحقيق عبد الفتاح الحلو القاهرة 1967 ج 1 ص 253

هذا البيت لا يوجد ضمن القصيدة 23 وهي الوحيدة في الديوان على هذا الرويّ وهذا الوزن . والقصد بحكم لبيد هو بكاء الحَوْلِ على الفقيد : « ... ومن يبك حَوْلاً كامِلاً فَقَدِ اعتَذَرْ »

6

(كامل)

« حَلَفَ الزَّمَانُ ليَأتِيَنَّ بِمِثْلِه
حَنَثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ ، فَكَفِّرِ ! »

المرجع : نُسَخٌ مخطوطة من الديوان بأكسفورد وباريس ونسخة تونس 1 ونسخة ح. ح. عبد الوهاب المشار إليها (تقييد 2) وقد أثبته زاهد عليّ بذيل القصيدة 20 من الديوان المطبوع ، ولم ندر لماذا لم يدخله في جملة أبياتها . وقد وشّح المرحوم ح. ح. عبد الوهاب بهذا البيت خطابه في حفل تَسَلُّمِهِ جائزةَ الدولة ، وتساءل الناس آنذاك عن صاحب هذا البيت .

7

(رمل)

« لاَ تَلُمْنِي عَاذِلِي حِينَ تَرَى
وجهَ مَنْ أهْوَى ، فَلَوْمِي مُسْتَحِيلْ »

« لَوْ رَأى وجهَ حَبِيبِي عَاذِلِي
لتَفَارَقْنَا عَلَى وَجْهٍ جَمِيلْ »

المرجع : أبو القاسم محمد كرّو — ابن هانيء ، تونس 1967 ص 40 .

8

(طويل)

« على نَفَرٍ ضرْبُ المِئِينَ وَلَمْ أَزَلْ
بِحَمْدِكَ مِثْلَ الكَسْرِ يُضْرَبُ فِي الكسرِ

المرجع : الباخرزيّ (تـ 1074/467) تحفة القصر وعصرة أهل العصر . بغداد 1970 ص 231 عدد 65 .

في الديوان قصيدة على هذا الروي وهذا الوزن ـ قصيدة عدد 18 ـ ولكن هذا البيت مفقُود منْها .

محمد اليعلاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

9

استدراك وزيادة على القصائد المنشورة في العدد السادس من الحوليات

قد فاتنا ان ننبه الى ان القصيدة عدد 62 التي نشر منها المرحوم زاهد علي 74 بيتا ، قد ورد منها في نسخة تونس 1 تسعون بيتا ، وها نحن ننشر هذه الابيات الاضافية التي خلا منها ديوان « تبيين المعاني ... »

القصيدة 44 ورقة 48 ب من مخطوط تونس 1 عدد 13746

وقال من غير الاصل المنقول عنه يمدح جعفر ويحي ابني علي يوم عيد الفطر : (طويل)

11 .... وقد كان لي منه شفيع مشفع
به يمحق الله الذنوب ويغفر

12 .... فهل يقبل الصوم الذي أنا صائم
لبعدي عنه أو أثاب فأؤجر ؟

15 .... لقد ود هذا الشهر أن دام سرمدا
عليك دراكا يتبع العصر أعصر

16 كما ود هذا الشهر لو لم يفز به
سواك حنيف في العباد مطهر

31 .... وجددته ، وهو الجديد بقاؤه
وواصلت منه كل ما كنت تهجر

35 .... وانك لو لم تعتد لبنائه
بنته الليالي والقضاء المقدر

44 .... لئن كان اكبارا يعظم شأنه
فكل عظيم عند قدرك يصغر

47 .... فما للعلى من خلفه متقدم
وما للعلى من بعده متأخر

70 .... تخطى (بياض بالاصل)
والرمل أغفر

82 .... كأن الكحيل الجون ، والروض موقد
مجامره ، مسك عليها وعنبر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأكثـر من ألبـانهـا من يخصهـا
اذا جـاءها عـاف من النـاس مقتر

يفرقهـا في الجـود ألفـا لـواحـد
ورعيـانهـا فيهـا ومـا يتنظـر !

ومـا مثلها مما تعـاظم في النـدى
ولا غيرهـا ممـا يقـل ويكثـر

فيـا مالكـا لم يعلم النـاس كنهـه
وفي خلقـه علم عليـه مستـر

ويـا شـرفـا لا يستخص قبيلـه
ويـا مثـلا في الغـابـرين يسير

أرى النـاس أفواجـا أليك كـأنمـا
من الزاب بعث أو من الزاب محشر

لأنت لمـن قـد مـزق الـدهـر شمله
ومعشـره بالبين ، أهـل ومعشـر

ومـا للندى والبذل تمدح ، انمـا
مدحناك للحق الـذي ليس ينكـر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنبيـه : سقط من تونس ١ البيت 61 من القصيدة المنشورة

ـ ذكـر المقري في نفح الطيب ج 5 من طبعة عبد الحميد ص 186 بضعة ابيات من القصيدة منها البيتان 88 و 89 .

أيمن بن خـريم الأسـدي

اخبـاره واشعـاره

بقلم : الطيب العشاش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قائمة المصادر والمراجع والرّموز (*)

1) العربيّة :

آداب زيدان : تاريخ آداب اللغة العربيّة : تأليف جرجي زيدان دار الهلال 1957 .

آداب نالينـو : تاريخ آداب اللغة العربيّة تأليف كارلونالينوط 1 . دار المعارف . مصر 1954 .

أدب الشيعـة : أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجريّ : تأليف عبد الحسيب طه حميده . مطبعة السعادة مصر 1956/1376 .

* رتبنا المصادر والمراجع العربية ثم الأعجمية ترتيبا أبجديا معتبرين حروف رمز اختصرناه من العنوان وأحيانا من العنوان واسم المؤلف ورمزنا به إلى الكتاب واستعملناه في التعاليق على الدراسة وفي تخريج الأشعار وذكر اختلاف روايتها . ووضعنا بعد الرمز العنوان كاملا ثم اسم المؤلف ثم تاريخ الطبعة ومكانها وذكرنا بين قوسين بعد اسم المؤلفين القدامى تواريخ وفياتهم بالتاريخ الهجري مسبوقة بحرف م وهذا لأننا رتبنا المصادر في التخريج ترتيبا زمنيا.

أدب فرّوخ : تاريخ الأدب العربي تأليف عمر فرّوخ ط 2 : دار العلم للملايين بيروت 1969 .

الاستيعاب : الاستيعاب في أسماء الأصحاب تأليف ابن عبد البر النمري (م 463) ط. مصطفى محمّد مصر 358و/1939 .

الإصابة : الإصابة في تمييز الصحابة تأليف ابن حجر العسقلاني (م852هـ) ط. مصطفى محمد . مصر 1939/1358 (على هامش الاستيعاب) .

الأعلام : كتاب الاعلام : تأليف خير الدين الزركلي ط. 3 بيروت 1969/1389 .

الأغاني : كتاب الأغاني : تأليف أبي الفرج الإصفهاني (م356) طبعة الحاج ساسي مطبعة الجمهور مصر 1323هـ .

أمالي القالي : كتاب الأمالي تأليف ابى علي القالي (م356) ط . 3 مطبعة السعادة بمصر 1373هـ .

بغال الجاحظ : كتاب القول في البغال تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (م255هـ) مطبعة البابي الحلبي وأولاده القاهرة 1375هـ/1955 .

البياز والتبيين : كتاب البيان والتبيين : تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (م255) ط. 2. مكتبة الخانجي بمصر مكتبة المثنّى ببغداد 1380هـ/1960م .

تاج العروس : تاج العروس من جواهر القاموس شرح القاموس المحيط للفيروزابادي : تأليف مرتضى الزبيدي (م1205) ط. 1 المطبعة الخيرية بمصر 1306 و1307هـ .

تاريخ ابن عساكر : كتاب التاريخ الكبير : تأليف ابن عساكر الدمشقي (م571) مطبعة روضة الشام . 1331هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ الطبري : تاريخ الرّسل والملوك : تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (م : 310هـ) مطبعة دار المعارف بمصر 1960 .

تقريب التهذيب : كتاب تقريب التهذيب تأليف ابن حجر العسقلاني (م : 852) مطبعة المكتبة العلميّة بالمدينة المنوّرة 1380هـ .

تمثيل الثعالبي : كتاب التمثيل والمحاضرة : تأليف أبي منصور الثعالبي (م 429) مطبعة دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1381هـ/1961 .

تنبية البكري : كتاب التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه تأليف أبي عبيد البكري (م 487) ط. 3 مطبعة السعادة بمصر 1373هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنبية المسعودي : كتاب التنبيه والإشراف تأليف أبي الحسن المسعودي (م 345) طبع المكتبة العصريّة ببغداد 1357هـ/1938م .

تهذيب التهذيب : كتاب تهذيب التهذيب : تأليف ابن حجر العسقلاني (م 852) ط. 1 حيدر آباد الدكن بالهند 1325هـ .

الحماسة البصرية : كتاب الحماسة البصرية تأليف صدر الدين البصري (م : 659) ط. حيدر آباد الدكن بالهند 1383هـ/1964م .

حيوان الجاحظ : كتاب الحيوان : تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (م 255) ط. 1 البابي الحلبي وأولاده بمصر 1356هـ/1938م .

ديوان المعاني : كتاب ديوان المعاني تأليف أبي هلال العسكري (م 395) مكتبة القدسي بالقاهرة 1352هـ .

سمط اللاليء : سمط اللآلئ (اللآلئ في شرح امالي القالي : تأليف أبي عبيد البكري (م 487) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1354/1936 .

شرح الحماسة : شرح ديوان الحماسة (حماسة أبي تمام) تأليف أبي زكريا يحيى التبريزي(م 502) القاهرة . دون تاريخ) .

شعر الأقيشر : الأقيشر الأسدي أخباره وأشعاره جمعها وحقّقها الطيّب العشّاش حوليات الجامعة التونسيّة عدد 8 1971 .

شعر الشائب : تاريخ الشعر السّياسي إلى منتصف القرن الثاني : تأليف أحمد الشائب ط. 4 . مكتبة النهضة المصريّة 1966 .

الشعر والشعراء : كتاب الشعر والشعراء : تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (م . 276) دار الثقافة بيروت 1964 .

شعر الكفراوي : تاريخ الشعر العربي : تأليف محمّد عبد العزيز الكفراوي . مكتبة نهضة مصر . 1961 .

الصّناعتين : كتاب الصّناعتين الكتابة والشعر : تأليف أبي هلال العسكري (م 395) ط 1 . دار احياء الكتب العربيّة مصر 1371هـ/1952م .

طبقات ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : تأليف محمد بن سعد (م 230) مطبعة بريل ليدن (1320—1325هـ) .

الطّوال : الأخبار الطّوال تأليف أبي حنيفة الدينوري (م282) ط 1 عيسى البابي الحلبي وشركاه 1960 .

العقد الفريد : كتاب العقد الفريد : تأليف أحمد بن عبد ربه (م328) مطبعة الإستقامة بمصر 1359هـ/1940م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيون الأخبار : كتاب عيون الأخبار تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه (م 276) ط1 . دار الكتب المصريّة القاهرة 1346هـ/1928م .

قاموس الرّجال : قاموس الرّجال : تأليف الحاج الشيخ محمّد تقى الششتري مركز نشر الكتاب بتهران 1379هـ .

قطب السّرور : قطب السرور في أوصاف الخمور : تصنيف أبي اسحاق إبراهيم الرّقيق (م نحو 417) ط 1 . مطبعة التعاونيّة بدمشق 1389هـ/1969م .

كامل الأدب : كتاب الكامل تأليف أبي العباس محمّد بن يزيد المبرّد (م 285) مطبعة نهضة مصر بالقاهرة (بدون تاريخ) .

اللسان : لسان العرب لابن منظور القفصي (م 711) طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب) .

المحبّر : كتاب المحبّر : تأليف أبي جعفر محمّد بن حبيب (م 245) مطبعة حيدر آباد الدكن 1361هـ/1942م .

المعارف : كتاب المعارف : تأليف أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (م 276) مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1960 .

معجم الأدباء : معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب تأليف ياقوت الحموي (م 626) نشر مرجليوث مصر 1923 .

معجم البلدان : معجم البلدان : تأليف ياقوت الحموي (م 626) طبعة ليبسيك (1866—1871) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

معجم الشعراء : معجم الشعراء : تأليف أبي عبيد الله المرزباني (م 384) دار إحياء الكتب العربيّة القاهرة 1379هـ/1960م .

ملائكة المعرّي : رسالة الملائكة : تأليف أبي العلاء المعرّي (م 449) مطبعة الترقّي بدمشق 1363هـ/1944م .

الموشح : الموشح أو مآخذ العلماء على الشعراء تأليف أبي عبيد الله المرزباني (م 384) ط. دار نهضة مصر 1965 إ

نقد الشعر : نقد الشعر تأليف قدامه بن جعفر (م 337) مطبعة بريل ليدن 1956 .

نهاية الأرب : نهاية الأرب في فنون الأدب : تأليف أحمد بن عبد الوهّاب النويري (م 723) نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب

وقعة صفّين : كتاب وقعة صفين : تأليف نصر بن مزاحم المنقريّ (م 212) ط. 2 دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1382هـ

2) الفرنسيّة

آثار ماسينيون = Louis Massïgnon : Opera Minora, Beirut - Liban, 1963

فصل بيلا : فصل أيمن بن خريم : كتبه شارل بيلا Charles Pellat بدائرة المعارف الاسلامية 807/I من الطبعة الثانية : EI_2 I/807

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أخبار * أيمن بن خريم الأسدي

1) تقديمه :

هو على أتمّ (1) الرّوايات : أيمن بن خريم بن الأخرم بن (شدّاد) (2) بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وقد جاء في بعض المصادر (3) أنّ جدّه الأخرم يقال له الفاتك وفي أخرى (4) أن الفاتك هو ابن الأخرم لا الأخرم نفسه . وليس عظيما أن يختلف الرواة هذا الاختلاف الطفيف نسبيّا وعلى كلّ فالمشهور أنّه أيمن بن خريم (5) الأسدي وهو من بني عمرو بن أسد . وهو يكنى أبا عطيّة (6) ويلقّب « بخليل الخلفاء » (7) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

2) نشأته :

من الصعب — أو المستحيل — أن نعرف بدقّة سنة ولادته ومكانها . وقد يكون في تقديم أبيه ما يُعيننا على ذلك . تذكر لنا المصادر أباه وكنيته

---

* أهم المصادر لترجمة هذا الشاعر . الشعر والشعراء 453 — 454 والأغاني وخاصة XXI/(4 — 8) وأهم المراجع الحديثة فصل بيلا وأدب فروخ 473/I — 478. وغايتنا هنا جمع ما يمكن جمعه من أخبار الشاعر وتبويبها حول محاور تعين على تبين الخطوط الكبرى لحياته.

(1) الأغاني 5/XXI ؛ طبقات ابن سعد 24/VI (ترجمة خريم) تاريخ ابن عساكر 187/III .

(2) زيادة من طبقات ابن سعد 24/VI وتاريخ ابن عساكر 187/III والإصابة 423/I .

(3) الإستيعاب 426/I.

(4) الإصابة 423/I وفصل بيلا.

(5) جاء في بعض المصادر — تصحيفا — خزيم (بالزاي المعجمه) أو خديم (بالدال المهملة) ولم نعتبر ذلك.

(6) تاريخ ابن عساكر 187/III وتهذيب التهذيب 392/I.

(7) الإصابة 103/I (نقلا عن الصولي) وفصل بيلا . وبغال الجاحظ 63 تعليق 4 : اللقب شاعر الخلفاء .

أبو يحيى أو أبو أيمن (8) ولقبه الناعم (9) ولا خلاف في أنّ لأبي أيمن صحبة ولكن الاختلاف في تاريخ مشاركته في بعض الغزوات وبالتالي في تاريخ إسلامه .

يذكر ابن سعد (10) ما ذكره الشعبي عن أيمن بن خريم «أن أباه وعمّه شهدا بدرا» ولكنه يردّ هذه الرّواية معتمدا قول محمّد بن عمر «إنّهما لم يشهدا بدرا» ويردّها أيضا ابن عساكر ويضيف (11) «وقوله شهدا الحديبيّة أقوى من قول من قال شهدا بدرا» ويوافقهما ابن حجر العسقلاني ويزيد الأمر توضيحا معتمدا كذلك قول محمّد بن عمر فيقول (12) «وهذا ما لا يعرف عندنا وإنما أسْلَمَا حين أسلمت بنو أسد بعد فتح مكّة» . غير أن ابن عبد البرّ روى كذلك الرّوايتين وغلب الأولى قائلا (13) «وقد صحّح البخاري وغيره أن خريم بن فاتك الأسدي وأخاه سبرة بن فاتك شهدا بدرا وهو الصحيح إن شاء الله» وتعرض إلى هذه المسألة من بين المعاصرين عمر فرّوخ (14) مغلبا قول من قال «ان خريما أسلم يوم فتح مكّة» ومعروف أن غزوة بدر وقعت في السنة الثانية للهجرة وغزوة الحديبيّة في السّادسة وفتح مكّة في الثامنة فإن صحّ أن أيمن أسلم مع أبيه وعمّه في السنة الثانية أو السادسة أو الثامنة «وهو غلام يفاع» (15) فاستنتاج عمر فروخ

---

(8) الاستيعاب 426/I والاصابة 423/I.

(9) فصل بيلا ؛ لم أجد هذا اللقب في ما عدت إليه من مصادر ولعله لما كان يتصف به خريم من «طول جمته وإسبال إزاره وقد لامه الرسول على ذلك فقطع جمته إلى أذنيه ورفع إزاره إلى نصف ساقه» انظر : مثلا الإستيعاب 426/I — 427 .

(10) طبقات ابن سعد 25/VI والمقطوعه رقم 16 .

(11) تاريخ ابن عساكر 188/III .

(12) تهذيب التهذيب 139/I .

(13) الاستيعاب 426/I .

(14) أدب فروخ 473/I والتعليق رقم 6 بنفس الصفحة ويبدو أن عمر فروخ لم يطلع على الرواية الأولى أو أنه لم يعتبرها .

(15) الاستيعاب 67/I والإصابة 103/I (نقلا عن ابن عبد البر وهو غلام يفعة) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقبول إذ قال (16) وعلى هذا يجب أن يكون مولده قبيل الهجرة بقليل » ولم تذكر لنا المصادر مكان ولادته ولكن عمر فروخ بعد أن ذكر سنة إسلام خريم قال (17) « وهذا يدل على أن خريما كان من أهل الحجاز وربّما من أهل مكّة نفسها » فهل يعني هذا أن أيمن ولد بمكّة ؟ يصعب الجواب خاصّة وأن استنتاج فروخ نفسه يصعب الوثوق به ولعل في تتبّع أخبار أبي أيمن ما يعيننا على معرفة موطن نشأة ابنه يذكر ابن حجر العسقلاني (18) نقلا عن محمّد بن عمر أن خريما تحول مع أخيه بعد فتح مكّة : « إلى الكوفة فنزلاها ..... وقيل نزلا الرقّة وماتا بها في عهد معاوية » وقد عدّه إبن عبد البرّ (19) « في الكوفيين » ولكنه قال عنه أيضا (20) « عداده في الشاميّين » وقد اقتصر ابن سعد (21) على عدّه في الكوفيين . أما أيمن بن خريم فيقول عنه ابن عبد البرّ (22) إنّه «شاميّ الأصل نزل الكوفة» ويزيد ابن عساكر هذا الأمر توضيحا فيقول (23) كان يسكن دمشق في محلّة القصّاعين ثم تحوّل إلى الكوفة » ومن المعاصرين (24) من يشير إلى استقراره بالكوفة ومعروف (25) انّ من بني عمرو بن أسد قوم أيمن من استقرّوا بالكوفة بعد تمصيرها وخاصّة في الجنوب الغربي منها .

---

(16) أدب فروخ 473/I .

(17) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(18) الإصابة 423/I وتهذيب التهذيب 139/III .

(19) الاستيعاب 427/I .

(20) المصدر السابق 426/I .

(21) طبقات ابن سعد 24/VI – 25 (والجزء السادس خاص بالكوفيين) .

(22) الاستيعاب 67/I .

(23) تاريخ ابن عساكر 187/III .

(24) فصل بيلا وأدب فروخ 474/I .

(25) آثار ماسينيون 37/III (والخريطة ص 36) .

3) أهمّ صلات أيمن بن خريم بالرّسول والخلفاء والأمراء في عصره .

أ) صلاته بالرّسول :

في بعض المصادر (26) «كانت له صحبة» ولكنّ بين الرّواة في هذا اختلافا فقد ذكر ابن عساكر (27) اسنادا للعجلي « أنّه تابعي » كما يذكر ذلك ابن حجر (28) بنفس الإسناد بعد قوله « مختلف في صحبته » وطبيعي بعد هذا أن يختلف الرّواة في رواية أيمن بن خريم عن الرّسول مباشرة ويقول ابن حجر (29) « وأخرج له الترمذي حديثا عن النبيء صلى الله عليه وآله وسلّم واستغربه وقال لا نعرف لأيمن سماعا من النبيء صلى الله عليه وآله وسلم » . ثم يضيف (30) نقلا عن الدار قطني : « أمّا أنا فما وجدت له رواية إلاّ عن أبيه وعمّه » . وفي تاريخ ابن عساكر (31) بدون إسناد « حدّث عن النبي (صلعم) حديثين (32) اختلف في أحدهما » والخلاصة أنه إذا صحّ أن أيمن ولد قبيل الهجرة وأسلم بعيدها فمن الممكن أن يكون قد عرف الرّسول ولكن ليس في أخباره ما يجعلنا نقطع بأنه غزا معه أو روى عنه .

ب) صلاته بالخلفاء الرّاشدين

ليس في أخباره ما يشير إلى أنه اتّصل بأبي بكر أو عمر بن الخطّاب

---

(26) كامل الأدب 30/III ، تاريخ ابن عساكر 187/III والإصابه 103/I (نقلا عن المبرد ثم عن المرزباني) .

(27) تاريخ ابن عساكر 187/III .

(28) تهذيب التهذيب 392/I وتقريب التهذيب 88/I .

(29) الإصابة 103/I .

(30) المصدر السابق وجاء هذا كذلك في : الإستيعاب 69/I .

(31) تاريخ ابن عساكر 187/III .

(32) الحديث الأول قول الرسول لأيمن : إن قومك أسرع العرب هلاكا . والثاني قوله : يا أيها الناس عدلت شهادة الزور الشرك بالله . وأنظر في الحديثين المصدر السابق نفس الجزء ونفس الصفحة .

أو عثمان بن عفّان ولكن في شعره (33) ما يدلّ على أنّه رثى الخليفة الثالث ولهذا قيمة كبرى في بيان مذهبه السياسيّ (34) .

ج) بين علي ومعاوية :

الحاصل من مختلف الرّوايات أن أيمن بن خريم « اعتزل عليّا ومعاوية » (35) وإن كان كما قال ابن سعد (36) « ... فارسا » « وقد شارك قومه بنو أسد إلى جانب معاوية (37) وفي إحدى الروايات (38) أن « معاوية جعل له فلسطين على أن يتابعه ويشايعه على قتال علي » فأبى .

د) صلاته بسائر خلفاء بني أمية وأمرائهم :

يروى (39) أنه « غزا مع يحيى بن الحكم أخي مروان بن الحكم بن العاص .

والرّاجح من الرّوايات (40) أن مروان بن الحكم هو الذي طلب من أيمن بن خريم أن « يخرج فيقاتل معه » وليس معاوية ولا عبد الملك بن مروان وقد قال ابن عساكر (41) « ... والرواية التي تقول إن الذي طلب منه القتال عبد الملك بن مروان وَهْمٌ وإنّما الذي قال له ذلك مروان يوم المرج يوم قتل الضحاك بن قيس » . وإن صحّ في هذا الخبر السابق أن أيمن بن خريم رفض القتال مع مروان وكان يقاتل ابن الزبير فإنه على ما قيل (42)

(33) المقطوعة رقم 3 .
(34) انظر التعليق رقم 78 و 81 خاصة .
(35) وقعة صفين 430 ثم 503 وقاموس الرجال 140/II .
(36) طبقات ابن سعد 25/VI وكذلك تنبيه البكري 37 .
(37) وقعة صفين 13 والمقطوعة رقم 6 .
(38) وقعة صفين 503 والمقطوعة رقم 6 .
(39) الشعر والشعراء 454 ولعل الزركلي اعتمد هذا المصدر ليقول عن أيمن بن خريم « وكان يشارك في الغزو... » .
(40) انظر التعليق على المقطوعة رقم 16 .
(41) تاريخ ابن عساكر 188/III والتعليق على القطعة 6 و 16 .
(42) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« قد اعتزل عبد الملك حينما كان بينه وبين عمرو بن سعيد ما كان » . وفي الأغاني (43) إن المنازعة وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان وذلك نيابة عن أخيه (44) ولكن لئن جاءت الأخبار بأن أيمن بن خريم قد اعتزل عبد الملك بن مروان ولم يشايعه فقد ذُكر (45) أنه كان من شعراء بلاطه أو أنه كان ينال عطاءه كما كان هذا الخليفة يستجيد شعره (46) وإن كان يبدو أن صلة أيمن بعبد الملك بن مروان كانت دون صلاته بأخَوَيْه بشر وعبد العزيز يذكر لنا أبو الفرج الاصفهاني (47) أن أيمن بن خريم كان يحضر مجلس عبد العزيز بن مروان بمصر وأن « هذا الأمير صبر على مؤاكلة أيمن بن خريم سنة وبه من البرص ما به » وقبله قال ابن قتيبة (48) إنّ أيمن « كان مع عبد العزيز بن مروان » كما قال (49) انه : « كان أثيرا عنده » ولقد حاول عمر فروخ تحديد مدّة إقامة أيمن عنده فقال (50) « وبقي عنده في مصر نحو عام واحد ولعل ذلك كان سنة 72—73هـ/691م » ولكن يبدو أن تحقير أيمن بن خريم من شأن نصيب الشاعر المتوفى عام 108هـ/726م وردّ عبد العزيز بتفضيله والاشارة إلى ما كان بأيمن من برص احتمله له (51) كان سبب إنتقال الشاعر إلى أخيه بشربن مروان أمير العراقين والمتوفّى عام 75هـ/694م . ولعل ذلك كان سنة 73هـ وفي شعره مقطوعة (52) تشير إلى هذا التحول ويمدح فيها الأمير الجديد وليس في ما بين أيدينا من

(43) الأغاني XXI/6 .
(44) المقطوعة رقم 13 .
(45) الأغاني XXI/5 – 6 والمقطوعة رقم 2 .
(46) الأغاني XXI/6 والمقطوعة رقم 1 .
(47) الأغاني XXI/8 والتعليق على المقطوعة رقم 4 .
(48) المعارف 582 .
(49) الشعر والشعراء 453 .
(50) أدب فروخ I/474 .
(51) الأغاني I/127 و XXI/8 ،ويعتبر أيمن من « البرص الأشراف » انظر : المحبر 302 .
(52) المقطوعة رقم 4 .

مصادر أخبار أدق وأوفى عن علاقة أيمن بن خريم بالخلفاء الأمويين وأمرائهم وإن جاء بصورة عامّة (53) أنه كان «يلقب بخليل الخلفاء» .

4) أيمن بين اللهو والنسك :

وليس بين أيدينا أخبار عن حياة أيمن الإجتماعية ولو لم يجيء أن لقبه خليل الخلفاء «لإعجابهم به وبحديثه وفصاحته وعلمه» (54) لظننّا أنه كان ينادمهم ولتأكّد ذلك عندنا لو لم يُشكّك كذلك في القصيدة الرائية الخمرية (55) وممّا يضعف هذا الظنّ أيضا ما قيل (56) من أنه كان «.... أنسك رجل من أهل الشام» ولا يمكن في الحقيقة أن نجزم بشيء إلاّ بقلّة الأخبار حول هذه النقطة وهذه الأخبار كانت تكون جدّ مفيدة .

5) وفاة أيمن بن خريم :

ليس لنا أخبار عن آخر حياة أيمن بن خريم ولم تذكر المصادر القديمة سنة وفاته ولا مكانها غير ان الزركلي)57) ذكر ان وفاته كانت «حوالي سنة 80هـ/700م» ثم ذكر هذه السنة أيضا عمر فرّوخ وقال (58) «ولعلّ وفاة أيمن بن خريم كانت في أيّام عبد الملك في نحو سنة 80هـ/عام 699م» ونحن إذا اعتمدنا ما ذكر من صلات أيمن بعبد العزيز بن مروان سنة 72 أو 73 وبأخيه بشر سنة 73 من ناحية وصلاته بعبد الملك بن مروان من ناحية ثانية وما كان قاله في الخوارج وأهل العراق سنة 76هـ من ناحية ثالثة إن كان

(53) التعليق رقم 7 .

(54) الإصابة 127/I (نقلا عن الصولي) .

(55) المقطوعة رقم 10 .

(56) وردت الإشارة إلى نسكه مثلا في وقعة صفين ص 430 وفي صفحة 503 : وكان أيمن رجلا عابدا مجتهدا» .

(57) الأعلام 378/I .

(58) أدب فروخ 474/I ثم التعليق رقم 3 بنفس الجزء والصفحة وفيه إشارة إلى أن فروخ اعتمد الأعلام أولا ثم المقطوعتين رقم 1 ورقم 2 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك صحيحا (59) فإنّه يمكننا ان نقبل استنتاج الزركلي وعمر فرّوخ أو على الأصحّ أن نقول إن هذا الشاعر يجب أن يكون قد توفي بعد سنة 76هـ ومعروف أن التدقيق في مثل هذه الأمور صعب إن لم يكن غير ممكن وإن كان مفيدا .

أشعار أيمن بن خريم الأسدي

1) ملاحظات عامة :

لئن اختلف الرّواة والمؤرخون في إعتبار أيمن بن خريم محدّثا أو نفوا ذلك فإنّ الإشارات إلى كونه شاعرا عديدة نسبيّا فقد عدّه نصر بن مزاحم المنقري (60) «..أنسك رجل من أهل الشام وأشعره .....» وعدّه إبن سعد (61) «... شاعرا» وهو السابع والتّسعون من الشعراء الذين ترجم لهم ابن قتيبة (62) وجمع لنا منتخبات من أشعارهم هذا في القرن الثالث أمّا في القرن الرّابع فقد عدّه الاصفهاني من الشعراء الذين غنّي (63) في شعرهم وقد يكون المرزباني ترجم له في معجمه (64) واختار له الثعالبي في القرنين الرّابع والخامس أمثالا من شعره في «باب الأبيات السائرة للمخضرمين» (65) واعتبرهُ ابن عبد البرّ في القرن الخامس أيضا «شاعرا محسنا» (66) وقال عنه ابن عساكر في القرن السادس «كان شاعرا» (67)

---

(59) المقطوعة رقم 17 والتعليق عليها ثم التعليق رقم 84 من الدراسة .

(60) وقعة صفين 431 (ولعله يقصد في عهد معاويه) .

(61) طبقات ابن سعد 25/VI .

(62) الشعر والشعراء 453-454 (وإن لم يذكر لفظة شاعر أو حكما عن شعره) .

(63) المقطوعة رقم 2 مثلا .

(64) معجم الشعراء 518 (وهو – حسب تكملة الناشر – من الشعراء الذين ذكروا في معجم الشعراء ولا يوجدون في المخطوطة الناقصة التي كانت بين يديه) .

(65) تمثيل الثعالبي 61 و66 ثم 151 والمقطوعة رقم 19 .

(66) الاستيعاب 67/I .

(67) تاريخ ابن عساكر 187/III .

وأعاد النويري في القرن الثامن ما كان ذكره الثعالبي في باب ما يتمثّل به من أشعار المخضرمين » (68) وفي القرن التاسع أشار ابن حجر إلى كونه شاعرا (69) ولقد درسه من بين الشعراء ـ وشعراء السياسة على الخصوص (70) جميع من ذكرنا تآليفهم في تاريخ الأدب من المعاصرين ولكن جميع هؤلاء وأولئك لم يذكروا ديوان أيمن بن خريم ولسنا نعرف هل صنع أو جمع أم لا . فهذا من ناحية واختلاف المؤرخين والنقاد في مذهبه السياسي من ناحية ثانية والرّغبة في المساهمة في جمع الشعر العربي القديم ودراسته كلّ هذا حفزني على البحث عن أخبار أيمن بن خريم وأشعاره قصد جمعها وتحقيقها وفي ما يلي بعض الملاحظات العامة عن أشعاره قبل تقديمها محقّقة مع ذكر مصادرها واختلاف رواياتها والتعليق عليها وهذا جدول القوافي وعدد المقطوعات وعدد الأبيات :

	القافية	عدد المقطوعات	عدد الأبيات
	الهمزة	1	6
	الباء	1	10
	الحاء	1	6
	الدّال	5	29
	الرّاء	4	21
	الزّاي	1	4
	السين	2	13
	الشين	1	3
	الطاء	1	10
	العين	1	9
	اللام	1	3
	الميم	2	2
	الياء	1	3
المجموع	13	22	119

(68) نهاية الأرب 70/III و73 والمقطوعة رقم 19 .
(69) تهذيب التهذيب 392/I وتقريب التهذيب 88/I .
(70) انظر الفقرة الخاصة بمذهبه السياسي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والملاحظ أن المقطوعات رقم 5 و7 و8 و10 و21 مشكوك في نسبتها إلى أيمن بن خريم فإن نحن حذفناها أو وضعناها على حدة يبقى له سبع عشرة مقطوعة مجموع أبياتها 102 بيت جاءت في مصادر مختلفة مواضيعها واتجاهات أصحابها وتفصيل ذلك في بيان المصادر أسفل كلّ مقطوعة وليس في النيّة أن أدرس الآن هذه المجموعة من حيث أغراضها ومعانيها وأسلوبها ولكنني سأكتفي بمحاولة بيان مذهب الشاعر السياسي ولعلّه من المفيد أن نتبيّن هذا المذهب من خلال أحكام القدماء والمعاصرين ثم كما يظهر لنا من خلال شعره بالمقارنة طبعا بما نعرف من أخباره .

2) مذهبه السياسي :

لئن لم يختلف المؤرّخون والنقاد (71) في إعتبار أيمن بن خريم شاعرا فقد اختلفوا أو تباينوا قديما وحديثا في بيان مذهبه السياسي ولعلّه من المفيد تدقيق هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ) أيمن بن خريم شاعر شيعي :

لعلّ أوّل من أكّد تشيّع أيمن بن خريم هو أبو الفرج الإصفهاني إذ قال (72) « ... وكان أيمن يتشيّع » وكذلك رآه في القرن الخامس أبو عبيد البكري (73) وتأكّد هذا الرأي عند بعض المعاصرين وإن كانوا قد لوّنوه قليلا (74) فقال جرجي زيدان (75) إنه « كان شديد التشيّع لعليّ » وقد أورد له عبد الحسيب طه حميدة قصيدته الهمزيّة مثالا على شعر المفاضلة

(71) التعاليق السابقة من 60 إلى 69 والملاحظ أن قدامة بن جعفر والمرزباني ثم العسكري قد انتقدوا بعض شعره ، انظر التعليق على المقطوعة رقم 4 .

(72) الأغاني 5/XXI .

(73) سمط اللآلىء 262 .

(74) انظر التعليق رقم 79 و80 و81 خاصة .

(75) آداب زيدان 316/I (اعتنى زيدان بأنصار العلويين أو الهاشميين) 314/I . 316 فتعرض فحسب إلى الكميت وأيمن بن خريم) .

بين بني هاشم وبني أميّة وقال عنه (76) « شاعر أموي شيعي » وقال عنه عبد العزيز الكفراوي إنه (77) « ... من المتعصّبين لآل البيت » .

ب) أيمن بن خريم عثماني أو أموي :

لعلّ المسعودي في القرن الرّابع هو أوّل من كتب أن أيمن بن خريم (78) « كان عثمانيا » أمّا بالنسبة للمعاصرين فإن عبد السلام هارون يورد رأي الاصفهاني ورأي المسعودي ويختم قائلا (79) « وبذلك يكون قد اضطرب بين التيّارين » ويلاحظ جرجي زَيدان (80) أن أيمن « اضطرّ إلى مسايرة بَنِي أميّة ومدح عبد الملك » وقد وضّح شوقي ضيف رأي زيدان مشيرا إلى رأي المسعودي قائلا (81) « ورُبّما كان (أيمن) ممن اختلفوا إلى الفريقين الشيعيّ والأموي فكان شيعيا مرّة وأمويا عثمانيا مرّة » وكأنّ الأستاذ بيلا يغلّب رأي المسعودي إذ يقول ما تعريبه (82) « .. غير أنّه (أيمن) كان مناوئا للخوارج (83) ولقتلة عثمان مما يوجب علينا أن نخالف « الأغاني » — وفيه أنّه شيعيّ — وأن نغلّب كونه عثمانيّا » .

ج) أيمن بن خريم والخوارج :

لئن سهل فهم عثمانيّة أيمن بن خريم إن صحّ التعبير فمناوئته للخوارج ليست بارزة ولعل المصدر المقطوعة الطائية إذ أن عبد السلام هارون قد

(76) أدب الشيعة 153 والتعليق رقم 1 بنفس الصفحة .

(77) شعر الكفراوي I/126 (درس الكفراوي شعر الشيعة ص ص 120—126 واعتنى فحسب بالكميت و كثير عزة وأيمن بن خريم) .

(78) تنبيه المسعودي 253 .

(79) حيوان الجاحظ IV/318 تعليق رقم 3 والبيان والتبيين III/154 تعليق رقم 4 .

(80) آداب زيدان I/316 .

(81) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة التعليق رقم 2 .

(82) فصل بيلا .

(83) انظر أسفله التعليق رقم 84 ورقم 85 .

أورد في التعليق على بعض أبياتها ما كان ذكره الاصفهاني (84) من أن أيمن بن خريم قالها «لمّا طالت الحرب بين غزالة وبين أهل العراق وهم لا يغنون شيئا» وأضاف (85) فقال يستحثهم ويستثير حميّتهم» وكأنّ هذا الاستنتاج الأخير فيه بعض الغلو.

د) دلالة أخباره وأشعاره على مذهبه السياسيّ :

قد سبق في أخباره أنه «اعتزل الفتن بسلاحه» كان له في السياسة رأي» (86) فقد رثى عثمان (87) وردّ على بعض شعراء علي في مجلس معاوية مفتخرا برجال «دِينُ عثمان دينهم» (88) ثم إنه قد يكون رثى (89) معاوية أو أمّه أو أخته لكنه افتخر عليه بقومه إذ ردّوا عنه كيد الأشتر (90) ومدَحَ بشر بن مروان (91) ورثى بني أميّة لما أجلاهم ابن الزبير عن مكّة (92) لكنه هجا يحيى بن الحكم أخا مروان (93) وهو إلى جانب هذا قد تغنى بخصال بني هاشم (94) كما تغنّى برجال علي بن أبي طالب وأشهر قوّاده مهدّدا معاوية (95) وطلب إلى علي تعيين عبد الله بن العباس أحد الحكمين في صفّين محقرا من شأن أبي موسى الأشعري (96) وكأنّه

(84) الأغاني XXI/8 والمقطوعة رقم 17 .
(85) حيوان الجاحظ IV/318 التعليق رقم 6 والمقطوعة رقم 17 .
(86) الأعلام I/378 .
(87) المقطوعة رقم 3 . (وفي أدب فروخ I/475 «وفي شعره الباقي شيء يشبه الرثاء في عثمان بن عفـان) .
(88) المقطوعة رقم 8 .
(89) المقطوعة رقم 5 والتعليق عليها .
(90) المقطوعة رقم 6 .
(91) المقطوعات 4 و11 و15 .
(92) المقطوعة رقم 9 .
(93) المقطوعة رقم 22 .
(94) المقطوعة رقم 1 .
(95) المقطوعة رقم 12 و18 .
(96) المقطوعة رقم 14 .

أيضا إلى جانب هذا وذاك قد ناوأ الخوارج (97) وهو إلى جانب كلّ ما سبق قد دعا إلى الاعتزال السياسي وإلى انتهاز العطاء (98) .

هـ) خاتمـــة :

ولعلّ عمر فروخ قد لخّص هذه الاراء إذ قال (99) «سلك أيمن بن خريم في السياسة مسلك أبيه أراد أن يرضي جميع رجال الأحزاب من غير أن يغضب أحدا منهم . كان هواه مع أبي هاشم فمدحهم وكانت مصلحته مع بني أميّة فلعن الذين قتلوا عثمان» وبعد أليس في هذا التلوّن السّياسي في مذهب أيمن بن خريم ما يدعونا إلى دراسة مذاهب غيره من شعراء عصره ؟ وهل يمكن ذلك ما لم نجمع ما تفرّق من أشعار «الصّغار» منهم أو من لم تصنع دواوينهم ولم تجمع أشعارهم وهذا أساس الدراسة الصحيحة الشاملة والحكم على أدبنا العربي القديم حكما أقرب ما يكون إلى الموضوعيّة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(97) التعليق رقم 84 والمقطوعة رقم 17 .
(98) المقطوعة رقم 19 وخاصة البيت الثاني .
(99) أدب فروخ 474/I .

مجموعة الأشعار (حسب القوافي) +

قافية الهمزة

— 1 * —

(الوافر)

1: نَهارُكُمُ مُكابَدَةٌ وَصَوْمٌ وَلَيْلُكُمُ صلاةٌ وَاقْتِراءُ
2: وَلِيتُمْ بِالْقُرَانِ وَبِالتَّزَكِّي فَأَسْرَعَ فِيكُمُ ذاكَ البَلاءُ
3: بكى نجدٌ غَداةَ غَدٍ عَلَيْكُمْ ومَكَّةُ وَالمَدِينَةُ وَالجِواءُ
4: وَحقَّ لِكُلِّ أرْضٍ فارَقُوهَا عَلَيْكُمْ لا أبًا لَكُمُ البُكاءُ
5: أأجْعَلُكُمْ وَأقْوامًا سَواءً وَبَيْنَكُمُ وَبَيْنَهُمُ الهَواءُ
6: وَهم أرْض لأرْجُلِكُمْ وَأنتمْ لأرْؤُسِهِمْ وَأعْيُنِهِمْ سَماءُ

التخريج :
الأغاني XXI/6 .

اختلاف الروايات :
1) وَلَيْلَتُكُمْ . وفضّلنا الرّواية التي ذكرنا

التعليق :
(1*) قيل إن عبد الملك بن مروان قال لشعرائه : يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر ومرة بالجبل الأوعر ومرة بالبحر الأجاج ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم (الأبيات المذكورة) .

(+) رتبنا ما وتوصلنا إلى جمعه مما ينسب إلى أيمن بن خريم من أشعار ترتيبا أبجد يا حسب القوافي مبتدئين بالمضموم منها فالمفتوح فالمكسور فالساكن فما قيد منها بالهاء ومعتبرين الحرف أو الحروف الأولى من الكلمة أو الكلمات الأولى من البيت الأول في حالة تعدد القوافي ذات المجرى الواحد . وذكرنا أعلى كل مقطوعة رقمها مشفوعا بنجمة ثم بحرها وذكرنا بعدها مصادرها حسب الترتيب الزمني في صورة تعددها ويشير الرقم الروماني إلى الجزء والعربي إلى الصفحة والرقم أو الأرقام العربية التي بين قوسين إلى ترتيب الأبيات في المصدر المذكور . ووضعنا بين معقفين [ ] عبارة بدون عزو أو اسم من نسب إليه الشعر إن كان نسب لغير أيمن . وذكرنا بعد التخريج اختلاف الروايات إن كان وتشير الأرقام إلى الأبيات المختلف في روايتها . ثم علقنا على كل مقطوعة ما عدا 20 و21 وكان لنا في أغلب التعاليق قسمان القسم الأول يحمل رقم المقطوعة مشفوعا بنجمه وفيه ظروف القطعة أو بعض ما حكم به عليها . والقسم الثاني وهو يحمل أرقام الأبيات المعلق عليها وفيه تعريف بالأعلام أو المواضع أو شرح بعض ما غمض من ألفاظ ولم نعرف بالمشهور من الأعلام والمواضع مثل علي ومكة وإن كان الاختيار صعبا وأشرنا في حالة تكرر العلم أو الموضع إلى مصدره الأول بذكر المقطوعة والبيت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قافية الباء

— 2 * —

(المتقارب)

1 : لَقيتُ مِنَ الغَانِيَاتِ العُجَابَا
لَوَ ادْرَكَ مِنِّي الغَوَانِي الشبابَا

2 : ولَكِنَّ جَمْعَ العَذَارَى الحِسَانِ
عَنَاءٌ شَدِيدٌ إذَا المَرْءُ شَابَا

3 : ولَوْ كِلْتَ بِالمُدِّ لِلغَانِيَاتِ
وَضَاعَفْتَ فَوْقَ الثِّيَابِ الثِّيَابَا

4 : إذَا لَمْ تُنِلْهُنَّ مِنْ ذَاكَ ذَاكَ
جَحَدْنَكَ عِنْدَ الأمِيرِ الكِتَابَا

5 : يُرِضْنَ بِكُلِّ عَصًا رَائِضٍ
وَيُصْبِحْنَ كُلَّ غَدَاةٍ صِعَابَا

6 : إذَا لَمْ يُخَالِطْنَ كُلَّ الخِلاطِ
تَرَاهُنَّ مُخْرَنْطِمَاتٍ غِضَابَا

7 : يُمِيتُ العِتَابَ خِلاطُ النِّسَاءِ
وَيُحْيِي اجْتِنَابُ الخِلاطِ العِتَابَا

8 : عَلاَمَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العُيُونِ
وَيُحْدِثْنَ بَعْدَ الخِضَابِ الخِضَابَا

9 : وَيَعْرُكْنَ بِالمِسْكِ أجْيَادَهُنَّ
وَيُدْنِينَ عِنْدَ الحِجَالِ العِيَابَا

10 : وَيَبْرُقْنَ إلاَّ لِمَا تَعْلَمُونَ
فَلاَ تَحْرِمُوا الغَانِيَاتِ الضِّرَابَا

التخريج :

الشعر والشعراء : 454 (1، 2، 5، 8، 10، 7) .

عيون الأخبار : IV/102 (1، 2، 5، 8، 10، 6، 7) .

الأغاني : XXI/5 (1، 8، 10) ثم ص 5 (1–5) وص 6 (6،8،9،10) ثم ص 7 (1–6 و8–10) .

اختلاف الرّوايات :

1) الأغاني ص 7 : رأيت الغوانيِ شيئا عجابا لو آنسن مني .. ؛ الشعر والشعراء وعيون الأخبار : ... منِّي العذارى .

3) الأغاني ص 7 . بالمدي .

4) الأغاني ص 7 : بغينك عند الأمير .

5) الأغاني : يُذَدْنَ بكلّ عصا ذائد .

6) الشعر والشعراء وعيون الأخبار والأغاني ص 6 : أصبحن مخرنطمات .

8) الأغاني ص 6 : عَلَى مَ ؛ الشعر والشعراء : نجل العيون .

10) الأغاني ص 7 : ويغمزن إلاّ لِمَا ؛ الأغاني ص 5 : فلا تمنعن النساء الضرابا .

التعليق :

(2) قيل افتخر أيمن بن خريم بقوته الجنسية في مجلس عبد الملك بن مروان فغضب وقطع عنه العطية فلما أدركت زوجة أيمن ذلك احتالت وشكت زوجها واتهمت بالعجز لدى زوج عبد الملك بن مروان فدعا الخليفه بالشاعر وسأله عن كلامه الأول فاعتذر الشاعر وأنشد هذه القطعة فقال له عبد الملك « ما وصف النساء أحد مثل صفتك ولا عرفهن أحد معرفتك » « وعاد إلى بره وتقريبه » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قافية الحاء

— 3 * —

(البسيط)

1 : تَعَاقَدَ الذَّابِحُو عُثْمَانَ ضَاحِيَةً
أَيَّ قَتِيلِ حَرَامٍ ذُبِّحُوا ذَبَحُوا

2 : ضَحَّوْا بِعُثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ وَلَمْ
يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحٍ الكَفَّ الذي طَمَحُوا

3 : فَأَيَّ سُنَّةِ جَوْرٍ سَنَّ أَوَّلُهُمْ
وَبَابِ جَوْرٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا

4 : مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمُ
مِنْ سَفْحِ ذَاكَ الدَّمِ الزَّكِي الذِي سَفَحُوا

5 : فَاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيُوفُ المُسْلِمِينَ عَلَى
تَمَامِ ظِمْءٍ كَمَا يُسْتَوْرَدَ النَّضَحُ

6 : إِنَّ الذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَهًا
لُقُّوا أَثَامًا وَخُسْرَانًا فَمَا رَبِحُوا

التخريج :

— المعارف 198 (1،2،3،5،4) .
— كامل الأدب III/30 (1—6) ثم 31 (عجز 4) .
— تنبيه المسعودي : 253 (1—2) .
— الإصابة I/103 (6) .

اختلاف الرّوايات :

1) المعارف وكامل الأدب : تفاقد ؛ المعارف وتنبيه المسعودي : فأي ذبح حرام ويحهم ذبحوا .

2) المعارف وتنبيه المسعودي : مطمح الكفر .

3) المعارف : سنة جور .... باب كفر .

4) المعارف : سفك ذاك .

6) الإصابة : وما ربحوا .

التعليق :

(3*) في تنبيه المسعودي : «ويقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي وكان عثمانيا» ثم البيتان 1–2 كما ذكر في التخريج . وشهادة المسعودي هذه هامة وقد غلبها الأستاذ بيلا على غيرها . انظر التعليق رقم 33 و82 من الدراسة .

1و2 : عثمان : عثمان بن عفان .

قافية الدال

— 4 * —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(الوافر)

1 : رَكِبْتُ مِنَ الْمُقَطَّمِ فِي جُمَادَى
إلَى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ الْبَرِيدَا

2 : فَلَوْ أعْطَاكَ بِشْرٌ ألْفَ ألْفٍ
رَأى حَقًّا عَلَيْهِ أنْ يَزِيدَا

3 : وَأعْقَبَ مَدْحَتِي سَرْجًا خَلَنْجًا
وَأبْيَضَ جُوزَ جَانِيًّا عَقُودَا

4 : أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أقِمْ بِبِشْرٍ
عَمُودَ الْحَقِّ إن لَهُ عَمُودَا

5 : وَدَعْ بِشْرًا يُقَوِّمُهُمْ وَيُحْدِثْ
لأهْلِ الزَّيْغِ إسْلاَمًا جَدِيدَا

6 : كَأَنَّ التَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ
جَلَوْهُ لأَعْظَمِ الأَيَّامِ عِيدَا

7 : عَلَى دِيبَاجِ خَدَّيْ وَجْهِ بِشْرٍ
إِذَا الأَلْوَانُ خَالَفَتِ الخُدُودَا

8 : وَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بِشْرٍ
كَأُمِّ الأُسْدِ مِذْكَارًا وَلُودَا

التخريج :

بغال الجاحظ : 63 (1—2) .

نقد الشعر 114 (2، 3، 8) .

الأغاني 127/I (1، 2، 4، 5، 6، 7) و128 (3، 8) ثم XXI/8 (1، 2، 4، 8، 6، 7) .

الموشح 348 (2، 3، 8) .

الصناعتين 100 (2، 1، 8) و8 مُكرّر .

تاريخ ابن عساكر : 189/III (1—2) .

اختلاف الرّوايات :

2 : نقد الشعر والموشح : لَوَ اعطاك ؛ الصناعتين : فإن أعطاك .

3 : الأغاني 128 : سَرْجًا مليحا ؛ الصّناعتين : وأبيض .... عنودا .

4 : الأغاني 8 : عمود الدّين .

6 : الأغاني 8 : تاج أبي هرقل .

7 : الأغاني 8 : يخالف لونه ديباج بشر إذا .

8 : الأغاني 128 : الأسد مدراكا .

التعليق :

(4*) لهذه المقطوعة قيمة في تاريخ تحول الشاعر عن صحبة عبد العزيز بن مروان (انظر المقطوعة 13 البيت 1) إلى أخيه بشر بن مروان (انظر أسفله التعليق 1) ويروى ان أيمن بن خريم

حقر من شأن الشاعر نصيب فرد عبد العزيز وأعلى من شأن نصيب وذكر أيمن ببرصه وبصبره على مجالسته ومؤاكلته رغم ذلك فغضب أيمن وطلب منه أن يأذن له في الخروج إلى أخيه بشر في البصرة والكوفة (الأغاني I/128) ويرجح أن ذلك كان سنة 72–73هـ 691 م وانظر التعليق رقم 50 و51 و52 من الدراسة .

1 : المقطم : جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطىء النيل الشرقي حتى يكون منقطع طرف القاهرة ويسمى في كل موضع باسم . والمقصود هنا مقر ولاية عبد العزيز بن مروان في مصر .

(1+3+4+5) بشر بن مروان : هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص (م 75هـ 694م) ولي بإمارة العراقين البصرة والكوفة لأخيه عبد الملك سنة 74هـ .

3 : خلنج : الخلنج : شجر (فارسي معرب) تتخذ منه الأواني وهنا السرج منه .

3 : جوزجاني : نسبة إلى جوزجان هي كورة واسعة من كور بلخ بخراسان .

4 : أمير المؤمنين : عبد الملك بن مروان .

6 : بنو هرقل : الروم : كناية عن العظمة .

— 5 —

(الوافر)

1 : رَمَى الحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ
بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودَا

2 : فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا
وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودَا

3 : وَإِنَّكَ لَوْ سَمِعْتَ بُكَاءَ هِنْدٍ
وَرَمْلَةَ إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا

4 : بَكَيْتَ بُكَاءَ مُعْوِلَةٍ ثَكُولٍ
أَصَابَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الفَرِيدَا

التخريج :

شرح الحماسة II/394 (1–4) [عبد الله بن الزبير الأسدي] .

عيون الأخبار III/67 (1–2) [فضالة بن شريك...] .

أمالي القالي : 115/III (1—4) [الكميت بن معروف الأسدي] .
معجم الشعراء 177 (3،4،1،2) [فضالة بن شريك] .
تاريخ ابن عساكر 189/III (1—4) .
اللسان : مادّة سمد : (1—2) [بدون عزو] .
تاج العروس : مادّة سمد : (1—2) [عبد الله بن الزبير الأسدي] .

اختلاف الرّوايات :

1) أمالي القالي : رمى المقدار ؛ تاج العروس : آل سَعْدٍ ؛ عيُون الأخبار : بِفَادِحَةٍ ... لها معجم الشعراء : بفقدان .. ؛ اللّسان وتاج العروس : بِأمْرٍ قَدْ .

2) أمالي القالي : وردّ خدودهن .

3) شرح الحمَاسة : فإنّك لو رأيت ؛ معجم الشعراء : وإنّك لو شهدت ؛ أمالي القالي : فَإنّك لو شهدت ؛ تاريخ ابن عساكر : ورملة حين يلطمن الخدودا .

4) شرح الحماسة : سمعت بكاء باكية وباك .... أبان ...... الفقيدا ؛ أمالي القالي ..... معولة حزين + أبان .... الفقيدا ؛ معجم الشعراء : رأمت بكلّ معولة ثكول + أبان ..... الفقيدا .

التعليق :

(5*) في معجم الشعراء ان الأبيات قيلت لما مات يزيد بن معاوية وفي تاريخ ابن عساكر : في رثاء معاوية .

1 : حرب : هو حرب بن أمية بن عبد شمس (م حوالي 36 قهـ/588 وهو جد معاوية بن أبي سفيان وإلى أبيه تنسب الدولة الأموية .

3 : هند : هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس (م 14هـ/35م) وهي أم معاوية بن أبي سفيان .

3 : رملة : هي رملة بنت أبي سفيان (م 4هـ/64م) وهي من أزواج النبي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

— 6 — *

(الكامل)

1 : أبْلِغْ أميرَ الْمُؤْمِنِين رِسَالَـةً
مِنْ عَاتِبِيـنَ مَسَاعِـرٍ أنْجَـادِ
2 مَنَيْتَهُمْ أنْ آثَـرُوكَ مَثُوبَـةً
فَرَشَـدْتَ إذْ لَـمْ تُوفِ بِالْمِيعَادِ
3 : أنَسِيتَ إذْ فِـي كُـلِّ عَامٍ غارة
فِـي كُـلِّ نَاحِيَـةٍ كَرِجْلِ جَرَادِ
4 : غَارَاتُ أشْتَرَ في الخُيُولِ يُرِيدُكُمْ
بِمَعَرَّةٍ وَمَضَرَّةٍ وَفَسَـادِ
5 : وَضَعَ الْمَسَالِـحَ مَرْصَدًا لِهَلاَكِكُمْ
مَـا بَيْـنَ عَانَات إلَـى زِيدَادِ
6 : وَحَـوَى رَسَاتِيـق الجزيـرة كُلَّهَا
غَصْبًا بِكُـلِّ طِمِـرَّةٍ وَجَـوَادِ
7 : لَمَّا رَأى نِيرَانَ قَـوْمِـي أوقِدَتْ
وَأبُـو أنَيْس فَـاتِـرُ الإيقَـادِ
8 : أمْضَى إلَيْنَـا خَيْلَـهُ وَرِجَالَـهُ
وَأغَـذَّ لاَ يَجْـرِي لأمْـرِ رَشَادِ
9 : ثُـرْنَا إلَيْهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ بِالقَنَا
وَبِكُـلِّ أبْيَـضَ كَالْعَقِيقَةِ صَادِ
10 : في مَرْجِ مَرَّينا ألَـمْ تَسْمَعْ بِهَا
نَبْغِـي الإمَـامَ بِهِ وَفِيهِ نُعَادِي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

11: لَوْلاَ مَقَامُ عَشِيرَتِي وَطِعَانُهُمْ
وَجِلاَدُهُمْ بِالْمَرْجِ أيَّ جِلاَدِ

12: لأتاكَ أشْتَرُ مَذْحَجٍ لاَ يَنْثَنِي
بِالْجَيْشِ ذَا حَنَقٍ عَلَيْكَ وآدِ

التخريج :

وقعة صفّين 13 (1—8) و14 (9—12) .

التعليق

(6*) قالها أيمن معاتبا معاوية وذاكرا بلاء قومه بني أسد في مرج مرينا .

1 : أمير المؤمنين : معاوية بن أبي سفيان .

(4 و12) أشتر : هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر (م 37هـ 657م) شهد حصر عثمان بن عفان وموقعتي الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب .

5 : عانات : (أو عانة) بلد بين الرقة وهيت تعد في أعمال الجزيرة الفراتية .

5 : زيداد : (؟) مكان ولعلها كما لوحظ ذلك في وقعة صفين محرفة عن سنداد وسنداد نهر في ما بين الحيرة إلى الأبلة أو موضع أسفل سواد الكوفة .

6 : الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات وهي تشتمل على ديار مضر وديار بكر . والرساتيق ج رستاق (فارسي معرب) والرساتيق هي السواد أو ما تاخم جزيرة العرب .

7 : أبو أنيس : هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي (م65هـ/684م) قاتل مع معاوية أيام صفين ثم ولي له الكوفة ثم دعا إلى بيعة عبد الله بن الزبير بعد أن خلع معاوية بن يزيد نفسه سنة 64هـ ثم انعقدت البيعة لمروان بن الحكم فامتنع عليه الضحاك في مرج راهط فقتله .

(10—11) : مرج مرينا : هو بين الرقة وحران اقتتل به الشيعة والعثمانية وقائد الأولين الأشتر وقائد العثمانية الضحاك بن قيس وغيره .

(11) : الإمام : (المفهوم) أنه معاوية بن أبي سفيان .

— * 7 —

(الرّجز)

1: إذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أوْلاَدُهَا وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أعْضَادُهَا

2: وَجَعَلَتْ أسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التخريج :

تاريخ الطبري V/335 (1–2) [لزرّ بن حبيش أو أيمن بن خريم] .

التعليق :

(7*) قيل : « كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يبرد بريدا . إلى معاوية أمر مناديه فنادى من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين فكتب زر بن حبيش أو أيمن بن خريم كتابا لطيفا ورمى به في الكتب وفيه (البيتان) فلما وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب قال نعى إلي نفسي » .

— 8 * —

(الطويل)

1 : إلَى رَجَبٍ أوْ غُرَّةِ الشَّهْرِ بَعْدَهُ
تُصَبِّحُكُمْ حُمْرُ المَنَايَا وَسُودُهَا

2 : ثَمَانُونَ ألْفًا دِينُ عُثْمَانَ دِينُهُمْ
كَتَائِبُ شَتَّى جِبْرَئِيلُ يَقُودُهَا

3 : فَمَنْ عَاشَ مِنْكُمْ عَاشَ عَبْدًا وَمَنْ يَمُتْ
فَفِي النَّارِ سُقْيَاهُ هناك وَصَدِيدُهَا

التخريج :

— وقعة صفّين 555 (1) و556 (2–3) .

— الأغاني XIII/160 (1–3) [وقال خزيمةالأسدي]

ختلاف الروايات

الأغاني : ثمانين كتائب فيها جبرائيل .

3 : وقعة صفين :

فمن عاش عبدا عاش فينا ومن يمت ففي النار يسقى مهلُها وصديدها

التعليق :

(8*) قالها أيمن بن خريم ردا على أبيات قالها في مجلس معاوية أحد شعراء علي أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني (م حوالي 100هـ/718م) .

2 : عثمان : هو عثمان بن عفان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قافية الراء

— 9 * —

(الوافر)

1: كَأنَّ بَنـي أمَيَّةَ يومَ رَاحُوا وَعُـرِّيَ مِـنْ مَنَازِلِهِم صُدارُ

2: شَمَارِيخُ الجِبالِ إذا تَرَدَّتْ بِزِينَتِهَا وَجَادَتْهَا القِطَارُ

التخريج :

الأغانـي I/15 (1—2) .

التعليق :

(9*) قيل : قال أيمن بن خريم هذين البيتين لما أجلى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز .
1 : صدار : موضع قرب المدينة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— 10 * —

(الطويل)

1 : وَصَهْبَاءَ جُرْجَانِيَّةٍ لَمْ يَطُفْ بِهَا
حَنِيفٌ وَلَمْ تَنْغَرْ بِهَا سَاعَةً قِدْرُ

2 : وَلَمْ يَشْهَدِ القَسُّ المُهَيْنِمُ نَارَهَا
طَرُوقًا وَلاَ صَلَّى عَلَى طَبْخِهَا حِبْرُ

3 : أتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نِمْتُ نَوْمَةً
وَقَدْ غَابَتِ الشِّعْرَى وَقَدْ جَنَحَ النَّسْرُ

4 : فَقُلْتُ اصْطَبِحْهَا أوْ لِغَيْرِي فَاسْقِهَا
فَمَا أنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْلَكَ وَالْخَمْرُ

5 : تعفَّفْتُ عَنْهَا في العُصُورِ التِي خَلَتْ
فَكَيْفَ التَّصَابِي بَعْدَمَا كَلأَ العُمْرُ

6 : إذَا المَرْءُ وَفَّى الأرْبعِينَ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ دُونَ مَا يَأتِي حَيَاءٌ وَلاَ سِتْرُ

7 : فَدَعْهُ وَلاَ تَنْفَسْ عَلَيْهِ الذِي أتَى
وَإنَّ جَرَّ أسْبَابَ الحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ

التخريج :

الشعر والشعراء : 466 (1،3،4،6،7) [الأقيشر الأسدي] .

العقد الفريد : IV/79 (1،3،4،6،7) [الأقيشر الأسدي] .

الأغاني XXI/44 (6،7 ثم 1،2،3،4،6،7) .

أمالي القالي : I/77 (1—7) .

قطب السرور : 424 (1،3،4) و425 (5،6،7) .

تنبيه البكري : 37 (1،3) [الأقيشر الأسدي] .

سمط اللالىء : I/261 (1) و262 (3) والتعليق رقم 3 صفحة 261 فيه : التخريج واختلاف الروايات وحكم المحقق عبد العزيز الميمني : نعم يرجّح الأقيشر في نسبة الشعر إليه ....) .

ملائكة المَعري : 5 (4—5) وص 4 : قال الأسدي وص 5 التعليق 6 الأسدي : هو الأقيشر) .

تاريخ ابن عساكر III/189 (1،2،3،4،6،7) .

معجم البلدان : جرجان II/51 (1—7) [الأقيشر أو أيمن بن خريم] شعر الأقيشر . المقطوعة 17 .

اختلاف الروايات :

1) قطب السرور : وحمراء جرجانية ؛ معجم البلدان : ولم يُطِفْ ؛ العقد الفريد : ولم تغلي ؛ تاريخ ابن عساكر ومعجم البلدان : ولم ينغر .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

2) أمالي القـالي : ولم يحضر القس .... ولم يَشْهَدْ علَـى . معجم البلدان : ولم يحضر على طبخها .

3) الشعر والشعراء والعقد الفريد : غارت الشعرى وقد خفق ؛ قطب السرور : وقد مالت الجوزاء أو جنح ؛ الأغانـي وتاريخ ابن عساكر : وقد غابت الجوزاء وانحدر ؛ معجم البلدان : وقد لاحت الشعرى وقد طلع ..

4) الشعر والشعراء وأمالي القالي وقطب السرور : فقلت اغتبقها ؛ الشعر والشعراء والعقد الفريد : لغيري فاهدها ؛ الأغاني : لغيري سَقِّهَا معجم البلدان لغيري فأهْدِها ؛ العقد الفريد : ويلك والخمر ؛ الأغاني وتاريخ ابن عساكر ومعجم البلدان : ويحك .

5) ملائكة المعرّي : تجالت عنْها ؛ ملائكة المعرّي ومعجم البلدان : التي مضت .

6) الأغانـي : حجاب ولا ستر .

7) أمالي القالي : الذي ارتأى ؛ الشعر والشعراء والعقد الفريد : جَرّ أرْسَان ؛ الأغانـي وتاريخ ابن عساكر : ولو مدَ أسباب الحياة له العُمْرُ

التعليق :

(10*) قيل : كان يقال بالكوفة : من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له .

— * 11 —

(الطويل)

1 : يُـرَى بَارزًا للِنَّاس بِشْـرٌ كَأنَّـهُ
إذَا لاَحَ فِـي أثْوَابِـهِ قَمَـرٌ بَـدْرُ

2 : ولَوْ شَاءَ بِشْرٌ أغْلَقَ البَابَ دُونَـهُ
طَمَـاطِمُ سُـودٌ أوْ صَقَالِبَةٌ شُقْرُ

3 : أبَى ذا وَلَكِنْ سَهَّلَ الإذْنَ للتي
يَكُونُ لَهُ فِي غِبِّهَا الحَمْدُ وَالشُّكْرُ

التخريج :

الأغاني XXI/8 (1—3) .

التعليق :

(11*) قال أيمن هذه الأبيات لما طلب من يستأذن له على بشر بن مروان فقيل له « ليس على الأمير حجاب ولا ستر » وأجابه بشر : « إنا قوم نحجب الحرم واما الطعام والأموال فلا » وأمر له بعشرة آلاف درهم .

1 : بشر : هو بشر بن مروان انظر المقطوعة 4 البيت 1 .

2 : طماطم ج طمطم بالكسر وهو الذي في لسانة عجمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— 12 * —

(الطويل)

1 : أمَا وَالذي أرْسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ
وَأنْزَلَ ذَا الفُرْقَانَ فِي لَيْلَةِ القَدْرَ

2 : لَئِنْ عَطَفَتْ خَيْلُ العِرَاقِ عليكُمُ
وَلِلّهِ لاَ لِلنَّاسِ عَاقِبَةُ الأمْرِ

3 : تَقَحَّمَهَا قِدْماً عديٌّ بن حَاتِمِ
وَالأشْتَرُ يَهْدِي الخَيْلَ في وَضَحِ الفجرِ

4 : وَطَاعَنَكُمْ فيها شريح بنُ هَانِيءٍ
وَزحرُ بْنُ قَيْسٍ بِالْمُثَقَّفَة السُّمْرِ

5 : وَشَمَّرَ فِيهَا الأشعثُ اليَوْمَ ذَيْلَهُ
تُشَبِّهُهُ بِالْحَارِثِ بْنِ أبِي شَمْرِ

6 : لَتَعْرِفُهُ يَا بُسْرُ يَوْمًا عَصَبْصَبًا
يُحَرِّمُ أطْهَارَ النِّسَاءِ مِنَ الذُّعْرِ

7 : يُشِيبُ وَلِيدَ الْحَيِّ قَبْلَ مَشِيبِهِ
وَفِي بَعْضِ مَا أعْطَوْكَ رَاغِيَةُ البَكْرِ

8 : وَعَهْدُكَ يَا بُسْرُ بْنُ أرْطَاةَ وَالقَنَا
رَوَاءٌ مِنَ اهْلِ الشَّامِ أظْمَاؤها تَجْرِي

9 : وَعَمْرُو بْنُ سُفْيَانٍ عَلَى شَرِّ الَةٍ
بِمُعْتَرَكٍ حَامٍ أحَرَّ مِنَ الجَمْرِ

التخريج :

وقعة صفّين 503 (1–9) .

التعليق :

(12*) في وقعة صفين قال أيمن هذه الأبيات «وكان قد اعتزل عليا ومعاوية ثم قارب أهل الشام ولم يبسط يدا .

1 : ثبير : جبل قرب مكة .

2 : خيل العراق : جيوش علي بن أبي طالب .

3 : عدي بن حاتم : هو عدي بن حاتم بن سعد الطائي (م 68هـ/687م) كان إلى جانب علي في اشهر وقائعه .

3 : الأشتر : من قواد علي انظر المقطوعة 6 البيت 4 و12 .

4 : شريح بن هانيء : هو شريح بن هانيء بن يزيد الحارثي (م 78هـ/697م) شارك إلى جانب علي في وقائع الجمل وصفين .

4 : زحر بن قيس : من أنصار علي لم أضبط تاريخ وفاته انظر فهرس تاريخ الطبري .

5 : الأشعث : هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي (م 40هـ/661م) كان مع علي أيام صفين .

5 : الحارث بن أبي شمر : من أمراء غسان (م حوالي 8هـ/630م) .

(6+8) : بسر بن أرطاة : من رجال معاوية أخضع له المدينة ومكة واليمن وولي البصرة سنة 41هـ (م 86هـ/705م) .

8 : أهل الشام : أنصار معاوية .

9 : عمرو بن سفيان : هو المعروف بالأعور السلمي من القواد المشهورين ولم اضبط تاريخ وفاته وانظر فهرس تاريخ الطبري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قافية الزاي

— 13 * —

(الوافر)

1 : أأقْتَلُ في حِجاج بيْنَ عَمْرو وبَيْنَ خَصِيمِه عَبْدِ العَزيزِ
2 : أنُقْتَلُ ضلّةً في غيرِ شَيْءٍ ويَبْقَى بعْدَنَا أهْلُ الكُنُوزِ
3 : لعمْرُو أبيكَ ما أوتيتُ رُشْدي ولاَ وُفِّقْتُ للْحِرْزِ الْحَرِيزِ
4 : فَإنّي تَارِكٌ لَهُمَا جَمِيعاً وَمُعْتَزِلٌ كما اعتزَلَ ابْن كوز

التخريج :

الأغاني XXI/ 6 (1—4) .
تاريخ ابن عساكر III/188 (1—4) .

اختلاف الرّوايات :

في تاريخ ابن عساكر :

1) أأذهب في ...
2) فاهلك بينهم في ... ويلقيني بهم أهل ...
3) لعمرك ما هديت إذنْ لرشدى :.. .....
4) تاركٌ لَهُمُ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعليق :

(13*) في الأغاني أن منازعة وقعت بين عبد العزيز بن مروان وبين عمرو بن سعيد فاعتزل أيمن بن خريم المنازعة وفي تاريخ ابن عساكر أن الشاعر اعتزل عبد الملك لما كان بينه وبين عمرو بن سعيد ما كان وفي تاريخ الطبري (VI/140—148 وخاصة 144) أن عبد الملك أمر عبد العزيز أن يقتل عمر ابن سعيد وفي هذا توفيق بين الروايتين السابقتين ووقعت المنازعة سنة 69هـ .

1 : عمرو : هو عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق (م سنة 70هـ/690م) جعل له مروان بن الحكم ولاية العهد وأراد عبد الملك خلعه فاستولى على دمشق وبايعه أهلها بالخلافة لكن تمكن منه عبد الملك وقتله .

1 : عبد العزيز : هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم أمير مصر (م 85هـ/704م) .

4 : ابن كوز (؟) قال عنه ابن عساكر : رجل من بني أسد إعتزل المنازعة .

قافية السين

— 14 * —

(البسيط)

1 : لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ رَأيٌ يُعْصَمُونَ بِهِ
مِنَ الظَّلاَلِ رَمَوْكُمْ بِابْنِ عَبَّاسِ

2 : لِلَّهِ دَرُّ أبِيهِ أيُّمَا رَجُلٍ
مَا مِثْلُهُ لفِصَالِ الخَطْبِ فِي النَّاس

3 : لَكِنْ رَمَوْكُمْ بِشَيْخٍ مِنْ ذَوِي يَمَنٍ
لَمْ يَدْرِ مَا ضَرْبُ أخْمَاسٍ لأسْدَاسِ

4 : إنْ يَخْلُ عَمْرٌو بِهِ يَقْذِفْهُ فِي لُجَجٍ
يَهْوِي بِهِ النَّجْمُ تَيْساً بَيْنَ أتْيَاس

5 : أبلغ لَدَيْكَ عَلِيّاً غَيْرَ عَاتِبِهِ
قَوْلَ امْرِىءٍ لاَ يَرَى بِالحَقِّ مِنْ بَاسِ

6 : مَا الأشْعَرِيُّ بِمَأمُونٍ أبَا حَسَنٍ
فَاعْلَمْ هُدِيتَ وَلَيْسَ العَجْزُ كَالرَّاسِ

7 : فَاصْدِمْ بِصَاحِبِكَ الأدْنَى زَعِيمَهُمُ
إنَّ ابْنَ عَمِّكَ عَبَّاسٍ هُوَ الاسِي

التخريج :

وقعة صفّين 502 (1—7) .

— الطوال : 193 (1، 3)

اختلاف الرّوات :

1 : الطوال : رأي يهتدون به بعد القضاء

التعليق :

(14*) قيل : لما عين أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص حكمين في وقعة صفين قال أيمن بن خريم هذه الأبيات وكان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق أصحاب علي فلما بلغ الناس قول أيمن طارت أهواء قوم من أولياء علي عليه السلام وشيعته إلى عبد الله بن عباس وابت القراء إلا أبا موسى .

(1+7) : ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (م 68هـ/687م) شهد مع علي الجمل وصفين .

3 : شيخ من ذوي يمن : أبو موسى الأشعري (انظر البيت 6) .

4 : عمرو : هو عمرو بن العاص (م 43هـ/664م) وكان أحد الحكمين بعد صفين .

5 : علي : هو علي بن أبي طالب .

6 : الأشعري : أبو موسى : عبد الله بن قيس (م 44هـ/665م) صحابي ، ولي البصرة في عهد عمر وعثمان ثم الكوفة في عهد عثمان وعلي وكان أحد الحكمين بعد صفين وقبله علي مكرها .

6 : أبا حسن (علي بن أبي طالب) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— * 15 —

(الكامل)

1 : يَا ابْنَ الذَّوَائِبِ وَالذرَى وَالأَرْؤُسِ
وَالفَرْعِ مِنْ مُضَرِ العَفَرْنَى الأَقْعَسِ

2 : وابْنَ الأَكَارِمِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا
وابْنَ الخَلائِفِ وَابْنِ كُلِّ قَلَمَّسِ

3 : مِنْ فَرْعِ ادَمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى أَبِيكَ العَنْبَسِ

4 : مَرْوَانَ إِنَّ قَنَاتَهُ خَطِّيَّةٌ
غُرِسَتْ أُرُومَتُهَا أَعَزَّ المَغْرِسِ

5 : وَبَنَيْتَ عِنْدَ مَقَامِ رَبِّكَ قُبَّةً
خَضْرَاءَ كُلِّلَ تَاجُهَا بِالفِسْفِسِ

6 : فَسَمَاؤُهَا ذَهَبٌ وَأَسْفَلُ أَرْضِهَا
وَرِقٌ تَلألأ فِي البَهِيمِ الحِنْدِسِ

التخريج :

نقد الشعر 112 (1—6) .

الموشّح 347 (1—6) .

الصّناعتين 98 (2) و99 (3—6) والتعليق رقم 7 صفحة 98 (1) .

اختلاف الرّوايات :

1) نقد الشعر : العفرنا .

2) الصّناعتين : يا ابن الأكارم .

3) الصناعتين : حتّى أتيتَ .

6) نقد الشعر : فسماءها ؛ الصّناعتين : في صميم الحندس .

التعليق :

(15هـ) قال أيمن بن خريم هذه الأبيات في مدح بشر بن مروان بن الحكم وفي المصادر المذكورة انها « مدح على غير الصواب .. لأن المديح الجاري على الصواب يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصية لا بما هو عرضي فيه (نقد الشعر 111) .

1 : العفرني : الأسد الشديد القوة .

2 : القلمس : هو البحر الزاخر ومجازا السيد العظيم الكثير العطية .

3 : العنبس : من أسماء الأسد . والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو . والباقون يقال لهم الأعياص (المعارف 73) .

4 : مروان : هو مروان بن الحكم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قـافيـة الشين

— 16 * —

الوافر)

1 : وَلَسْتُ مُقَاتِلا رَجُلا يُصَلي على سُلْطَانِ آخرَ مِنْ قُرَيْش
2 : له سُلْطَانُهُ وَعَلَيَّ إِثْمِي مَعَاذَ اللَّه مِنْ سَفَهٍ وَطَيْش
3 : أَأَقْتُلُ مُسْلما في غير جُرْم فَلَيْسَ بنافِعِي ما عشتُ عَيْشي

التخريج :

وقعة صفّين : 504 (1—3) .
وقعة صفّين : 504 (1—3) طبقات ابن سعد 25/VI (1—3) .
الشعر والشعراء 454 (1—3) .
المعارف 340 (1—3) .
الطوال 194 (1—3)
العقد الفريد 165/V (1—2) .
الاستيعاب 68/I (1—2) ثم 69 (1—3) .
تاريخ ابن عساكر 188/III (1—3) .

اختلاف الرّوايات :

1) طبقات ابن سعد الطوال والشعر والشعراء والمعارف وتاريخ ابن عساكر : بقاتل رجلا العقد الفريد : بقاتل رجل ؛ الاستيعاب 68 : بقاتل أحدا .

2) الشعر والشعراء والمعارف : وعليّ وزري ؛ طبقات ابن سعد : معاذ الله من جَهْلٍ وطيش .

3) المعارف : أأقتل مؤمنًا الشعر والشعراء والمعارف : وأعيش حيًّا ؛ طبقات ابن سعد الطّوال في غير حقّ تاريخ ابن عساكر : ... في غير شيء طبقات ابن سعد والشعر والشعراء : فلست بنافعي المعارف : بنافع .

التعليق :

(16*) في وقعة صفين أن هذه الأبيات قالها أيمن بن خريم لمعاوية لما جعل له فلسطين على أن يتابعه ويشايعه على قتال علي وفي الشعر والشعراء أنه قالها لعبد الملك بن مروان لما قال له « إن أباك كانت له صحبة ولعمك فخذ هذا المال وانطلق فقاتل ابن الزبير » وفي الاستيعاب وتاريخ ابن عساكر أنه قالها لمروان بن الحكم لما طلب منه أن يقاتل معه ويلاحظ ابن عساكر أن الرواية التي تقول إن الذي طلب منه القتال عبد الملك وهم .

قافية الطاء

— 17 * —

(المتقارب)

1 : أتَيْنا بِهِمْ مائتَي فارِسٍ مِنَ السّافكِينَ الحَرَامَ العَبِيطا

2 : وَخمْسونَ من مارقات النِّساء يُسحَبْنَ لِلْمنديات المُرُوطا

3 : وَهمْ مائتا ألْف ذي قَوْنَسٍ يَئِطُ العِرَاقَانِ مِنْهُمْ أطِيطا

4 : رَأيْتُ غزَالَةَ أن طَرَحَتْ بِمَكَّةَ هَوْدَجَها وَالْغَبِيطا

5 : سعتْ للعِرَاقيْن في جَمْعِها فَلاقَى العرَاقان منها بَطِيطا

6 : ألا يستحي اللهَ أهلُ العِرَاق أنْ قَلَّدُوا الغانيات السُّمُوطا

7 : وَخيْلُ غزَالَةَ تَنْتابُهُمْ تَجُوبُ العِرَاقَ وَتَحْوي النَّبيطا

8 : تَكُرُّ وَتُحْجِرُ فُرْسَانَهُمْ كمَا أحْجَرَ الحَيَّةُ العَضْرَفوطا

9 : أقامتْ غزَالَةُ سوقَ الضِّرَاب لأهْلِ العِرَاقَيْنِ حوْلاً قَمِيطا

10 : وَلَوْ أنَّ لوطًا أمِيرٌ لَكُمْ لأسْلَمْتُمُ فِي المُلِمَّاتِ لوطا

التخريج :

حيوان الجاحظ 318/VI (7—8) والتعليق رقم 4 (6 وتنبيه إلى أن 8 غير مذكور في الأغاني ومذكور في اللسان) .

الأغاني XXI /8 (1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 10!) .

اللسان . مادة : عفرفط (8) ومادّة قمط وغزل (9 مكرّر) .

اختلاف الرّوايات :

7) الأغاني :

وخيل غزالـة تسبـي النساء وتحوي النِّهاب وتحوي النّبيطا

8) حيوان الجاحظ (التعليق) واللسان :

فأحجرها كَرُّهَـا فِيهِـمُ كما يحجر الحَيَّةُ العَصْرَفُوطَا

8) حيوان الجاحظ التعليق رقم 4 : العراق وتجبي ...

التعليق :

(17*) في الأغاني أن أيمن بن خريم قال هذه الأبيات « لما طالت الحرب بين غزالة وبين أهل العراق وهم لا يغنون شيئا » وأضاف عبد السلام هارون في التعليق عليها في حيوان الجاحظ . « فقالها يستحثهم ويستثير حميتهم » وانظر التعليق رقم 84 و85 من الدراسة .

1 : العبيط من الدواب : المنحور من غير داء ولا كسر .

3 : القونس : قونس البيضة من السلاح : مقدمها وقيل أعلاها وقيل سنبكها الذي فوق جمجمتها وهي الحديدة الطويلة في أعلاها .

(4و7) : غزالة : هي امرأة شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الحروري أو الخارجي وقد خرجت مع زوجها على عبد الملك بن مروان أيام ولاية الحجاج على العراق وقد قيل إن الحجاج فر منها وقتلها خالد بن عتاب الرياحي في معركة على أبواب الكوفة سنة 77هـ/696م .

وفي حيوان الجاحظ 590/V : « وقتل خالد بن عتاب غزاله وكانت امرأة صالح بن مسرح » واستغرب محقق الكتاب هذا النص (التعليق الرابع بنفس الصفحة) .

4 : الغبيط : الرحل وهو للنساء يشد عليه الهودج .

5 : العراقان : الأغلب أن المقصود جيوش الأمويين أو عبد الملك بن مروان بقيادة الحجاج .

7 : النبيط : أو النبط : جيل ينزلون سواد العراق .

8 : العضرفوط : دويبة بيضاء ناعمة ضعيفة الحيات تأكلها .

10 : لوط : نبي بعثه الله إلى قومه فكذبوه . وفي البيت إشارة إلى تخاذل أهل العراق .

قافية العين

— 18 * —

(الطويل)

1 : مُعَاوِيَ إنَّ الأمْرَ لِلَّه وَحْدَهُ
وَإنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ضُرّاً ولاَ نَفْعَا

2 : عَبَأتَ رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ لِمَعْشَرٍ
يَمَانِيَّةٍ لاَ تَسْتَطِيعُ لَهَا دَفْعَا

3 : فَكَيْفَ رَأيْتَ الأمْرَ إذْ جَدَّ جِدُّهُ
لَقَدْ زَادَكَ الرَّأيُ الذي جِئْتَهُ جَدْعَا

4 : تُعَبِّي لِقَيْسٍ أوْعَدِيَّ بن حَاتِمٍ
والأشْتَرِيا لِلنَّاسِ أغْمَارَكَ الجُدْعَا

5 : تُعَبِّيءُ لِلْمِرْقَالِ عَمْراً وَإنَّهُ
لَلَيْثٌ لَقِي مِنْ دُونِ غَايَتِهِ ضَبْعَا

6 : وَإنْ سَعِيداً إذْ بَرَزْتَ لِرُمْحِهِ
لَفَارِسُ هَمْدَانَ الذي يَشْعَبُ الصَّدْعَا

7 : مَلِيءٌ بِضَرْبِ الدَّارِعِينَ بِسَيْفِهِ
إذَا الخَيْلُ أبْدَتْ مِنْ سَنَابِكِهَا نَقْعَا

8 : رَجَعْتَ فَلَمْ تَظْفَرْ بِشَيْءٍ أرَدْتَهُ
سِوَى فَرَسٍ أعْيَتْ وَأبْتَ بِهَا ظَلْعَا

9 : فَدَعْهُمْ فَلاَ وَاللهِ لاَ تَسْتَطِيعُهُمْ
مُجَاهَرَةً فَاعْمَلْ لِقَهْرِهِمُ خُدْعَا

التّخريج :

وقعة صفّين 431 (1—9) .

التعليـــــق :

18 (*)في وقعة صفين أن عبد الرحمان بن خالد من جند معاوية خرج إلى الأشتر في اليوم الخامس من أيام صفين فقصده عدي بن حاتم من جند علي فرجع إلى معاوية مقهورا وانكسر معاوية . وإن أيمن بن خريم لما بلغه ما لقي معاوية وأصحابه شمت وقال في ذلك هذه الأبيـــات

1 : معاوي : معاوية بن أبي سفيان

4 : قيس ، قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي (م 60 هـ/680 م) كان إلى جانب علي أيام صفين .

4 : عدي بن حاتم : انظر المقطوعة 12 البيت 3 .

4 : الأشتر : انظر المقطوعة 6 البيت 4 .

5 : المرقال : هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (م 37 هـ/657 م) قاتل مع علي أيام صفين وهو من الشعراء .

5 : عمرا : عمرو بن العاص : انظر المقطوعة 14 البيت 4

6 : سعيد : سعيد بن قيس بن زيد من همدان (م 50 هـ/670 م) كان مع علي أيام صفين .

قافية اللام

— 19 * —

(الرّمل)

1 : إنَّ لِلْفِتْنَةِ مَيْطًا بَيِّنًا فَرُوَيْدَ الْمَيْطِ مِنْهَا تَعْتَدِلْ

2 : فَإِذَا كَانَ عَطَاءٌ فَأْتِهِمْ وَإِذَا كَانَ قِتَالٌ فَاعْتَزِلْ

3 : إِنَّمَا يُسْعِرُهَا جُهَّالُهَا حَطَبُ النَّارِ فَدَعْهَا تَشْتَعِلْ

التخريج :

الشعر والشعراء 453 (1—3) .

عيون الأخبار 164/I (1) و165 (2—3) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقد الفريد I/110 ثم V/165 (1ـ3) .
تمثيل الثعالبي 66 (1ـ2) ثم 151 (2) .
نهاية الأرب III/73 (1ـ2) .

اختلاف الرّوايات :

1) العقد الفريد I/110 : مَيْطًا عَاجِلاً ؛ تمثيل الثعالبي ونهاية الأرب : ميطا بَيْنَنَا ؛ عيون الأخبار والعقد الفريد : منها يَعْتَدِلَ .

2) العقد الفريد : عطاء فانتهِزْ ؛ تمثيل الثعالبي : وإذا ما كان هَرْجٌ فاعتزل .

3) العقد الفريد : إنّما يوقدها فُرسانها .

التعليـــق :

19 (*)هذه الأبيات وخاصة الأول والثاني مما يتمثل به من أشعار المخضرمين وهي في العقد الفريد بعد أبيات المقطوعة رقم 16 من مجموعتنا تلك التي تمثل به بعض ولد علي لما رفض عبد الملك بن مروان أن يخرج صدقة أبيه من ولد الحسين إليه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قـافيـة الميـم

— 20 —

(الطويل)

1 : رَجَوْا بِالشِّقَاقِ الأَكْلَ خَضْمًا فَقَدْ رَضُوا
أَخِيـرًا مِنَ اكْـلِ الخَضْـمِ أن يَأْكُلُوا قَضْمَا

التخريج :

البيان والتبيين IV/154 (1) .
اللسان : مادّة خضم ثم قضم (البيت مكرّر) .

— 21 —

(البسيط)

1 : كَقُنْفُذِ الرَّمْلِ لاَ تَخْفَى مَدَارِجُهُ
خَبٌّ إِذَا نَامَ لَيْلُ النَّاسِ لَمْ يَنَمِ

التخريج :

حيوان الجاحظ IV/168 (1) [قاله الأودي صلاءة بن عمرو] ثم 462
ديوان المعاني II/144 (1) .

اختلاف الرّوايات :

1) حيوان الجاحظ 168 : كقنفذ القنّ ؛ و168 و462 : نام عنه الناس .

قافية الياء

— 22 ٭ —

(الطويل)

1 : تَرَكْتُ بَنِي مَرْوَانَ تَنْدَى أَكُفُّهُمْ
وَصَاحَبْتُ يَحْيَى ضَلَّةً مِنْ ضَلاَلِيَا

2 : خَلِيلاً إِذَا مَا جِئْتُهُ أَوْ لَقِيتُهُ
يَهُمُّ بِشَتْمِي أَوْ يُرِيدُ قِتَالِيَا

3 : فَإِنَّكَ لَوْ أَشْبَهْتَ مَرْوَانَ لَمْ تَقُلْ
لِقَوْمِيَ هُجْرًا إِذْ أَتَوْكَ وَلاَلِيَا

التخريج :

الشعر والشعراء : 454 (1—3) .
الأغاني XXI /6 (1،3) .

التعليـــق :

22 (٭)قيل في وقعة صفين غزا أيمن بن خريم مع يحيى بن الحكم فأصاب يحيى جارية برصاء فأهداها له فغضب وقال هذه الأبيات . وقيل في الأغاني أصاب يحيى بن الحكم جارية في غزاة الصيف بها وضح فقال أعطوها أيمن بن خريم... » وفي هذا ما يدل على أن أيمن عرف يحيى وليس ثابتا أن يكون غزا معه وانظر التعليق رقم 39 . من الدراسة .

1 : يحيى : يحيى بن الحكم بن أبي العاص أخو الخليفة الأموي مروان بن الحكم .

3 : مروان : مروان بن الحكم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهـرس * الأعـــلام

آدم	15
ابن عبّاس (عبد الله)	14
ابن كوز (؟)	13
أبو حسن (علي بن أبـي طالب)	14
أبو أنيس (الضحّاك بن قيس)	6
الأشتر	6، 12، 18
الأشعث	12
الأشعري (أبو موسى)	14
أم بشر	4
بسر بن أرطاة	12
بشر بن مروان	4، 11
جبرائيل	8
الحارث بن أبـي شمر	12
رملة (بنت أبـي سفيان)	5
زحر بن قيس	12
سعيد (بن قيس الهمداني)	18
شريح بن هانيء	12
العبّاس (بن عبد المطلب)	14
عبد العزيز (بن مروان)	13
عثمان (بن عفان)	3، 18
عديّ حاتم	12، 18

* تشير الأرقام إلى المقطوعات الشعرية وقد اقتصرت على فهرسة الأعلام والجماعات والقبائل والأماكن الواردة في الشعر دون الدراسة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علي (بن أبي طالب) 14
عمرو (بن سعيد بن العاص) 13
عمرو بن سفيان 12
عمرو بن العاص 14، 18
غزالة (الخارجيّة) 17
قيس (بن سعد بن عبادة) 18
لوط 17
المرقال (هاشم بن عتبة) 18
مروان (ابن الحكم) 15، 22
معاوي (معاوية بن أبي سفيان) 18
هند (بنت عتبة) 5
يحيى (؟) 10
يحيى (بن الحكم) 22

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهرس الجماعات والقبائل

آل حرب 5
أهل العراق 17
أهل العراقين 17
بنو أميّة 9
بنو مروان 22
بنو هرقل 4
ذوو يمن 14
قريش 15، 16، 18
مذحج 6

مضر 15
النبيط 17
همـــدان 18

فهـــرس الأمـــاكن

ثبير 12
الجزيــرة 6
الجــواء 1
زيــداد 6
الشــام 12
صــدار 9
العــراق 12، 17
المدينــة 1
مرج مرّينــا 6
المقطّــم 4
مكّــة 1، 17
نجــد 1

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعـــر ابن حـــزم

بقلم : محمد الهادي الطرابلسي

تجاوزت شهرة ابن حزم آفاق البيئة العربية إلى غيرها من البيئات وقد قامت هذه الشهرة خاصّة على تآليفه الفكريّة الكثيرة وانتشارها منذ عهده في الأندلس وغير الأندلس ، ممّا يفسّر عناية جلّ أصحاب التّراجم المتأخّرين عنه به وبآثاره (1) . واشتهر بأنه موسوعة ضمّت إلى الفقه والدّراسات الإسلاميّة ، الأدب والشعر وجلّ صنوف المعرفة ، إلاّ أنّ الدّارسين اليوم لم يعتنوا بنشاطه الشعري بقدر ما اعتنوا بنشاطه الفكري ، لأنّ القسم الضئيل الباقي من هذا الشعر طغت على جملته الصّبغة الذهنيّة . فلا سبيل إذن إلى الحديث عن دراسة شاملة لشعر ابن حزم فليس بين أيدينا إلاّ مصادر قديمة تحدّثت عن شعره عرضا وقد ورد هذا الحديث متقاربا من مصدر إلى آخر أو مراجع حديثة درست هذا الشعر دراسات طفيفة خاطفة (2) . ونحن لا نكاد نظفر ، لا هنا ولا هناك إلاّ بفوائد قليلة

---

(1) أول من اعتنى به تلميذه الحميدي المتوفي سنة 488هـ في «جذوة المقتبس ...» ط. القاهرة سنة 1371هـ. ص 290 عدد 708 ، وما ذكره الحميدي ردده أصحاب التراجم بعده مع زيادات .

(2) ولعل أهمها الفصل الذي خصصه احسان عباس لشعرابن حزم بكتابه « تاريخ الأدب الأندلسي – عهد سيادة قرطبة» بيروت ط 1 1960 من ص 245 .

موجزة وكلّها تتناول ما ورد من هذا الشعر في رسالة « طوق الحمامة » فحسب .

ولا شكّ أنّ دراسة شعر ابن حزم هامّة وذلك – على الأقلّ – لأنّ هذا الشعر يعتبر مكمّلا لشخصيّة الرّجل وموضّحا لكثير من ظروف حياته ولكثير من الغموض الطّارىء على بعض آثاره ومساهما في تنشيط الحركة الشعريــة في عصــره .

وفي انتظار أن يحظى شعر ابن حزم بدراسة ضافية (3) ، فإنّنا نعتزم هنا وضع إطار عامّ من شأنه أن يكون نقطة انطلاق لدراسة أوسع ، بضبط ما وصلنا إلى حدّ الآن من شعره وتحقيق قطعة من شعره أيضا ظفرنا بها منذ مدّة ، نعرّف بها اليوم وننشرها .

وليس من الغريب أن نرى ابن حزم الفقيه الظاهري ينصرف من حين إلى حين إلى قول الشعر . فالعرف السائد في الأندلس إذّاك يقضي بعدم التّخصّص في لون واحد من ألوان المعرفة ويشجّع على الأخذ من كلّ فنّ بطرف ، بالإضافة إلى أنّ صاحبنا حظي بتكوين مزدوج ، جانب منه كان يؤهّله إلى الآداب وآخر كان يؤهله إلى العلوم الدّينيّة ، وعاش في ظروف ساعدته على قول الشعر منها تربيته بين أحضان النّساء وتلقّيه لديهنّ أوّل مبادىء المعرفة وقد دَرَّبَهُ أبوه منذ عهد الطّفولة على حفظ قصائد جيّدة لمشاهير شعراء العرب ، وقد راعى أساتذته بعد ذلك هذه الظاهرة في نفسه ، ممّا جعل الشاعر الشاب يقتحم مجالس العامريّين الشعرية بروح قادرة ، فتهذّبت ملكته في هذه المجالس ورقّت (4) .

(3) نفكر في العودة إلى شعر ابن حزم بالبحث قريبا .

(4) أهم ما نعتمد لنستمد أخبار شاعرنا رسالته «طوق الحمامة» خاصة .

ويذكر الدّارسون أنّ ابن حزم كان شاعرا قديرا ، ويذكرون (5) ، أنّ له ديوانا شعريّا كتبه في صباه وأنّ له أشعارا تضمّنتها رسالة « طوق الحمامة » . على أنّ الذي بلغنا من شعر ابن حزم إلى الآن ورد مشتّتا في المصادر ، هكذا ورد نحو 700 بيت من الشّعر في « طوق الحمامة » و12 بيتا في « كتاب الأخلاق والسّير » (6) و48 بيتا في كتب التراجم (7) و316 بيت نشرها احسان عبّاس في آخر كتابه « الأدب الأندلسي — عهد سيادة قرطبة (8) » . فيكون وصلنا في الجملة إلى حدّ الآن نحو 1076 بيت من الشعر لابن حزم . على أنّ احسان عبّاس أشار في كتابه المذكور إلى أنّ ما نشره لابن حزم من شعر ليس إلاّ جزءا من ديوان لابن حزم محفوظ بالمكتبة التّيموريّة بالقاهرة (9) ، وقد أسعفنا الحظّ بأن ظفرنا بصورة من هذا الدّيوان المنسوب لابن حزم (10) ، ومنها استخلصنا للتّحقيق والنّشر أشعارا لم ترو في كتب التّراجم ولم تعرف ونرجّح أنّها لابن حزم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(5) أول من ذكر ذلك الحميدي على أنه لم يدل على « الديوان » بلفظه ، قال في «جذوة المقتبس ...» ص 290 ؛ « ... وشعره [ابن حزم] كثير ، وقد جمعناه على حروف المعجم » .

(6) ص 57—58 بتحقيق Nada Tomiche ، بيروت 1961 .

(7) متفرقة فيها ومتعددة المواضع ويبدو أنها مقتطفات من قصائد طويلة ضاعت .

(8) بيروت ط 1 1960 من ص 291 إلى ص 333 .

(9) يقول إنه اعتمد : «قطعة من ديوانه [ابن حزم] (مخطوط بالمكتبة التيمورية)» .

(10) أخذنا هذه الصورة في نوفمبر سنة 1967 من السيد عبد المجيد التركي واطلعنا على رسالة بعث بها إليه من القاهرة فؤاد السيد صحبتها بتاريخ 22 أوت 1964 ، ونقتطف من الرسالة ما يهم هذه الأشعار فيما يلي :
«النسخة ... مصورة على الفوتوستات ومسجلة تحت رقم ز/16302 وقد صورتها دار الكتب سنة 1946 عندما عرض أصلها على البيع الشيخ السفرجلاني الدمشقي ولم يقع الاتفاق معه على الثمن ولا يعرف حاليا مصير هذا الأصل وتتكون النسخة من 71 لوحة وخطها مقروء واضح وتميل إلى الصحة وكانت من أملاك أحد مفتي المدينة سنة 1251هـ . ونقتطف من رسالة أجابنا بها السيد مدير دار الكتب المصرية بتاريخ 26 مارس 1968 ، ما يلي : « ... هذا الديوان صور في سنة 1946 عن نسخة يملكها السيد محمد السنوسي ولا يعلم عنوانه » .
فنرجح هكذا ، أن الديوان — حسبما تضمنته صورته من إشارات ستوضح في محلها من هذا البحث ، وحسبما اقتطفنا من الرسالتين الفارطتين — انتهى إلى السيد محمد السنوسي سنة 1315هـ بعدما كان ملكا لبعض مفتي المدينة — وهو مصطفى بن تاج الدين بن الياس — سنة 1251 ، ثم انتهى إلى الشيخ السفرجلاني الدمشقي وضاع .

والناظر في صورة هذا الشريط يلاحظ أنّ الخطّ فيها واضح ولكنّه يكتسي بعض العسر في بعض اللّوحات من جرّاء السّحب . كما يلاحظ أنّها تتضمّن 142 صفحة مرقّمة من 1 إلى 142 ، موزّعة على 71 لوحة كلّ لوحة منها تتضمّن صفحتين .

أمّا الصّفحة الأولى (11) من اللوحة الأولى فتتضمّن حمدلة وتصلية بالخطّ الثلثي ، وتحتها ما يلي « ديوان ابن حزم » ممّا لا يترك للقارىء شكّا مبدئيا في صحّة نسبة هذه الأشعار لابن حزم ، وتحت ذلك ، بنفس الخطّ نجد هذه العبارة « ملك مصطفى » وهو المفتي الذي كان يملك أصل « الدّيوان » ، وإثر ذلك نجد طابعا في شكل مثلث تضمّن هذه العبارة : « مطبعة دار الكتب المصرية — قسم التصوير — 1946 » .

أمّا الصفحة الثانية فبيضاء لا شيء فيها ، وتليها اللّوحة الثانية وتحمل صفحتاها رقمي 6 و7 ، ولا يبدو أنّه سقطت أشعار بين اللّوحة الأولى والثانية ، خاصّة وأنّنا نجد هذه العبارة في بداية أوّل قصيدة في ص 6 (12) : « باسم الله الرّحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلّم ، قال الفقيه ... » ذلك دليل على أنّ مجموعة الأشعار تبتدىء في هذه الصفحة وأنّه لم يسبقها غير المقدمة .

ثمّ تتوالى الأشعار بعد ذلك ، في معدّل 20 سطرا في الصّفحة الواحدة تقريبا ، وقد بدت فيها بعض التصحيحات في الطرة لعبارات قد ضُرب عليها في المتن وشروح لبعض المفرداث ولكنّها قليلة حتّى نصل إلى اللوحة رقم 70 (13) فنقرأ في آخر صفحتها الثانية هذه العبارة الخاتمة « الحمد لله ربّ

(11) انظرها فيها ورد في ص 163 .

(12) هي من القصائد التي نشرها احسان عباس في كتابه المذكور ،وهي القصيدة الي رد فيها شاعرنا على القصيدة التي وردت من النقفور ملك النصارى وسيأتي الحديث عنه في حاشية ص عدد 155 وعنها في متن نفس الصفحة .

(13) انظرها في ص 173—176 .

العالمين وصلاته على محمد عبده ورسوله وعلى آله وعترته الطّاهرة » ، ممّا يجعلنا نجزم بأنّ الأشعار التي بين أيدينا هي كلّ ما جمع من شعر ونسب لابن حزم على أنّه ديوانه . وتلي ذلك الصفحة الأولى من اللوحة رقم 71 وبها خاتم في شكل دائرة ونصّه : « فيض الفاتح القدوس السيد محمد بن السيد علي بن السنوسي سنة 1315هـ » وبجانب الخاتم تمليك جاء فيه : « تملّكه الفقير إلى ربّه مصطفى بن تاج الدين بن الياس ، مفتي المدينة المنوّرة سنة 1251 » . ونجد في الصّفحة الثانية من نفس اللّوحة طابعا آخر لدار الكتب المصريّة يتضمّن نفس العبارة المذكورة سلفا .

ومن الملاحظ أنّ هذا الدّيوان لا يخضع إلى نظام أبجدي ولا تاريخي ولا نرى الأشعار فيه مجموعة حسب الأغراض ، على أنّنا نجد في صفحة 20 من اللّوحة التاسعة هذه العبارة ، وقد صدّر بها النّاسخ القصيدة التي وردت من النّقفور ملك النّصارى (14) «وهذه القصيدة التي وردت من ملك النصارى يذكر فيها ما أخذ الرّوم من بلاد الثّغور وقد تقدّم جواب الفقيه رضي الله عنه عنها وأخّرناها لأمر » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا الأمر ليس في رأينا إلاّ قصد تصدير الدّيوان بأحسن ما فيه ذكر لله ومدح لجلالته من أشعار . ويزيد هذا الرّأي تدعيما موضوع القصيدة الأولى الواردة في الدّيوان ، فهو يقوم على إثبات حدوث العالم وصحّة نبوّة محمد . وإذا علمنا أنّ النّاشر أورد قصيدة كاتب النّقفور بعد أن روى أشعارا أخرى لابن حزم لا تتّصل بها ، علمنا نزعته إلى تصدير الدّيوان كذلك بما يعتقد أنّه من عيون أشعار الرّجل .

---

(14) هو النقفور الثاني فوقاس Nicéphore Phokas ولد حوالي س 913م وكان امبراطورا بين 963–969م . وقصيدته كانت مرسلة إلى أمير المؤمنين المطيع (946–974) بالمشرق وقد نظمها له كاتب مرتد .

وبعد هذه التّحقيقات كلّها لا يسع الإنسان إلاّ أن يواصل مطالعة « الديوان » على أنّه لصاحبنا ابن حزم ، ولكنّه سرعان ما يفاجأ بحقيقة أخرى ، وهي أن يشكّ في هذه النّسبة وأن يعود توا إلى « اللّزوميات » . فيلاحظ أن أكثر هذه الأشعار إنّما هي للمعرّي لا لابن حزم وأنّها منشورة برمّتها هنا وهناك في جزئي اللّزوميات ويبدأ هذا الشكّ منذ أعلى صفحة 26 من لوحة 12 ، حيث نجد هذه العبارة « وقال أيضا رضي الله عنه ، هذا من شعر المعرّي ليس هو لابن حزم » .

والذي لاحظنا هو أنّ ما سبق هذه اللّوحة ليس فيه أشعار للمعرّي ، وأنّ جلّ ما ورد بعدها ، إنّما هو للمعرّي .

وهكذا بعد ضبط دقيق رأينا ضرورة تصنيف هذه الأشعار إلى ثلاثة أقسام :

– القسم الأول والأكبر يتضمّن أشعارا للمعرّي واردة في اللّزوميات(15)

– ويتضمّن القسم الثاني قصيدة وردت من ملك النّصارى النّقفور تقع في 67 بيتا (16) .

– ومجموعة صغيرة من الأشعار هي لابن حزم وتقع في 445 بيت ، وقد نشر احسان عباس في كتابه المذكور 316 بيت منها في صفحات 291–333 .

فتبقى لنا 129 بيت من الشعر في 4 قصائد وبيت يتيم ، تتضمّن أطولها 13 بيتا معروفة رواها أصحاب التراجم متفرّقة كما سوف نذكر (17) ، أمّا البقيّة فأشعار نرجح أنّها لابن حزم لم تنشر بعد ولم تعرف ننشرها إثر هذا البحث ونعرّف بها ، وهي الباعث الأوّل على هذا العمل .

---

(15) هي متفرقات وأحيانا قصائد كاملة من هنا وهناك من اللزوميات على ترتيبها المعروف في اللزوميات أحيانا وأحيانا أخرى في ترتيب آخر . وقد تكون المقارنة بين هذه القطعة من شعر المعرى والصورة التي وردت عليها في اللزوميات مفيدة .

(16) أنظر التعليق عليها في ص 155

(17) هي الأبيات عدد 16 و17 ومن 48 إلى 58 من البائية المرفوعة أنظر ص 164–169 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والملاحظ أنّ هذه الأشعار التي نعرّف بها اليوم لم ترد متوالية في هذه المجموعة وإنما متخلّلة أشعار المعرّي ، بينما وردت القطعة التي رواها احسان عبّاس متتابعة ومتضمّنة لقصيدة النّقفور .

وفي الحقيقة ليس من الصّعب أن يلاحظ الإنسان أنّ أكثر أشعار هذا « الديوان » للمعرّي لا لابن حزم وذلك لأسباب :

– أوّلها أنّ اسم المعرّي ذكره النّاسخ مرّة مثبتا أنّ بعض الأشعار له وإن هي نسبت لابن حزم (18) .

– وثانيها أنّ المتدرّب على روح المعرّي لا يكاد يفتقد هذه الرّوح في كثير من هذه الأشعار .

– وثالثها أنّ جلّ هذه الأشعار تحوم حول موضوعات ما ورائية ، ونحن نعلم أنّ الماورائيات كانت مصدر إلهام أبي العلاء في اللّزوميات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونرى أنّ الخلط بين شعري هذين العلمين ربّما وقع لهذه الأسباب :

– تقارب مجموعة هذه الأشعار في الغرض وخلوّها من الأغراض التّقليديّة الأخرى المعروفة كالغزل والمدح والهجاء (19) .

– نزعة كلّ من المعرّي وابن حزم – وخاصّة في كهولتهما – إلى طرق مثل هذه الاغراض ، فقد اتّفقا في النظر إلى الدّنيا بنفس المنظار وكلاهما انتهى من تجربة الدّنيا صغيرا إلى ضرورة الصّدّ عنها والعمل على مناهضتها وإن هما اختلفا في طريقة هذا الصّدّ .

– عيشهما في نفس الفترة وإن في بيئات مختلفة (20) .

(18) أنظر ص 156 .

(19) مصدر الإلهام فيها الماورئيات ويغلب عليها التشاؤم .

(20) ابن حزم (384 = 456/994 = 1064) والمعرى (379 = 460/979 = 1058) .

وإنّه من المفيد جدّا الآن أن نعود إلى شعر ابن حزم كلّه بشيء من التّمحيص والتّأمّل لنضبط خصائصه وفوائده ، ولكن رأينا أن نقتصر في هذا البحث على النظر فيما اكتشفنا له من شعر وأن نقول فيه كلمة مقدّمة سريعة ليس إلاّ .

أما تفصيل هذه الأشعار فكما يلي :

1 — قصيدة في الإخوانيّات من البسيط وهي آخر ما ورد في المجموعة، قافيتها نون مكسورة وتقع في 32 بيتا وتتضمّن تحليلا لأثر بعد الأحبّة في نفس الشاعر (21) .

2 — وقصيدة في الفخر من البسيط ، قافيتها باء مكسورة وتقع في 26 بيتا ، يفخر فيها ابن حزم بمنزلته الفكرية السّامية مبيّنا أنّه مطمئنّ في إدباره عن الدّنيا بقلب غير متعطّش ولا محروم (22) .

3 — وقصيدة في الفخر والعتاب من الطويل وقافيتها باء مضمومة وتقع في 59 بيتا ، وسيأتي الحديث عنها مفصلا (23) .

4 — وقصيدة في التّشاؤم من الطويل وقافيتها دال مضمومة وتقع في 11 بيتا وموضوعها : حدس الشاعر بقرب الفناء وتأسّفه لوشك مفارقته زاده العلمي (24) .

5 — وأخيرا بيت مفرد من الطويل في الغزل (25) .

وقد حاولنا ضبط تواريخ هذه القصائد الأربع والبيت المفرد وتعيين مناسبات قولها ولكنّنا لم نصل إلاّ إلى نتيجة عامّة تتعلّق بهذه القطعة كلّها

---

(21) انظرها في ص 173—176 .

(22) انظرها في ص170—172 .

(23) انظرها في ص 164—169 .

(24) انظرها في ص 172—173 .

(25) انظره في ص 169 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استخلصناها من النّفس العامّ الغالب عليها وذلك أنّنا نرجّح أن يكون ابن حزم قال مجموعة هذه الأبيات في طوره الثاني أي بعد أن تقزّز من الحياة أي بصورة أدقّ بعد أن تجاوز مرحلتي الطفولة والشّباب وأتمّ دراسته (26) ، ولم نتمكّن إلاّ من ضبط تاريخ قصيدة واحدة من المجموعة وضبط ظروف قولها ، وهذه القصيدة هي التي قافيتها باء مضمومة (27) . فالشاعر خاطب في هذه القصيدة أبا المطرّف (28) مفتخرا معاتبا . وأبو المطرّف هذا ، هو عبد الرّحمان بن بِشْر قاضي الجماعة بقرطبة (29)،ولي القضاء من سنة 407ه إلى سنة 419ه ، وتوفّي سنة 422ه (30) .

وقد روى أصحاب التّراجم من هذه القصيدة 13 بيتا متفرّقة (31) جمعها طه الحاجري واعتبرها قصيدة قائمة الذات وحاول ضبط تاريخ قولها فانتهى إلى حصره بين سنتي 421 و422ه (32) ، إلاّ أنّنا نرى ــ بالاعتماد على كامل القصيدة ــ أن يكون شاعرنا قالها قبل هذا التّاريخ ، لأنّ أبا المطرّف لم يبق قاضيا إلاّ نحو 13 سنة ، من سنة 407 إلى 419ه ، وابن حزم لا يرجّح أن يكون قال قصيدته إلاّ وأبو المطرف قاض ، إذن قبل سنة 419 . ثمّ إنّ ابن حزم يشير في قصيدته هذه إلى أنّه بلغ 25 سنة أو تجاوزها إذن بلغ سنة 409 أو تجاوزها ، وذلك في قوله مفتخرا بتحصيل العلم :

وَأَنْسِيَ مُذْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً
أَرُوحُ وَأَغْدُو وَهْوَ صَارِمِيَ الْعَضْبُ (33)

---

(26) فتور الكهولة وبداية الشيخوخة ظاهرة في كثير من أبيات هذه القطعة .
(27) ص 164–169 .
(28) استنتجنا ذلك من العبارة التي قدم بها الناسخ لهذه القصيدة ، أنظر أعلى ص 164 .
(29) الحميدى ، جذوة المقتبس ، القاهرة ، 1952 ، ص 25 .
(30) النباهي «تاريخ قضاة الأندلس» مصر 1848 ص 87–89 ، ابن بشكوال « الصلة » القاهرة 1955 ، 1 ، ص 313 .
(31) سنشير إليها في محلها من القصيدة .
(32) طه الحاجري « ابن حزم ، صورة أندلسية » دار الفكر العربي د.ت. 182–184 .
(33) انظره في البائية المضمومة ، ص 166 بيت 24 .

وهكذا ننتهي إلى حصر تاريخ هذه القصيدة بين سنتي 409 و419هـ . وهذة القصيدة رسالة شعرية تضمّنت صرخة عالية لحالة نفسيّة مضطربة كان يعانيها ابن حزم من ألم الاضطهاد الذي لاقاه من معاصريه ، إلى درجة أنّه أصبح يشعر بغربة روحيّة كبرى وهو في بلده وبين أقرانه ، هي غربة كغربة الأنبياء ، وقد كان عبّر عن هذه الأزمة نثرا وهو هنا يعبّر عنها شعرا .

نتساءل الآن : ما هو حظّ هذه الأشعار المكتشفة من بلورة الغموض الطارىء على شعر ابن حزم ؟

وتمهيدا للجواب عن هذا السؤال نرى من الضروري أن نُثيرَ مشكلا طالما خاض فيه دارسوّ ابن حزم بسبب ما لاحظوا من ورود كثير من أشعار الرّجل متخلّلة الفصول النّثريّة في رسالة «طوق الحمامة» ويتمثّل هذا المشكل في معرفة . هل إنّ ما وصلنا من شعر ابن حزم في بعض رسائله وخاصّة في « طوق الحمامة » وفي بعض كتب التراجم جزء من الديوان أم هل هو مستقلّ عنه ؟ فإذا كان ما وصلنا جزء من الديوان فما السرّ في تأليف « طوق الحمامة » على تلك الطّريقة الطريفة ؟ وإذا كان مستقلاّ عنه فكيف نفسّر بتر بعض القصائد الواردة في الطوق ؟

بحث في هذه المشاكل أوّلا الأستاذ ليفي بروفنسال وأبدى رأيه في القضيّة في فصل كتبه في مجلّة الأندلس (34) ، وملخّص هذا الرّأي أنّ القطع الشعرية الواردة في الطوق مبتورة . وكذلك الفصول النّثريّة وأورد لتدعيم ذلك حججا قويمة وانتهى إلى الاعتقاد أنّ الطوق هو نفسه الديوان تحيط بأشعاره تفاصيل نثرية وأخبار من شأنها أن تكون شاهدة على ما يرويه . كما يرى أنّه يمكننا أن نعتبر أنّه وجدت نسختان للطوق في عهد ابن حزم

---

(34) « الأندلس » XV ، 1950 ص 335—375

« En relisant le Collier de la Colombe » : Lévi Provençal

نفسه نسخة كاملة وأخرى مختصرة وقد يكون الشاعر هو نفسه الذي اختصر الثانيـة .

وناقش الأستاذ روجي أرنلداز هذا الرّأي وبيّن موقفه من هذه القضيّة في مقدّمة كتاب له عن ابن حزم (35) ، فذهب إلى أنّ الشاعر انطلق ليؤلّف كتابا في الحبّ نثرا وشعرا وقد اضطرّ إلى الاستشهاد ببعض قصائد ديوانه وبعض أبيات أخرى ألحقها بالطوق ، وهكذا يكون ألّف الطوق ثمّ عاد إليه بالمراجعة فالزيادة .

فالفرق بين الرأيين هو أن طوق الحمامة هو نفسه الديوان حسب ليفي بروفنسال . أمّا حسب روجي أرنلداز فالكتابان مستقلاّن إلاّ أن الطوق متضمّن لأشعار وردت في الدّيوان . أمّا اليوم ـــ وقد اكتشفنا قطعة أخرى من شعر ابن حزم ـــ فنستطيع أن نقول كلمة فاصلة في هذه المشاكل . أو تكاد ذلك أنّنا نستطيع أن نعتقد الآن أنّ رسالة طوق الحمامة مستقلّة عن الديوان ، إذ لا شيء في القطعة التي بين أيدينا ممّا جمع وسمّي « ديوان ابن حزم » يتّصل برسالة طوق الحمامة لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون ، بل كلّ ما فيها يوحي باستقلال أحد الكتابين عن الآخر (36) إلاّ أنّ هذا الرّأي لابدّ من أن نشفعه بشيء من الاحتراز ذلك لأنّنا لا نرى أنّ هذه القطعة مع ما نشره احسان عباس هي كلّ ديوان ابن حزم بل نعتقد أنّ للرّجل أشعارا أخرى لم تظهر بعد ، فأين أشعار الصّبا ؟ وأين أشعار الغزل الغضّ ؟ نحن لا نكاد نظفر من ذلك إلاّ بما ورد في طوق الحمامة خاصّة وما نعتقد أنّه مبتور ناقص .

---

(35) Roger Arnaldez : « Grammaire et thécologie chez Ibn Hazm de Cardora » باريس 1956 . انظر المقدمة ص 21 .

(36) من حيث الشكل لا أثر لتقارب في السياق ولا في ظروف القول ومن حيث المضمون لا أثر لتقارب من حيث الأغراض والموضوعات خاصة .

هـذه اللوحة عـدد 69 (ص 140 ـ 141) من المجموعة الشعرية وباعلى ص 140 قطعة من شعر المعـري واثرها البائية المكسورة وتنتهـي في ص 141 ، وفـي آخر ص 141 بدايـة الـداليـة المرفوعـة ، ونرجح ان كلا منهما لابـن حـزم .

وهكذا نرى أنّ القطعة التي نحقّقها اليوم من شعر ابن حزم تساهم بقسط كبير في إلقاء أضواء هامّة على حياة الشاعر أوّلا وعلى شخصيّته ثانيا وعلى آثاره خاصّة وعلى الشعر العربي بالأندلس إذّاك عامّة .

فأكثرها يصوّر لنا بجلاء عنف الأزمة النّفسيّة التي كان يعانيها الشاعر وهو على عتبة الكهولة من جرّاء تألّب الأعداء عليه وتقدّم لنا ألوانا مختلفة من العذاب الذي كان يلقاه الشاعر في جهاده في سبيل الله ، وتوضّح لنا كذلك بعض مقوّمات شخصيّته فترينا الشاعر على جانب كبير من حدّة النّفس ورقّة الشعور وتوضّح الإخلاص الذي كان يكنّه الشاعر لعقيدته ومذهبه وأصدقائه كذلك . ونرى أنّ هذه الأبيات ممّا يزيد ترجيحا الرأي الذّاهب إلى اعتبار « رسالة طوق الحمامة » المعروفة ، مستقلّة عن « ديوان » ابن حزم ، الذي أصبحنا اليوم نعرف منه نصيبا لا بأس به . ثم إنّ هذه الأبيات تجعلنا نتبيّن بأكثر دقّة الأغراض التي كان يقصد إليها شعر الأندلسيين في تلك الفترة ، والنحو الذي كان جاريا عليه .

وفيما يلي ننشر مجموعة الأشعار المكتشفة مرتّبة حسب المحلّ الذي جعلها فيه الناسخ من أشعار المعرّي .

[نصّ ما ورد في الصّفحة الأولى من اللّوحة الأولى من المخطوط]

لاَ إِلاَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه ، اللَّهُ هُوَ الحَق الحَي القَيُّومُ
لاَ إِلاَهَ إِلاَّ اللَّهُ . الوَاحِدُ القَهَّارُ ، نِعْمَ الحَافِظُ ،
اللَّهُ نِعْمَ القَادِرُ ، اللَّهُ نِعْمَ النَّاصِرُ ، اللَّهُ مُقَدِّرُنَا ،
فَنِعْمَ القَادِرُونَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ .

ديوَانُ « ابْنِ حَزْمٍ »
مِلْكُ مُصْطَفَى

مطبعة دار الكتب المصرية
قسم التصوير
1946

وَقَالَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يُخَاطِبُ أَبَا المُطَرِّفِ (37) :

طويل

1 أَخٌ لِيَ مَشْكُورُ المَسَاعِي وَسَيِّدٌ
تَسُرُّ بَوَادِيهِ إِذَا سَاءَكَ الصَّحْبُ

2 أَلَمْ يُجَالِسْنِي جَلاءَ مُجَرِّبِ
عَلَى أَنَّهُ حَقًّا بِيَ العَالِمُ الطَّبُّ

3 يُطَالِعُ فِي سُبُلِ البَلاَغَةِ مَذْهَبِي
وَهَلْ يَسْتَوِي مِنْهَا لِيَ الحَزْنُ وَالسَّهْبُ

4 وَكَيْفَ أَنَا فِيهَا إِذَا مَا تَشَعَّبَتْ
وَضَاقَ عَلَى طُلاَّبِهَا المَنْهَجُ الرَّحْبُ

5 فَلُحْتُ لَهُ خربت غفل (38) وَمَجْهَلٍ
يَضِلُّ لَدَيْهِ النَّجْمُ وَالقَشْمُ النَّكْبُ

6 فَيَا أَيُّهَا القَاضِي المُبَجَّلُ وَالَّذِي
مَوَارِدُهُ من سري (39) البَارِدُ العَذْبُ

7 وَمَنْ دَانَ أَرْبَابُ العُلُومِ بِأَسْرِهِمْ
لَهُ بِصَرِيحِ الرِّقِّ وَهْوَ لَهُمْ رَبُّ

8 أُعِيذُكَ أَنْ تَرْتَابَ أَنَّنِيَ الذِي
أَتَى سَابِقًا وَالكُلُّ يَنْجُرُ أَوْ يَحْبُو

9 وَمِثْلَيَ إِذَا جَدَّ الرِّجَالُ وَأَتْعَبُوا
نُفُوسَهُمُ سَعْيًا وَكَدَّهُمُ الخَطْبُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(37) هذه الجملة المقدمة للناسخ . والقصيدة أشار إليها جل من ترجم لابن حزم واختلفوا في طولها إلا أنهم لم يذكروا منها إلا 13 بيتا في الجملة سنشير إليها في موضعها .

(38) كذا في الأصل .

(39) كذا في الأصل .

10 تَقَدَّمَ سَبْقًا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ
وَغَادَرَ مَنْ جَارَاهُ فِي رَهْجِهِ يَكْبُو

11 أَمِثْلُكَ يَعْشُو عَنْ مَكَانِي وَيَمْتَرِي
بِأَنِّيَ مِنْ أَفْلاَكِ ذَا الأَدَبِ الْقُطْبِ

12 أَيَخْفَى عَلَيْكَ الْبَدْرُ لَيْلَةَ تَمِّهِ
وَلَمْ يَسْتَتِرْ عَنْكَ الْبَيَازِكُ وَالشُّهْبُ

13 وَأَنْتَ الذِي يَلْقَى الْخَفِيَّاتِ ظَاهِرًا
بِعَيْنِ نُهًى لَمْ تُرْجَ مِنْ دُونِهَا الحُجْبُ

14 فَكَيْفَ بِمَا وَازَى الجَهُولَ تَمَكُّنًا
ذَوُو العِلْمِ فِيهِ وَاسْتَوَى السُّودُ وَالصُّهْبُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

15 وَحَاشَايَ أَنْ يَمْتَدَّ زَهْوٌ بِمَنْطِقِي
وَأَنْ يَسْتَفِزَّ الحِلْمَ فِي قَوْلِيَ العُجْبُ

16 وَلَكِنَّ لِي فِي يُوسُفَ خَيْرَ أُسْوَةٍ
وَلَيْسَ عَلَى مَنْ بِالنَّبِيِّ ائْتَسَى ذَنْبُ(40)

17 يَقُولُ وَقَالَ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ إِنَّنِي
حَفِيظٌ عَلِيمٌ مَا عَلَى صَادِقٍ عَتْبُ

18 فَلَوْ كُسِيَ الفُولاَذُ حِدَّةَ خَاطِرِي
تَسَاوَى لَدَيْهِ اللَّحْمُ وَالحَجَرُ الصُّلْبُ

19 وَلَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ بَعْضُ ذَكَائِهِ
وَفَاضَتْ عَلَيْهِ لُجَّةُ البَحْرِ لَمْ يَخْبُ

20 وَمَا اخْتَصَّ عِلْمٌ دُونَ عِلْمٍ بِوِجْهَتِي
بَلَى مَسْرَحِي فِي كُلِّهَا الوَاسِعُ الخَصْبُ

(40) هذا البيت والذي يليه مما ذكره أصحاب التراجم .

21 تَظَلُّ فُنُونُ العِلْمِ تَجْلَى إذَا غَدَتْ
بِأيْدِي رِجَالٍ وَهْيَ مَنْجُولَةٌ غَصْبُ ص/65

22 وَمَا عَزَّنِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ مَطْلَبُ
مِنَ العِلْمِ مِمَّا أبْقَتِ العُجْمُ وَالعُرْبُ

23 حَلِيفِي وَمُحْيِي هِمَّتِي وَمُنِيرُهَا
وَرَافِعُ ذِكْرِي حَيْثُمَا اتَّصَلَ الرَّكْبُ

24 وَأنْسِيَ مُذْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ حِجَّةً
أرُوحُ وَأغْدُو وَهْوَ صَارِمِيَ الْعَضْبُ

25 وَخِطَّتِيَ العُلْيَا الَّتِي لَسْتُ أتَّقِي
حَيَاتِيَ مِنْهَا العَزْلُ مَا رَتَعَ الضَّبُّ

26 وَمَالٌ عَمِيمٌ لَسْتُ أخْشَى نَفَادَهُ
بِإنْفَاقِهِ لاَ بَلْ يَزِيدُ وَيَنْصَبُّ

27 سَمَوْتُ بِنَفْسِي لاَ بِمَجْدٍ هَوَتْ بِهِ
مِنَ الزَّمَنِ العَدَّاءِ آلاَتُهُ الحُدْبُ

28 عَلَى أنَّنِي لَوْ شِئْتُ قُلْتُ مُصَدَّقًا
وَأقْبَحُ قَوْلٍ مَا ألَمَّ بِهِ الْكِذْبُ

29 وَلَكِنَّهُ مَنْ لَمْ يُشِدْ مَا حَلاَ لَهُ
رَغْبًا فِي مَبَانِيهِ وَضَعْضَعَهَا السَّقْبُ

30 فَإنْ شِئْتَ فِي عِلْمِ الدِّيَانَةِ تَلْقَنِي
نِقَابًا لَهُ لَمْ يَخْفَ عَنِّي لَهُ نَقْبُ

31 وَأمَّا أفَانِينُ الحَدِيثِ فَإنَّنِي
أنَا بَحْرُهَا الطَّامِي وَيَنْبُوعُهَا السَّكْبُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

32 وَقَيَّدتُ مِنْ فُتْيَا ذَوِي الْفِقْهِ ضَابِطًا
بِحِفْظِيَ مَا طَالَتْ بِهِ تَبْلُهَا الحِقَبُ

33 وَإنْ لاَذَ طُلاَّبُ الْكَلاَمِ بِجَانِبِي
فَإنِّيَ سَاقِيهِمْ وَكُلُّهُمُ شَرْبُ

34 وَعِلْمِي بِمَا فِي سِرِّ خَصْمِي كَعِلْمِهِ
فَمَا غَابَ عَنِّي مِنْهُ سَهْلٌ وَلاَ صَعْبُ

35 وَإنْ تُذْكَرِ الأَشْعَارُ لَمْ يَكُ خَارِجًا
أمَامِي جَرِيرٌ فِي الرِّهَانِ وَلاَ كَعْبُ

36 وَمَا ضَرَّ شِعْرِي ان منو شهر والذي (41)
وَلَمْ يَحْظَ بِي عِلْمًا تَمِيمٌ وَلاَ كَلْبُ

37 وَأمَّا تُسَائِلْ بِاللُّغَاتِ وَنَحْوِهَا
فَمَا صَارِمِي فِيهَا إذَا عُدِّدَتْ يَنْبُو

38 وَمَا إنَّ شَأنِي عِنْدَ ذَلِكَ سَابِقٌ
عَلَى أنَّنِي لَمْ يُغْرِنِي التَّعْبُ وَالوَطْبُ

39 وَحَسْبُكَ بِي فِي ذِي الأعَارِيضِ مَمْنَعًا
إذَا عُدَّتِ الأوْتَادُ وَالشَّطْرُ وَالضَّرْبُ

40 وَإنْ شِئْتَ أخْبَارَ الدهُورِ فَإنَّنِي
أنَا جَامِعُ التَّارِيخِ مُذْ نَبَتَ الهُضْبُ/ص66

41 فَمَا غَابَ عَنِّي أمْرُ مَلْكٍ مسونه (42)
وَلاَ شَذَّ دُونِي أمْرُ سِلْمٍ وَلاَ حَرْبُ

(41) كذا في الأصل .
(42) كذا في الأصل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

42 سَوَاءٌ عَلَى ذِكْرِي قَرِيبٌ وَنَازِحٌ
وَمَنْ حَمَلَتْ أَرْضٌ وَمَنْ ضَمَّهُ التُّرْبُ

43 وَإِنْ تُذْكَرِ الأَنْسَابُ كُنْتُ نَقِيبَهَا
وَلَمْ يَخْفَ عَنْ ذِكْرَايَ حَيٌّ وَلاَ شِعْبُ

44 وَلَوْ أَنَّ رُسْطَالِيسَ حَيٌّ بَدَدْتُهُ
وَمَا عَاشَ إِلاَّ وَهْوَ لِي بِالْحَرَى تِرْبُ

45 يُسَافِرُ عِلْمِي حَيْثُ سَافَرْتُ ظَاعِنًا
وَيَصْحَبُنِي حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ بِيَ الرَّكْبُ

46 مَحَلَّتُهُ صَدْرِي وَمَسْكَنُ عُذْرِهِ
بِحَيْثُ الْتَقَى مِنِّي التَّرَائِبُ وَالتُّرْبُ

47 إِذَا مَا الجَنُوبُ اسْتَوْطَأَتْ فِي ضِجَاعِهَا
فَعَنْهُ نَبَا عَنْ مَضْجَعِي مِنِّيَ الجَنْبُ

48 أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوِّ العُلُومِ مُنِيرَةٌ
وَلَكِنَّ عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِيَ الْغَرْبُ

49 وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِعٌ
لَجَدَّ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِيَ النَّهْبُ

50 وَلِي نَحْوَ أَكْنَافِ العِرَاقِ صَبَابَةٌ
وَلاَ غَرْوَ أَنْ يَسْتَوْحِشَ الكَلِفُ الصَّبُّ

51 فَإِنْ يُنْزِلِ الرَّحْمَانُ رَحْلِيَ دُونَهُمْ
فَحِينَئِذٍ يَمْضِي التَّأَسُّفُ وَالكَرْبُ

52 فَكَمْ قَائِلٍ أَغْفَلْتُهُ وَهْوَ حَاضِرٌ
وَأَطْلُبُ مَا عَنْهُ تَجِيءُ بِهِ الكُتُبُ

(43) من بيت 48 ، 11 بيتا مما ذكره أصحاب التراجم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

53 هُنَالِكَ يُدرَى أنَّ لِلبُعْدِ قِصَّةً
وَأنَّ فَسَادَ العِلْمِ آفَتُهُ القُربُ

54 فَيَا عَجَبًا مَن غَابَ عَنْهُم تَشَوَّقُوا
لَهُ وَدَنَوْا لِمُزْمِنٍ (44) دَرَاهِمْ ذَنْبُ

55 وَإنَّ مَكَانًا ضَاقَ عَنِّي لَضَيِّقٌ
عَلَى أنَّهُ فَيْحٌ مَذَاهِبُهُ سُهْبُ

56 وَإنَّ رِجَالاً ضَيَّعُونِي لَضُيَّعٌ
وَإنَّ زَمَانًا لَمْ أنَلْ خِصْبَهُ جَدْبُ

57 وَلَوْ إنَّنِي خَاطَبْتُ فِي النَّاسِ جَاهِلاً
لَقِيلَ دَعَاوٍ لاَ يَقُومُ لَهَا طُنُبُ

58 وَلَكِنَّنِي خَاطَبْتُ أعْلَمَ مَنْ مَشَى
وَمَنْ كُلُّ عِلْمٍ فَهْوَ فِيهِ لَنَا حَسْبُ

59 يُصَدِّقُنِي فِي وَصْفِهِ كُلُّ سَامِعٍ
يَقِينًا وَلاَ يَأبَى لِسَانٌ وَلاَ قَلْبُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.... (بَيْتٌ مُفْرَدٌ) (45) :

(طويل)

1 كَأنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ يَكُ فُرْقَةٌ
إذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الفِرَاقِ تَلاَقِ /ص 67

---

(44) كذا في الأصل .
(45) عبارة للناسخ . وهو البيت الوحيد الذي ورد في الغزل من بين هذه المجموعة .

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (بسيط)

1 بَلَغْتُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ذُرَى أَرَبِي
فِي لَذَّةِ العَيْشِ وَالسُّلْطَانِ وَالنشَبِ

2 فَأَذْهَبَتْ دُوَلُ الأَيامِ مَنْزِلَتِي
وَزَادَ فَقْدِيَ اللذَّاتِ فِي كَرَبِي

3 وَكَانَ مَالِي لِهَذَا كُلِّهِ تَبَعًا
بَلْ صَارَ عَوْنًا لأَعْدَائِي عَلَى طَلَبِ

4 لَكِنْ رَجَعْتُ وَقَدْ جَدَّ الزَّمَانُ إِلَى
كَنْزٍ مِنَ العِلْمِ وَالأَخْلاَقِ وَالأَدَبِ

5 فَأَعْجَزَ الدَّهْرَ أَنْ يُؤْذَى بِوَاحِدَةٍ
مِنْهَا وَأَقْصَرَ عَنِّي وَاهِيَ السبَبِ

6 لاَ أَخْتَشِي تَضَعُ الأَيامُ مَنْزِلَتِي
مَدَى الزَّمَانِ وَعِنْدِي أَغْلَبُ الطلَبِ

7 لاَ يَسْتَطِيعُونَ عَزْلِي عَنْ وِلاَيَتِهَا
إِذْ كُل وَالٍ لَهُمْ بِالْعَزْلِ فِي العُقَبِ

8 هَذَا بِلاَ كُلْفَةٍ مِنِّي وَلاَ حَرَسٍ
وَلاَ عَدِيدٍ وَلاَ إِنْفَاقِ مُكْتَسَبِ

9 وَكَمْ أَخٍ لِيَ مُصْفٍ غَيْرِ مُضْطَرِبٍ
لأَنَّ مَا فِيهِ آخَى غَيْرُ مُضْطَرِبِ

10 وَكُل مَنْ كَانَ فِي دُنْيَايَ يَصْحَبُنِي
نَادَيْتُهُ حِينَ خَانَتْنِي فَلَمْ يُجِبِ

11 كَلاَمُ مَنْ جَرَّبَ الأَمْرَيْنِ وَانْفَتَحَتْ
له المَذَاهِبُ من جِدٍّ وَمن لَعِبِ/ص 140

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

12 أنَا ابْنُ مَنْ دَبَّرَ الدنْيَا بِخَاتَمِه
عِشْرِينَ عَامًا وَعَشْرٌ بَعْدُ لَمْ يَرَب

13 وَإنَّ مَنْزِلَتِي فِي العِلْمِ مَنْزِلَةٌ
فِي المُلْكِ خَطٌّ كَخَطِّ الصَّادِق النسَب

14 مَا زِلْتُ أدْخِرُهُ دَهْرِي وَأنْفِقُهُ
كَفِعْلِه في اللجَيْنِ المَحْض وَالذَّهَب

15 وَإنني لَبَخِيلٌ بِالسلاَمِ إذَا
بَخِلْتُ بِالْعِلْمِ مِنْ لَفْظِي وَمن كُتُبِي

16 لَوَاسْتَطَعْتُ مَنَحْتُ النَاسَ كُلَّهُمُ
مَا قَدْ تَجَمَّعُ فِي حَفْظِي وَفِي كَسَبِي

17 أأبْذُلُ المَالَ يُفْنِي البَذْلُ حَاصِلَهُ
وَلَسْتُ أبْذُلُ مَا يَنْمِي عَلَى النهَب

18 وَكَيْفَ أسْتُرُ مُعْلِي رُتْبَتِي أبَدًا
وَمَنْ يُخَلِّدُ ذِكْرِي آخِرَ الحِقَب

19 وَمَنْ يُكَثِّرُ لِي أهْلِي وَيَجْعَلُنِي
صَدِيقَ مَنْ شِئْتُ مِنْ عُجْمٍ وَمن عَرَب

20 أنِيسُ رُوحِي إذَا ما الدَّهْرُ أوْحَشَنِي
وَنُورُ عَقْلِي وَجَالِي غُمَّةَ النكَب

21 سَائِلْ بِأيِّ عُلُوم العَالَمِينَ تَجِدْ
عِنْدِي يَنَابِيعَ ذاكَ العِلْمِ منْ كُتُب

22 لاَ أنْثَنِي لِسِوَى البُرْهَانِ أسْألُهُ
وَلاَ إلَى (46) مَقَالِ البَاحِثِ اللجِبِ

---

(46) كذا في الأصل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

23 لَكِنْ إذَا أشْكَلَتْ دُنْيَا مُعَضَّلَةٌ
قَابَلْتُهَا بِسَنَا ذِهْنِي وَحَسْبُكَ بِي

24 مِنْ فِكْرَتِي لِيَ عَيْنٌ لاَ تَغِيضُ وَمِنْ
مَاضِي لِسَانِي مَا يَمْضِي مَضَى الشُّهُبِ

25 فَإنْ أضَفْتُ إلَى ذَا الحَظِّ مِنْ عَمَلِي
شَيْئًا أفُوزُ بِهِ فِي يَوْمِ مُنْقَلَبِ

26 فَقَدْ حَصُلْتُ عَلَى الآمَالِ أجمَعِهَا
وَخَابَ مَنْ فِي سِوَى ذَا كَانَ ذا تَعَبِ

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(طويل)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1 وَيَوْمٍ كَحَدِّ السَّيْفِ لَيْسَ بِثَابِتٍ
عَلَيْهِ جَلِيدٌ لاَ وَلاَ مُتَجَلِّدُ

2 لَقِيتُ شَبَاهُ وَهْوَ خَمْرٌ مُؤَجَّجٌ
وَأقْلَعْتُ عَنْهُ وَهْوَ فَخْرٌ مُخَلَّدُ

3 أمُورٌ كَأمْوَاجِ البُحُورِ تَصَادَمَتْ
عَلَيْهِنَّ سِرْبَالٌ مِنَ اللَّيْلِ أكْبَدُ

4 عَبَأتُ لَهُ جِسْرًا مِنَ الحَزْمِ مُحْكَمًا
وَمِصْبَاحَ رَأيٍ نُورُهُ يَتَوَقَّدُ /ص 141

5 فَأفْقَدتُّ غَرقَاهَا . وَنَوَّرتُ لَيْلَهَا
وَقَرَّبْتُ مِنْهَا كُلَّ مَا كَانَ يَبْعُدُ

6 سَأفْنَى فَهَلْ حَيٌّ عَلَى الأرض خَالِدٌ
وَيَنْقُلُ عَنْ يَوْمِي وَعَنْ أمْسِيَ الغَدُ

7 أحَادِيث فِي جِيدِ الزَّمَانِ نِظَامُهَا
وَمِنْهَا عَلَى الدنيَا نِثَارٌ مُبَدَّدُ

8 لَهَا غُرَّةٌ فِي صَفْحَة الدَّهْر وَسْمُهَا
وَفِي عَاتِقِ الأَيَّام سَيْفٌ مُقَلَّدُ

9 وَطَالَبْتُ نَهْجًا لَيْسَ يَصْحَبُنِي بِه
مِنَ النَّاس إِلاَّ الفَاضِلُ المُتَجَلِّدُ

10 فَأَخْسِس بِدُنْيَا نِلْتُهَا وَمُشَارِكِي
لَدَيْهَا خَسِاسٌ فِي القَبَائِح دُرَّدُ

11 وَأَنْبِل بِحَالٍ أَهْلُهَا كُلّ رَاغِب
كِرَامُ المَسَاعِي وَهْوَ فِي الفَضل يَزْهَدُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (47) :

(بسيط)

1 لَمْ أَشْكُ صَدًّا وَلَمْ أَذعَر بِهُجْرَانِ
وَلاَ شَعُرْتُ مَدَى دَهْرِي بِسُلْوَانِ

2 أَسْمَاءُ لَمْ أَدرِ مَعْنَاهَا وَلاَ خَطَرَت
يَوْمًا عَلَيَّ وَلاَ جَالَت بِمَيْدَانِي

3 لَكِنَّمَا دَائِيَ الأَدْوَى الذي غَضِبَتْ
عَلَيَّ أَرْوَاحُهُ قِدْمًا فَأَعْيَانِي

4 تَفَرَّقَ لَمْ تَزَلْ تَسْرِي طَوَارِقُهُ
إِلَيَّ بِجَامِع أَحْبَابِي وَخِلاَّنِي

(47) هذه آخر قصيدة وردت في مجموعة الأشعار .

5 كَأنَّمَا البَيْنُ بِي يَأتَمُّ حَيْثُ رَأى
لِي مَذْهَبًا فَهْوَ يَبْلُونِي وَيَغْشَانِي

6 قَدْ كُنْتُ أحْسِبُ عِنْدَيَ النَّوَى جَلَدًا
إذَا عَنَى فِي بَوَادِي شَجْوِهَا العَانِي

7 فَقَابَلَتْنِي بِألْوَانٍ غَدَوْتُ بِهَا
مُقَابَلاً مِنْ صَبَابَاتِي بِألْوَانِ

8 بِاللّه أنْسَى أخًا لِي قَدْ لَهِجْتُ بِهِ
نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أنْ لَيْسَ يَنْسَانِي

9 فَإنْ يَكُنْ فِيهِ ظَنِّي صَادِقًا فَلَقَدْ
عَهِدْتُّ ظَنِّي قَدِيمًا غَيْرَ خَوَّانِ

10 هَذَا عَلَى قِسْمَةِ الأيَّامِ لَيْسَ عَلَى
أنِّي أخَافُ عَلَيْهِ طَبْعَ نِسْيَانِ

11 قَدْ كُنْتُ ألْقَى زَمَانِي مِنْهُ مُدَّرِعًا
عَلَى تَغَوُّلِ أيَّامِي وَأزْمَانِي

12 دِرْعًا يَقُولُ الرَّدَى مِنْ أجْلِهَا حَذَرًا
ما شأنُكَ اليَوْمَ يا هَذَا وَمَا شَانِي/ص 142

13 فَالآنَ أظْلَمَتِ الدُّنْيَا لِغَيْبَتِهِ
فَاللَّيْلُ عِنْدِي وَغَيْرُ اللَّيْلِ سِيَّانِ

14 وَحُقَّ لِي ذَاكَ إذْ فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
كَانَتْ تَلُوحُ لِعَيْنَيَّ مِنْهُ شَمْسَانِ

15 فَالآنَ أعْدَمَنِي أضْوَاهُمَا قَدَرٌ
تَجْرِي بِأحْكَامِهِ فِينَا الجَدِيدَانِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

16 لَكِنَّنِي قَائِلٌ قَوْلاً يُحَقِّقُهُ
كُلُّ البَرِيَّةِ عَنْ نُورٍ وَبُرْهَانِ

17 عَجِبْتُ مِنِّي إِذَا أَشْكُو تَوَحُّشَهُ
وَأَسْفَحَ الدَّمْعُ سَحًّا غَيْرَ ضِنَانِ

18 وَوَجْهُهُ نُصْبَ عَيْنِي مَا يُفَارِقُنِي
وَطَيْفُهُ مُؤْنِسِي فِي نِصْفِهِ الثَّانِي

19 وَمُهْجَتِي عِنْدَهُ وَالقَلْبُ مَسْكَنُهُ
هَذَا وَجَدِّكَ عَيْنُ الحَاضِرِ الدَّانِي

20 وَشَخْصُهُ مَاثِلٌ فِي نَاظِرِي أَبَدًا
وَفِي ضَمِيرِي إِذَا مَا نِمْنَ أَجْفَانِي

21 أَدْعُوهُ دَعْوَةَ مُرْتَاحٍ لِرُؤْيَتِهِ
حَسْبَ ارْتِيَاحِي لَهُ إِذْ كَانَ يَلْقَانِي

22 يَا عُذْرَ دَهْرِيَ مِنْ مَاضِي إِسَاءَتِهِ
وَمَنْ تَسَاوِي وَلِيِّي فِيهِ وَالشَّانِي

23 كِلاَهُمَا حَاسِدٌ لِي مِنْ أُخُوَّتِهِ
عَلَى عُلاَ الدَّهْرِ مَوْصُولاً بِرِضْوَانِ

24 قَدْ كَانَ مِنْكَ فُؤَادِي حَاسِدًا بَصَرِي
وَالآنَ يَحْسُدُ فِيكَ القَلْبَ عَيْنَانِ

25 حَتَّى لَقَدْ صَارَ دَهْرِي فِيكَ يَحْسُدُنِي
فَبَانَ عَنِّيَ مَغْلُوبًا وَأَنْأَنِي

26 عَذَرْتُ فِيكَ لَعَمْرِي كُلَّ ذِي حَسَدٍ
مَنْ لَيْسَ يُحْسَدُ فِي دُنْيَا سُلَيْمَانِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

27 وَحُقَّ لي عُذْرُهُمْ إذ صِرْتُ أعْرِفُ مِقْ
ـدارَ الذي مِنْكَ كانَ اللّهُ أوْلانِي

28 لَقَدْ حَبَانِيَ حَظًّا مِنْ إخائِكَ لاَ
يُجْزَى بِسِتْرٍ وَلاَ يُلْقَى بِكُفْرَانِ

29 لَوْ كانتِ الأرْضُ لِي حاشَاهُ مَا غَنِيَتْ
رُوحِي وَإنِّي بِهِ عَنْ غَيْرِهِ غانِي (48)

30 شَخْصٌ نَفِيسٌ خَطِيرٌ لَوْ بَذَلْتُ بِهِ
نَفْسِي أخَذْتُ الذي يَبْقَى علَى الفَانِي

31 ذَاكَ الذي لَسْتُ أدْرِي مَا أقَابِلُهُ
بِهِ مِنَ الشُّكْرِ فِي سِرِّي وَإعْلاَنِي

32 وَاسْلَمْ وَدُمْ لِي فِي عِزٍّ وَفِي دَعَةٍ
مَا لاَحَ فِي اللُّجَّةِ الخَضْرَاءِ نَجْمَانِ

ـ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَصَلاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَعَلَى آلِهِ وَعِتْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ (49)/ص 143 .

---

(48) كذا في الأصل .

(49) هذه عبارة ختمت المجموعة كاملة .

– أ –

باب الامامة

من كتاب (المختصر الشامل) لابن عرفة الورغمي

تحقيق وتقديم : سعد غراب

ARCHIVE

قائمة الرموز المستعملة في المقدمة وفي التعاليق على النص المحقق :

– الابانة : الاشعري (أبو الحسن) : الابانة في أصول الديانة . القاهرة 1348 .

– الارشاد : الجويني (امام الحرمين) : الارشاد ط. مصر 1950/1369 .

– اعتقادات : الرازي (فخر الدين) : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ط عبد الرازق 1938/1356) .

– الاعلام : الزركلي : الاعلام ط. ثانية 1954–1959 .

– الاقتصاد : الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد القاهرة بدون تاريخ .

– البغدادي : الفرق بين الفرق (ط. الكوثري 1948/1367) .

– تراجم اغلبية : تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض تحقيق محمد الطالبي . تونس (1968) .

– ب –

– تلخيص المحصل : انظر : المحصل .

– التمهيد : الباقلاني : التمهيد (ط القاهرة 1947 وط Mc. Carthy بيروت 1957) .

– الحدود : شرح حدود ابن عرفة لابي عبد الله الرصاع . ط تونس 1350 (في اخرها ترجمة لابن عرفة كتبها محمد البشير النيفر) .

– خلافة : محمد رشيد رضا : الخلافة أو الامامة العظمى – ط المنار – مصر – 1341 –

– ابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل (وبهامشه كتاب الملل والنحل للشهرستاني) . ط مصر 1899/1317 .

– الرصاع : فهرست الرصاع أبي عبد الله محمد الانصاري (تونس 1967) .

– الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ط. ثانية–تونس 1966) .

– السراج : الحلل السندسية في الاخبار التونسية (ط تونس 1970) .

– سيرة : ابن هشام : سيرة النبي (ط محمد محي الدين عبد الحميد مصر 1356/1937) .

– الشهرستاني : انظر : ابن حزم .

– طه حسين : إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين . دراسات مهداة من اصدقائه وتلامذته اشرف على اعدادها عبد الرحمان بدوي – القاهرة 1962 – (خاصة : دراسة جورج قنواتي : فخر الدين الرازي : تمهيد لدراسة حياته ومؤلفاته) .

– طوالع : البيضاوي : طوالع الانوار . (ط 1305 مع شرحه : مطالع الانظار للاصفهاني وبهامشهما حاشية السيد الشريف الجرجاني) . (ط 1905/1323 مع شرحه : مطالع الانظار لشمس الدين الاصفهاني) .

– ج –

– عبد الرازق (علي) : الاسلام واصول الحكم . ط. ثالثة سنة 1344/ 1925 .

– الفارسية : الفارسية في مبادىء الحفصية لابن قنفد القسنطيني (تونس 1968) .

– الكافي : أبو جعفر الكليني : الاصول من الكافي . طهران 1334/ 1375 .

– كحالة : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين – دمشق 1957 .

– اللسان : ابن منظور : لسان العرب (ط بولاق) .

– اللمع : الاشعري (أبو الحسن) : اللمع – ط Mc Carthy بيروت 1953 .

– الماوردي : الاحكام السلطانية ط مصر 1297 .

– مدارك : عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (ط بيروت تحقيق أحمد بكير محمود) .

– معالم : أنظر المحصل .

– المعلم : المعلم بفوائد مسلم : مخطوط المكتبة الوطنية رقم 4939 .

– مفاضلة : ابن حزم : في المفاضلة بين الصحابة – ط ثانية – بيروت 1969 .

– مفتاح : مفتاح الكتب الاربعة لمحمود بن المهدي الموسوي – النجف 1967/1386 .

– مقالات : الاشعري (أبو الحسن) : مقالات الاسلاميين – ط القاهرة 1950 .

– المقدمة : ابن خلدون : مقدمة كتاب العبر ط بيروت 1961 .

– المحصل : الرازي (فخر الدين) : محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين . ط مصر 1323 (مذيلا بكتاب تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي . وبهامشهما معالم اصول الدين لفخر الدين الرازي) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— Attributs : Allard : Le problème des attributs divins dans la doctrine d'al-Ashʿari et de ses grands disciples, Beyrouth 1965.

— Califat : H. Laoust : Le Califat dans la doctrine de Rašīd Riḍa, traduction annotée d'al-Ḫilāfa aw al Imama al-ʿUẓmā (le Califat ou l'Imama suprême), Beyrouth 1938.

— Cité : Gardet : La cité musulmane : une vie sociale et politique, Paris 1954.

— EI : Encyclopédie de l'Islam, ancienne édition, Leyde 1913-1934.

— EI2 : Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leyde, à partir de 1960.

— GAL : Brokelmann : Ghesishte der Arabischen Litteratur, 1937-1949.

— Idris (R.H): La Berbérie orientale sous les Zirides X-XII^{e} siècles, Paris, 1962.

— Introduction : Gardet et Anawati : Introduction à la théologie musulmane, Paris 1948.

— Pellat : L'Imamat dans la doctrine de Ǧaḥiẓ, Studia Islamica, XV, 1961, p.p. 23-52.

— Politique : Laoust : La politique de Ġāẓālī, Paris 1970.

— R.E.I : Revue des études islamiques.

— Rosenthal : Political thought in Medieval Islam, an Introductory outline, Cambridge 1958.

— Shiʿisme : le Shiʿisme imamite (Travaux du centre d'études supérieures spécialisé d'histoire des religions de Strasbourg), Paris 1970.

— Schismes : H. Laoust : Les schismes dans l'Islam, Paris 1965.

— Système : Nader : Le système philosophique des Muʿtazila, Beyrouth 1956.

— Wensinck : Concordances et Indices de la tradition musulmane, Leiden 1936.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— هـ —

بــاب الامــامــة

من كتاب (المختصر الشامل) لابن عرفـة الـورغمي

يعتبر المختصر الشامل من أهم مؤلفات ابن عرفة الورغمي (1) في علم الكلام ولا يحوم حول نسبة الكتاب لصاحبه أي شك إذ مختلف التراجم القديمة والحديثة تنسب إليه هذا الكتاب (2) وان وجد بعض الاختلاف في العنوان (2) ثم ان مختلف النسخ سواء التي عثرنا عليها واعتمدناها أو التي ذكرتها فهارس المكتبات تذكر هذه النسبة صراحة (3) والمؤلف يذكر لنا في الكتاب نفسه أشياء عن حياته وعن كتبه نعرفها عنـه من مصادر أخرى (4) .

أما المخطوطات التي اعتمدناها فهـي ثلاث موجودة الآن في المكتبة الوطنية بتونس وهذا وصف موجز لها :

أ) مخطوطة رقم 7895 : وعنوانها «المختصر الشامل» .

نسخها حسين النابلي سنة 1733/1146 فهي إذن متأخرة نسبيا لكنها جديرة بكل ثقة لأنها نسخت نسخا يكاد يكون علميا محققا عن نسخة مؤرخة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي (1316/716 — 1401/803) . في أهم المصادر والمراجع التي تحدثت عنه انظر كحاله 11 : 285 وانظر مقال R. H. Idris في EI_2 III : 734 (وليست له قيمـة كبرى) وانظـر أيضا الفارسيـة (فهرس) والزركشي (فهرس) والسراج [الفهرس وخاصة ج III : 577—594] والرصاع (فهرس) .

(2) انظر : GAL, SII 347 والتنبكتي : نيل الابتهـاج : 274 (ط مصر 1329) والسخاوي : الضوء اللامع 9 : 241 والبستان لابن مريم : 193 والبغدادي : هدية العارفين II : 177 والسراج :484 و 585 والنيفر :عنوان الأريب ص 105 — والحدود ص 542 وانظر اسفله فيما يتعلق بالاختلاف في العنـوان (تعليق رقم 10)

(3) انظر اسفله وصف المخطوطات الثلاث التي اعتمدناها — وانظر أيضا وصف مخطوطة استنبول (السيد : فهرس المخطوطات المصورة I : 138 رقم 212) المنسوخ سنة 1458/862 ولما نفلح في الحصول على نسخة مصورة من هذا المخطوط

(4) انظر مثلا : أ : 135 ظهر : «وقد اغتر بعض الجهلة ممن يرى لنفسه مشاركة في العلوم في قوله بالجهة لله تعالى صرح بذلك في مجلس تدريس كان بين يدي الأمير السلطان أبي الحسن المريني بتونس في أواسط هذا القرن في قراءتي في الدرس المذكور حديث مسلم.... أنظر أيضا عن قراءته في هذا المجلس الزركشي ص 86
وانظر أيضا (أ 3 : ظهر — 4 ظهر — 137 وجه) استشهاده بمختصره في المنطق الذي حققناه ونأمل نشره عندما تسمح الظروف بذلك

— و —

بسنة 1453/857 منسوخة هي بدورها عن مخطوطة أبي القاسم بن أحمد البرزلي تلميذ ابن عرفة المنسوخة سنة 1390/792 عن أصل المؤلف نفسه والمصححة عليه (5) .

فيمكن أن نقول إن سند هذه المخطوطة متصل إلى المؤلف نفسه ولذا اعتبرناها المخطوطة الرئيسية لهذا التأليف وأحلنا في التحقيق على رقم أوراقها خاصة (6) .

ب) مخطوطة عدد 2 من المجموع رقم : 16509 : (من : 20 ظهر إلى 115 ظهر)

عنوانها : «مختصر في التوحيد» ومؤرخة بأواخر صفر عام 849/حوالي 6 جوان 1445 . فقد كتبت اذن بعد 46 سنة هجرية من وفاة المؤلف وبعد ستين سنة من تأليفها وهذا يكسبها أيضا قيمة خاصة (7) .

ج) مخطوطة رقم 9498 : معنونة بخط أحمر حديث الكتابة : «كتاب في التوحيد»

لا نعرف تاريخ نسخها ولا نشك أنها نسخت قبل سنة 1786/1200 تاريخ تملكها المسجل في الورقة الاخيرة بخط مخالف للاصل (8) .

---

(5) أنظر تفاصيل ذلك في آخر أ : 199 ظهر (انظر أيضا أسفله)

(6) والمخطوطة خطها تونسي وحالتها حسنة ومقياسها : 16/21 — س. 23 — ق : 199 ونقرأ في ورقتها الأولى أنها كانت ملك الشيخ الدرويش ثم انتقلت الى بيرم الرابع ثم الى الوزير خير الدين فحبسها على مكتبة الجامع الأعظم في رجب سنة 1292/اوت 1875

(7) خطها مغربي ومقياسها : 14،5/21 — س : معدل الاسطر 32 — أوراقها : 95
— والمخطوطة الأولى من المجموع هي : مختصر ابن عرفة في المنطق (1 ظهر — 19 وجه)
— والمخطوطة الثالثة : تعليق على الشافية لمصنفها أبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (1174/570 — 1249/646) (116 ظهر 158 وجه)
— المخطوطة الرابعة : شرح الغاز في النحو للثعلبي وهو أبو سعيد فرج بن قاسم الغرناطي (1302/701 — 1381/782) (158 ظهر — 163 ظهر)
— المخطوطة الخامسة : مقدمة في التصريف والخط لابن الحاجب أيضا (165 ظهر — 176ظهر)

(8) أنظر آخر ج : 176 ظهر وانظر أسفله آخر الباب المحقق
خطها تونسي . مقياسها 17/22 — الأسطر : 27 — أوراق : 176

– ز –

توجد مخطوطات أخرى لم نتمكن من الاطلاع عليها (9) ويحتمل جدا ان يوجد غيرها في مكتبات عامة وخاصة ولكن المخطوطات الثلاث المعتمدة تسمح لنا بضبط مرضي للنص.

العنوان: لهذا التأليف عناوين مختلفة بعض الاختلاف حسب المصادر والمخطوطات (10) ولقد فضلنا عنوان: «المختصر الشامل» لكثرة تردده ثم لان المؤلف يلمح إليه في مقدمته فيقول: «وبعد لما كان علم الكلام هو الموصل لادراك حقيقة الايمان بواضح الأدلة والبرهان المنجي من الخلود في النيران رأيت أن أجمع فيه مختصرا شاملا اصول طريقتي الاقدمين والمتأخرين من أهل هذا الشأن ...» (11).

و«طريقة المتأخرين» هذه تتمثل في نوع من المزج بين علم الكلام وبراهين الفلسفة ويرى ابن خلدون ان «أول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الامام ابن الخطيب» (12) أي

(9) مثلا مخطوطة استنبول. أنظر أعلاه تعليق رقم 3.
ومخطوطة القرويين بفاس. أنظر 347 : GAL, SII

(10) من أهم هذه العناوين: «المختصر الشامل»: أنظر مخطوطة: أ و ج و ومخطوطة القرويين بفاس (انظر أعلاه تعليق: 9)
و«المختصر في التوحيد»: انظر مخطوطة ب
و«مختصر في علم الكلام»: أنظر مخطوطة استنبول (أعلاه تعليق رقم: 3) والحدود ص 542 والسراج ص 584
وكثيرا ما تكتفي المصادر بالتلميح إلى أن ابن عرفة قد الف في الاصلين (أي في أصول الدين وأصول الفقه(وكتابنا هذا مقصود بدون شك لأنه في أصول الدين، انظر: التنبكتي: نيل والسخاوي: الضوء بن مريم: البستان (نفس الصفحات المذكورة في التعليق اعلاه رقم 2) ويسميه النيفر: تأليف في أصول الدين (انظر: عنوان الأريب ص 105) والراجح ان كحالة يلمح إلى نفس التأليف عندما يذكر في جملة تآليف ابن عرفة: المعجم الشامل في أصول الدين 11 : 285

(11) أنظر أ : 1 ظهر

(12) ابن خلدون: المقدمة ص 836 وانظر أيضا Introduction : Gardet ص 155 — 154 والسراج ص 678: طريقة المتأخرين فخر الدين وغيره وطريقة المتقدمين الفرابي وغيره وطريقة الأوسطين كابن سينا وغيره.

– ح –

فخر الدين الرازي (13) . والناظر في تأليف ابن عرفة يرى أنه قد اعتمد حقا على الكثير من كتب فخر الدين الرازي ولكنه قلما استشهد بالغزالي (14) .

ترتيبه : ظن بعض الباحثين ان الكتاب مجرد شرح أو معارضة (15) لطوالع الانوار للقاضي البيضاوي (16) . ولعل السبب في هذا الوهم هو ما قاله ابن عرفة نفسه عن كتابه : « ورتبته على منوال طوالع انوار الشيخ المحصل القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمه الله ... » (17) .

والحقيقة انه لا يمكن ان نعتبره مجرد شرح أو معارضة لطوالع البيضاوي مثل شرح مطالع الانظار للاصفهاني أو حاشية السيد الشريف الجرجاني (18) فالشرح يمتاز خاصة بايراد النص ثم بشرحه كما يفعل عادة المفسرون للنص القرآني أمّا ابن عرفة فهو يقتبس من البيضاوي ويذكر ذلك ولكنه يتجاوزه إلى الاقتباس من مؤلفين كثيرين غيره لاشك ان البيضاوي اخذ عن بعضهم بدون ان يذكرهم (19) .

المهم ان ابن عرفة يرجع كل فكرة إلى الكتاب الذي اخذت منه او على الأقل إلى المؤلف الذي ذكرها والمقارنات التي تمكننا من القيام بها في بعض الاحيان عندما تكون المصادر المذكورة قد وصلتنا تبين لنا مدى الدقة

(13) أنظر أسفله تعليق رقم : 171 من النص المحقق ، وفي شأن الغزالي انظر تعليق رقم 212
(14) لا شك ان فخر الدين الرازي قد أثر تأثيرا كبيرا في فقهاء العصر الحفصي... أما تأثير الغزالي فقد مر بأطوار... وربما عدنا الى هذه المشكلة في فرصة أخرى وهي جديرة ببحث خاص
(15) محمد النيفر : عنوان الأريب ص 105 والسراج 585
(16) أنظر فيما يتعلق بالبيضاوي تعليق رقم : 38 من النص المحقق أسفله
(17) أنظر أ : 1 ظهر
(18) طبع الكتابان مع طوالع البيضاوي ، أنظر قائمة المراجع
(19) وكان ابن عرفة يلمح إلى هذا عندما يقول في بداية تأليفه إن من أهداف كتابه ان يكشف : « عما اختص به (البيضاوي) وما هو لغيره » انظر أ : 1 ظهر

— ط —

التـي امتاز بها في نقله مما يجعلنا لا نشك في أنه كان ينقل عن تلك الكتـب مباشـرة .

فيمكن أن نقول اذن ان ابن عرفة احترم تبويب البيضاوي فقط والحقيقة ان هذا التبويب لم يبتدعه البيضاوي فالمقارنة بين مختلف كتب أصول الدين تبين ان الترتيب لا يختلف الا في بعض الجزئيات (20) .

ولكن يبدو ان الأصوليين المتأخرين قد اعتبروا البيضاوي المسؤول الرئيسي على مزج المسائل الكلامية بالفلسفة فأخذ في أعينهم مكانة خاصـة (21) وتأثر ابن عرفة بهذه النظرة إليه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا الفهرس الكامل لمواد المختصر الشامل حتى يمكن مقارنتهـا بطوالع البيضاوي (22) وبغيرها من كتب الأصول :

المقدمة : فيها فصول :

1) الفصل الأول : في المبادىء .

2) الفصل الثانـي : في الأقوال الشارحة .

3) الفصل الثالث : في الدليل .

4) الفصل الرابع : في النظر .

---

(20) أنظر الفهارس المنشورة في كتاب Introduction : Gardet

(21) أنظر : Introduction ص 164 (خاصة حكم السنوسي على طوالع الانوار)

(22) أنظر فهرس طوالع الأنوار في Introduction ص 164 — 165

— ي —

الكتاب الأول : في الممكنات

1) الباب الأول :

أ) الفصل الأول : في تقسيم المعلومات .

ب) الفصل الثانـي : في الوجود والعدم .

ج) الفصل الثالث : في الماهية .

د) الفصل الرابع : في الوجود والامكان والامتناع والقدم والحدوث .

هـ) الفصل الخامس : في الوحدة .

و) الفصل السادس : في العلة والمعلول .

2) الباب الثانـي : في المقولات

أ) الفصل الأول : في المسائل الكلية .

ب) الفصل الثانـي : في الكم .

ج) الفصل الثالث : في الكيف .

هـ) الفصل الرابع : في الاعراض النسبية .

3) الباب الثالث : في الجوهر والجسم .

أ) الفصل الأول : في الجسم .

ب) الفصل الثانـي : في المفارقات .

الكتاب الثانـي : في الإلاهيات .

1) الباب الأول : في الذات العلية

أ) الفصل الأول : في العلم .

ب) الفصل الثانـي : في التنزيهات .

ج) الفصل الثالث : في التوحيد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ك —

2) الباب الثانـي : في صفاته تعالى

أ) الفصل الأول : في التي يتوقـف عليهـا فعلـه .

ب) الفصل الثانـي : في سائر الصفات .

3) الباب الثالث : في أفعاله

الكتاب الثالث : في النبوءات

1) الباب الأول : في النبؤات .

2) الباب الثانـي : في الحشر والجزاء .

3) الباب الثالث : في الامامة .

تتميـــات

والباب الثالث من الكتاب الثالث المتعلق بالامامة — وهو الذي ننشره — قد أصبح جزء لا يتجزأ من كتب الأصول بصفة عامة خاصة في العصور المتأخـــرة (23) .

وابن عرفة يتعرض لخمس مسائـل يعتبر تناولها امرا معهودا عنـد الخائضين في هذا الموضوع وهـي : تعريف بالامامة واقرار بوجوبها . صفـات الامام اللازمة (لكنها غير كافية) — شروط الامام الأخرى — في الامـام الحق بعد الرسول . في التفضيل بين الصحابة .

(23) ويبدو انه وجد بعض التردد في البداية في اعتبار ذلك كذلك . يقول الجويني في الارشاد ص 410 (ط القاهرة) : « الكلام في هذا الباب ليس من أصول الاعتقاد »

على ان حجج Mc. Carthy لا تبرر في رأينا ترك القسم الخاص بالامامة جانبا في نشرته لتمهيد الباقلاني حتى وإن رأى أن مسألة الامامة : « ليست من هذه المسائل (مسائل علم التوحيد) بل هي في أصلها أقرب الى علم الحديث أو الى علم التاريخ منها الى علم التوحيد ! » (أنظر مقدمة طبعته لكتاب التمهيد ص 23) . وانظر مناقشة لهذا الموقف أيضا في كتاب Le Shicisme مقـــال Le chapitre sur l'Imamat dans le Tamhid... : A. Abel ص 55 — 56

وكما قال الغزالي في الاقتصاد ص 105 : « ولكن إذا جرى الرسم بأختتام المعتقدات به (أي بالنظر في الإمامة) أردنا أن نسلك المنهج المعتاد » .

– ل –

ويأتي ابن عرفة بعد هذا الباب بتتميمات لا تتم في الحقيقة باب الامامة فحسب بل كل الكتاب فضلنا نشرها أيضا حتى نكون قد نشرنا ا خر الكتاب بأكمله وخاصة ان التتميم الأخير منها وهو : « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » يتمم باب الامامة . وعناوين هذه التتميمات هي : التوبة – الاسم المسمى – الوصف – الأجل – الرزق – السعر – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باب الامامة من كتاب (المختصر الشامل)

لابن عرفة الورغمي

(اسفل 186 ظهر) : الباب الثالث في الامامة وفيه (1) مسائل : الاولى : في النهاية (2) : هي رئاسة في الدّين والدنيا عامة لشخص واحد خرج بعامة القضاء ونحوه وبشخص كل الامة إذا عزلت الامام لفسقه (3) .

وعزاه الامدي (4) لبعض الاصحاب ونقضه بالنبوة وقال : والحق انها خلافة شخص للرسول (ص) في إقامة الشرع وحفظ الملة على وجه (187 وجه) يوجب إتباعه كافة الناس .

قلت (5) انظر هل يخرج عنها (6) امامة ذي فسق وظاهر نصوصهم والاحاديث انها امامة لا تنقض (7) . والاقرب انها صفة حكمية توجب (8) امتثال مستطاع امر موصوفها في غير منكر عموما فيخرج القضاء لخصوصه (9) باخراج احكام الحروب والعطايا ونحوهما .

---

(1) ناقصة في أ و ب

(2) الراجح انه يحيل عندما يذكر « النهاية » فقط على كتاب الرازي : نهاية العقول في دراية الاصول وهو كتاب لم يطبع فيما نعلم وتوجد منه مخطوطات عديدة أنظر : طه حسين ص 225 رقم 132 وانظر أسفله تعليق رقم : 171

(3) وقريب من هذا ما ينقله محمد رشيد رضا بدون احالة على كتاب خاص للرازي : « ... إلا أن الرازي زاد قيدا في التعريف فقال : هي رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص وقال هو احتراز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لفسقه » أنظر الخلافة ص 10 و Califat ص 15

(4) هو سيف الدين علي الآمدي (1156/551 – حوالي 1233/631) فقيه أصولي شافعي . ويرجح أن ابن عرفة ينقل هنا عن كتابه « ابكار الافكار في أصول الدين » وتوجد منه نسخة في برلين . أنظر كحالة 7 : 155 – 156 و EI_2 I : 446 Brockelmann Sourdel

(5) أي ابن عرفة الورغمي

(6) أ و ب : عنه

(7) ج : ينقض .

(8) أ : يوجب .

(9) أ : بخصوصه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأربعين (10) : قال اصحابنا (11) والمعتزلة (12) : يجب على الخلق نصب امام وطريق وجوبه السمع الا أبا الحسين البصري (13) والجاحظ (14) وأبا الحسين الخياط (15) وأبا القاسم الكعبي (16) قالوا (17) طريق وجوبه العقل (18) .

وقالت الملاحدة (19) والاسماعيلية (20) يجب على الله نصب الامام

---

(10) الأرجح أنه كتاب الأربعين في أصول الدين لفخر الدين الرازي طبع بالهند 1934/1353 ولكن لم نتمكن من الاطلاع عليه . أنظر طه حسين ص 213—314 رقم 96 وانظر اسفله تعليق رقم : 171 .

(11) يقصد أهل السنة وخاصة الشافعية . انظر مقال سنة EI IV : 581-83 A. J. Wensinck

(12) أنظر : H. S. Nyberg – EI III : 841 ومقال قدرية : EI II : 644-45 Macdonald ومقال قدر Macdonald EI II 644 وانظر أيضا : Nader : le système philosophique des Mutazila وخاصة الفصل الأخير منه المتعلق بالسياسة .

(13) الأرجح أنه أبو الحسين علي بن محمد البصري تلميذ القاضي عبد الجبار بن محمد البصري وصاحب فرقة الحسينية المعتزلية . أنظر معتقدات ص 45 وفي مقدمة تحقيق شرح الاصول الخمسة القاضي عبد الجبار (ط عبد الكريم عثمان – القاهرة 1965 – ص 18 تعليق 7 أنه ابو الحسين محمد بن البصري توفى سنة 346 ﻫ

(14) هو عمرو بن بحر الجاحظ . من أيمة الاعتزال (160/776—255/869) . أنظر كحالة 8 : 7 و(المؤلف ؟) 29—1028 : : EI I و Ch. Pellat EI$_2$ II : 395-98 وانظر فيما يتعلق بآراء الجاحظ في الامامة خاصة مقال Ch. Pellat : L'imamat dans la doctrine de Gahiz, Stud. Isl. XV, 1961 pp. 23-52.

(15) هو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي صاحب كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد . توفي على الراجح حوالي سنة 300/912 . أنظر مقدمة Nyberg في طبعة كتاب الانتصار (بيروت 1957) وكحالة 5 : 213 .

(16) في أ : أبا القاسم العكير (؟) . هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي من أيمة الاعتزال البغداديين توفي سنة 319/931 . أنظر كحالة 6 : 31 و Le système (الفهرس) و GAL I : 363, SI : 619

(17) أ : قال .

(18) أنظر في ذلك : Cité ص 153—155 . وفي المحصل يذكر الرازي من أيمة الاعتزال القائلين بالوجوب العقلي : الجاحظ والكعبي وأبا الحسين البصري فقط .

(19) الارجح أنه يقصد بالملاحدة هنا خاصة غلاة الشيعة . ولفظ الالحاد غامض الدلالة بعض الشيء أنظر في ذلك : عبد الرحمان بدوي : من تاريخ الالحاد في الاسلام (القاهرة 1945) وانظر مقال دهرية : Goldziher EI$_2$ II : 97-99 Goldziher EI I : 917-18 و Goichon ومقال دهر M. Watt EI$_2$ II 96-97

(20) الاسماعيلية فرقة شيعية تنسب للامام السابع اسماعيل بن جعفر (أنظر أسفله تعليق رقم : 96) . وانظر أيضا : مقال : اسماعيلية Cl. Huart EI II : 585-88 ومقال سبعية R. Strothman EI IV : 24-26

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعصوم ليرشد إلى معرفته . وقالت الاثنا عشرية (21) بل يكون لطفا (22) في اداء الواجبات العقلية واجتناب القبائح العقلية وحافظا للدين عن الزيـادة والنقصان .

وقال بعض قدماء الشيعة (23) يجب عليه نصب الامام ليعرفهم أحوال الاغذية والادوية والسموم والحرف والصنائع ويصونهم عن الافات.

وقال أكثر الخوارج (24) لا يجب نصب الامام الا (25) في وقت ما . وقال بعض الناس يجب عند ظهور الفتن دون وقت الامن والعدل (26) . ومنهم من عكس (27) .

دليل وجوبه علينا سمعا أن نصبه يتضمن (28) دفع ضرر ولا (29) يندفع الا به لأنا نعلم ضرورة بعد الاستقراء ان البلد إذا حصل (30) فيه رئيس قاهر يأمرهم بالافعال الجميلة ويزجرهم عن القبائح كان حـال

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(21) الاثنا عشرية فرقة شيعية تنسب للامام الثاني عشر موسى الكاظم (انظر اسفله تعليق رقم : 96) وانظر أيضا مقال اثنا عشرية EI II : 599 — 600 Cl. Huart

(22) أنظر نسبة هذا الرأي اليهم في المحصل للرازي ص 176
وانظر أيضا تلخيص المحصل للطوسى ص 156 حيث ينسب الرأي للشريف الرضي . وانظر شرح مطالع الانظار ص 468/229 . وفي اللسان (ط بولاق 11 : 228) : .... وقال ابن الأثير في تفسيره اللطيف : هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها الى من قدرها له من خلقه » . وفي مختلف معاني اللطف انظر ج 13 من المغني وقد خصصه القاضي عبد الجبار لذلك (القاهرة 1962)

(23) أنظر مقال شيعة EI IV : 3262—71 — R. Strothman ومقال فاطميون Graefe EI I : 93—97 و EI2 II 84—87 — G. Marçais ومقال باطنية Hongson EI_2 I : 1131—33 و EI I : 697 — Carra de Vaux

(24) أنظر مقال خوارج EI II : 957—61 L. D. Vida

(25) أ و ب : ولا

(26) أنظر خاصة رأي النجدات من الخوارج في كتب الملل والنحل .

(27) من هؤلاء المعتزلي هشام بن عمرو الفوطي أنظر الاعلام 9 : 81 و EI_2 III 513 — Pellat و l'imamat ص 39 تعليق عدد 1 . ولأبي بكر الأصم رأى قريب من هذا أيضا . وانظر أيضا عبد الرازق ص 12 .

(28) أ : يتضمن

(29) ج : ولا

(30) أ : جعل

أهله (31) في البعد عن الفساد والقرب من الصلاح اتم . ودفع (32) الضرر عن النفس واجب بشهادة بديهة العقول عند القائل بالحسن والقبح عقلا وعند غيرهم باجماع الانبياء والرسل وكل الأمم والاديان .

لا يقال هذه المصالح معارَضة بمفاسد لانه ربما يستنكفون عن (33) طاعته فيزداد الفساد ويستولي عليهم فيظلمهم أو يكثر عليهم الخراج (187 ظهر) فيأخذ أموال الضعفاء لان كل عاقل يعلم رجحان تلك المصالح على هذه المفاسد والمعتبر الراجح بأن ترك الخير الكثير لاجل الشر اليسير شر كثير (34) .

ودليل عدم وجوبه على الله تعالى : قال الآمدي (4) مع الاربعين (10) : ما سبق من إمتناع ايجاب شيء على الله . في الاربعين (10) : احتج الشريف المرتضى (35) على وجوبه على الله تعالى بأن نصب الامام لطف (22) وهو على الله واجب . والمراد من اللطف (22) الامر الذي علم الله تعالى من حال المكلف أنه متى وجد ذلك الامر كان حاله لقبول الطاعة والبعد عن المعصية أقرب مما لم يوجد ذلك الامر بشرط الا ينتهي إلى الالجاء .

وعزا (36) هذا الكلام في آخر كلامه في (37) النهاية (2) إلى الاثنا عشرية (21) .

---

(31) أ : البلد

(32) ج : ورفع

(33) ج : على

(34) طبقا لقانون مراعاة المصلحة في الشرع الاسلامي أنظر خاصة مقال استحسان واستصلاح Schimes p 387 و EI II : 597 Juynboll و EI Supp : 109—113 — Paret
وانظر أيضا : عبد الوهاب خلاف : مصادر التشريع الاسلامي فيما لا نص فيه
J. Lapanne - Joinville : L'Istishab, in travaux de la semaine internationale de droit mus. (Paris 2-7 Juillet 1951) éd. Paris 1953.

(35) هو علي بن الحسن الشريف المرتضى (355/966 — 436/1044) . من أعلام الشيعة تولى نقابة الطالبيين . له كتاب الشافي في الإمامة (ط طهران 1301) يدافع فيه عن إمامة الأيمة الأثني عشر ويرد فيه على كتاب المغنى للقاضي أبي الحسن عبد الجبار . لخصه نصير الدين الطوسي في « تلخيص الشافي » .
أنظر كحالة 7 : 812 و GAL I 404-405, SI 704-706 و Brockelmann EI II : 786

(36) أ : وعن

(37) ب : وفي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال في الأربعين (10) : والجواب ان اللطف (22) المذكور انما يحصل بنصب امام قاهر يرجى ثوابه ويخشى عقابه وانتم لا تقولون به ومنقوض بالقضاة والنواب المعصومين والعساكر المعصومة فإن حال الخلق عند وجودهم اتم منها عند عدمهم والعذر في عدم وجوب هذه الاشياء موجود فيما نحن فيه .

وفي النهاية (2) : لو وجب على الله نصب الامام لفعله ولو فعله لكان ظاهرا إذ لا نفع الا بظهوره وليس ذلك كائنا .

واختصره البيضاوي (38) بقوله : « كيف ولم يكن من عهد النبوة إلى ايامنا أمام على ما وصفوه » (39) .

المسألة (40) الثانية : في النهاية (2) صفات الأيمة تسع (41) .

الأولى : كونه مجتهدا في أصول الدين وفروعه ليتمكن من ايراد الأدلة وحل الشبهات والفتوى في احكام الشرع .

الثانية : كونه ذا رأي وسياسة بتدبير الحرب والسلم يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع (42) اللين .

الثالثة : كونه شجاعا فلا يضعف عن لقاء عدو وإقامة الحدود .

(38) هو عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المفسر صاحب أنوار التنزيل . توفي حوالي 1286/685 ينقل ابن عرفة عادة في هذا الكتاب عن طوالع الأنوار .
أنظر كحالة 6 : 97–98 و Brockelmann 603–604 : EI I و EI₂ I : 1163 J. Robson

(39) أي « إمام قاهر يرجى ثوابه ويخشى عذابه » . أنظر مطالع (ط 1323) ص 229 « ...من عهد النبوة إلى أيامنا إمام على إمام وصفتموه (؟) » وفي ط 1305 ص 460 : « ... الى أيامنا إماما (هكذا !) على ما وصفتموه »

(40) ناقصة في أ

(41) الماوردي : شروط سبعة ص 4
العدالة – العلم – سلامة الحواس – سلامة الأعضاء – الرأي – الشجاعة والنجدة – النسب .

(42) ناقصة في ج

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقول البيضاوي (38) وجمع تساهلوا في الصفات الثلاث (43) وقالوا ينيب من كان موصوفا، خلافَ عدِّها الامدي (4) في الشروط المتفق عليها، ولما ذكر الاولى قال : ولا يمكن ان يقال (188 وجه) باكتفائه بمراجعة الغير في ذلك اذ هو خلاف الاجماع . ونحوه يأتي للنهاية (2) فيها .

الرابعة : كونه عدلا لأن الفاسق ربما يصرف الاموال لأغراض نفسه فتضيع الحقوق ويندرج في ذلك كونه مسلما بطريق الأولى .

هذه الصفات الاربع لابد منها ويتوقف ثبوتها على اربع صفات الذكورية والحرية والبلوغ والعقل (44) .

وعلل الامدي (4) شرط الحرية بأنها مظنة فراغ البال عن الاشتغال بخدمة الغير .

قلت (45) : ولان الرق مظنة الاستحقار (46) واذا نافى منصب الشهادة (47) فأحرى الامام (48) . وحديث أبي ذر (49) : « أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا مجدع الاطراف » (50) محمول على أنه نائب أمير لا امير .

---

(43) أ : الثلاثة

(44) تعتبر هذه الصفات الأربع عادة مفروغا منها وتضاف اليها صفة الاسلام في بعض الاحيان فالمجموع الى حد هذا التعداد هو إذن ثماني صفات

(45) ناقصة في ج

(46) أ و ج : الاستحقاق

(47) فيما يتعلق بموقف الاسلام من العبيد أنظر خاصة مقال عبد : EI$_2$ I : 25-41 R. Brunschvig

(48) فيما يتعلق بشروط الشهادة التي منها الحرية أنظر مقال شاهد : EI IV : 268-69 W. Heffening

(49) هو أبو ذر الغفاري . صحابي توفي سنة 652/32 . أنظر الاعلام 2 : 136 — 137 و EI$_2$ I : 118 J. Robson و EI I : 85 M. Th. Houtsma

(50) في الصحاح أحاديث متعددة بهذا المعنى وإن اختلفت في بعض الجزئيات . أنظر Wensinck

قال ومنها (51) أن يكون مقتدرا على انفاذ (52) حكمه . قال فإن قيل : يلزم (53) اسقاط (54) امامة عثمان (55) حين حصره قلنا لا نسلم عدم قدرته . انما هاش عليه رعاع وأوباش فقصد السلم وترك الفتنة .

وفي شرط كونه قرشيا قولا (56) جميع أهل السنة مع الجبائيين (57) والشيعة (23) والخوارج (24) مع بعض المعتزلة (12) .

المازري (58) : غلا بعضهم فقال لو استوى قرشي وقبطي في شرط الامامة ترجح القبطي لانه أقرب إلى عدم الظلم والجور . احتج اصحابنا (59) باجماع الصحابة حين قال الانصار يوم السقيفة للمهاجرين « منا امير ومنكم امير » فمنعهم أبو بكر (60) بقوله (ص) (61) : « الأيمة من قريش » (62) وبقوله (ص) : « قدموا قريشا ولا تقدموها » (63) .

---

(51) لا يقصد شرطا جديدا انما الكلام مرتبط بشرط الحرية

(52) ج : اثبات

(53) ج : ويلزم

(54) ب و ج : سقوط

(55) انظر سلفه رقم 100

(56) هكذا في جميع النسخ
أنظر في أمر الاختلاف في هذا الشرط المقدمة ص 343 — 347

(57) هما من أيمة الاعتزال . الجبائي الاب وهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب (849/235–915/303) . أنظر كحالة 10 : 269 و (المؤلف ؟) 90—1089 : EI I و L. Gardet EI_2 II 584 – 85
أما الجبائي الابن فهو أبو هاشم عبد السلام واليه تنسب فرقة الهاشمية . (890/277 – 933/321) . أنظر كحالة 5 : 230 وانظر أيضا مقال EI_2 المتقدم الذكر

(58) هو أبو عبد الله محمد بن علي المازري . فقيه مالكي (1061/453 — 1141/536) . أنظر كحالة 11 : 32 و R. H. Idris (الفهرس)

(59) أي أهل السنة

(60) أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين توفي سنة 634/13 . أنظر الاعلام 4 : 237 — 238 و EI I : 82 F. Buhl و EI_2 I : 112 M. Watt وانظر مقال : بكرية : 96 — 995 EI_2 I (المؤلف ؟)

(61) أ : « أطيعوا السلطان ولو أمر عليكم » الراجح أن إضافة هذا الحديث هنا سهو من الناسخ لأن السياق ينفيه وسيأتي ذكره بعد أسطر في احتجاج المخالف

(62) مسند ابن حنبل . أنظر Wensinck

(63) لم نعثر على هذا الحديث في Wensinck

وفي النهاية (2) احتج المخالف بقوله (ص) : « اطيعوا السلطان ولو أمر عليكم عبدا حبشيا اجذع » (50) وأجيب بأنه ليس كل سلطان اماما (64) .

الامدي (4) : في شرط كونه هاشميا قولا الشيعة (23) وأكثر الناس للاجماع على صحة امامة الشيخين .

في الأربعين (10) في لغو شرط (188 ظهر) عصمته قولنا مع المعتزلة (12) والزيدية (65) والخوارج (24) وقول الاسماعلية (20) مع الاثنا عشرية (21) لنا ما يذكر من دليل صحة امامة أبي بكر (60) وهو وإن كان معصوما لم يكن واجب العصمة اتفاقا .

قلت : في تسمية ثبوت حفظه عصمة نظر يفهم من تحقيق ماهية العصمة .
قال احتجوا بوجوه :

الاول : احتياج الخلق إلى الامام انما كان بتجويز الخطأ عليهم فلو كان الامام كذلك احتاج لامام آخر ودار أو تسلسل .

الثاني : قوله تعالى : « اني جاعلك للناس اماما » (66) مع قوله « لا ينال عهدي الظالمين » (67) فعهد الامامة لاينال الظالم وكل مذنب ظالم لقوله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه » (68) .

---

(64) أنظر في الفروق الموجودة بين المصطلحين خاصة مقال : إمامة 1198 – 1192 : W. Madelung EI2 III وانظر أيضا مقال : سلطان : J. H. Kramer 568 – 71 EI IV

(65) فرقة شيعية تقول خاصة بإمامة المفضول مع وجود الافضل . أنظر مقال زيدية في : R. Strothmann 1264 – 66 : EI IV ومقال : زيد بن علي R. Strothmann 1260–61 : EI IV وانظر أيضا في أمر فرقة الصالحية أصحاب الحسن بن علي بن حي : الشهرستاني ص 216 – 218

(66) البقرة (2) : 124

(67) البقرة (2) : 124

(68) فاطر (35) : 32

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثالث : قوله تعالى : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » (69) امر بطاعة أولي الأمر وكل من أمر الله بطاعته وجب كونه محقا ولا معنى للمعصوم الا ذلك ومثله للامدي (4) .

واختصره البيضاوي (38) بقوله : « احتجوا بأن وجه الحاجة اما (70) : المعارف الالاهية لا تعرف الا منه كما هو مذهب اصحاب التعليم (23) أو (71) تعليم الواجبات العقلية (72) وتقريب الخلق إلى الطاعات كما هو مذهب الاثنا عشرية (21) وذلك لا يحصل الا اذا كان الامام معصوما » (73) .

ورد الاول في الأربعين (10) بمنع المقدمة الاولى (74) وقد سبق ... ونحوه رد الامدي (4) بقوله : انه بناء على وجوب رعاية الحكمة في افعال الله تعالى واحكامه وقد ابطلناه . سلمناه لكن لا نسلم ان الغرض من نصب ما ذكروه بل ما ذكرنا من حصول الامن وتدبير الأمور السياسية .

ورد الثاني في الأربعين (10) بمنع دلالته على وجوب العصمة بل على وجودها .

والثالث بأن وجوب الاقتداء على الاحاد بشخص لا يقتضي عصمته ولا وجوبها كما في نواب الامام من القضاة والعلماء والشهود (189 وجه) ونحوه للامدي (4) .

---

(69) النساء (4) : 59
(70) ب : أما أن . وكذلك في طوالع 471/230
(71) ج : و
(72) طوالع (ط 1323) : او
(73) أنظر طوالع 471/230
(74) أ : المقدمات

وقول البيضاوي (38) : « احتجوا بأن وجه الحاجة اما (70) : المعارف الالاهية لا تعرف الا منه كما هو مذهب اصحاب التعليم (23) أو (71) تعليم الواجبات العقلية (72) وتقريب الخلق إلى الطاعات كما هو مذهب الاثنا عشرية (21) وذلك لا يحصل الا إذا كان الامام معصوما » (73) .

قلت : عزا الاول في الاربعين (10) إلى الملاحدة (19) والاسماعيلية (20) والثاني كالبيضاوي (38) .

المسألة الثالثة : في النهاية (2) : اتفقت الامة على أن الرجل لا يصير إماما بمجرد صلاحيته للامامة .

المازري (58) : وقال قوم : من (75) اختص بشروط الامامة لزمه قبولها . وافرط بعضهم فقال بنفس اختصاصه صار اماما نافذ الاحكام دون عقد له فيها . واتفقوا على أن المقتضي لثبوتها احد امور ثلاثة : النص والاختيار والدعوة وهو ان ينال الظلمة من هو من (76) اهل الامامة ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويدعو إلى اتباعه بنص رسول الله (ص) او امام طريق إلى امامة المنصوص عليه اتفاقا .

وفي لغو الاختيار والدعوة واعتبار الدعوة للامامية (77) واهل السنة مع المعتزلة (12) والخوارج (24) والزيدية الصالحية والزيدية غير الصالحية (65) مع الجبائي (57) وعن الامدي (4) : الأول لاكثر الشيعة (22) .

---

(75) : أ قد

(76) ب ممن نتمكن من فهم هذه الجملة بالضبط لشدة اختصارها .

(77) أنظر أعلاه رقم 21 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الأربعين (10) : قالت الزيدية (65) : الفاطمي الزاهد العالم اذا خرج بالسيف ودعا لنفسه بالامامة صار اماما . وعندنا وعند المعتزلة (12) عقد البيعة سبب (78) لحصول الامامة . ونحوه قول الامدي (4) .

قالت الجارودية (79) من الزيدية (65) ان الامامة في ولد الحسن (80) والحسين (81) شورى من خرج منهم داعيا إلى الله وكان عالما فاضلا فهو امام . واتفق اصحابنا (11) والمعتزلة (12) والامامية (77) على ابطال هذه الطريقة غير الجبائي (57) .

في الأربعين (10) : لنا انه دل الدليل (189 ظهر) على صحة (82) امامة أبي بكر (60) رضي الله عنه ولم تنعقد الا بالبيعة . احتج الاثنا عشرية (21) بأن من صارت منهم (83) البيعة لم يقدروا على التصرف في احاد الامة ولا في مهم من مهماتهم فكيف يقدرون على اقرار الغير على التصرف في اهل المشرق والمغرب . الثاني (84) : المقصود من نصب الامام ازالة الفتنة والبيعة تفضي إليها لان أهل كل بلد (85) تقول كون الامام منا أولى فامتنع كونها سببا للامامة . الثالث (84) : الامامة اعظم من القضاء والحسبة فأولى الا تنعقد بالبيعة . الرابع (84) : الامام نائب الله ورسوله ونيابة الغير لا تحصل إلا بإذنه . ونحوه للامدي (4) بلفظ : الامام خليفة الله ورسوله فلو ثبتت امامته باختيار بعض الامة لكان خليفة عنهم لا عن الله ورسوله .

---

(78) ج : بسبب

(79) هم اتباع أبي الجارود أنظر معتقدات ص 52 وانظر مقال جارودية Hodgson EI$_2$ II : 497

(80) الحسن بن علي بن أبي طالب (624/3 – حوالي 670/50) . أنظر : الأعلام 2 : 214 و EI$_2$ III : 247-50 L. Veccia Vaglieri و EI II 291 Lammens

(81) الحسين بن علي بن أبي طالب (625/4 – 680/61) . أنظر الاعلام 2 : 263 و EI$_2$ III 628-36 L. Veccia Vaglieri و EI II 360-61 Lammens

(82) أ : حجة

(83) ج : فيهم

(84) من حجج الاثني عشرية

(85) على حجة الاثني عشرية

في الأربعين (10) : وجواب الأول (85) : انه منقوض بالشاهد فإنه لا يتمكن من التصرف في المدعى عليه والقاضي بقوله يصير متمكنا منه . والثاني (85) : ان الترجيح يحصل بزيادة العلم او الزهد أو النسب أو كثرة ميل الخلق إليه . والثالث (85) : انه لا استبعاد في ان يأذن الله بتولية الامام والامام يأذن في تولية القضاة وايضا فالتحكيم جائز عند قوم . ورده الامدي (4) بجواز ان يكون الاختيار سببا للتولية العامة لحصول التمكن التام الذي لا يبقى معه منازع بخلاف التولية الخاصة .

وجواب البيضاوي (38) بمنع الاصل سيما إذا خلا البلاد (86) ظاهره منع الاصل ولو مع قيام الامام لقوله سيما اذا خلا البلاد وليس بصحيح . نعم حيث تعذر الامام وقد فرضه الفقهاء .

ورد الرابع (85) في النهاية (2) : بأن الله تعالى لما حكم بشهادة الشاهدين وقضاء القاضي وفتوى (87) المفتي كان حكما له لا للشاهد والقاضي (88) والمفتي .

المسألة الرابعة : الامام الحق بعد رسول الله (190 وجه) (ص) أبو بكر (60) . المازري (58) : خلافا لكل فرق الشيعة (23) من الامامية (77) والروافض (89) ولبعض المعتزلة (12) انه علي بن أبي طالب (90) .

---

(86) طوالع 472/231

(87) أ : وفتى

(88) ج : ولا للقاضي

(89) هم خاصة غلاة الشيعة . أنظر مقال غلاة : EI₂ II : 1119 – 1121 M. G. S. Hodgson وتحيل EI III : 1174 من مقال Rafida إلى مقال Rawafid ولكن هذا المقال غير موجود . ولا يوجد أيضا في الملحق .

(90) أ و ب : علي فقط . علي بن أبي طالب . رابع الخلفاء الراشدين وابن عم الرسول . قتل سنة 66/40 . أنظر : الاعلام 5 : 107 – 108 و EI I : 383 K. Süssheim و EI₂ I 392-97 L. V. Vaglieri

قلت : واختاره نصير الدين الطوسي (91) وبئس ما اختار والعجب من تصريحه به من قطر فيه القيام بالسنة مع مسالمته وترك ردعه وعقوبته (91) .

المازري (58) : وقالت الراوندية (92) انه العباس (93) .

قلت : ذكر الامدي (4) ان فرق الشيعة (23) اثنتان (94) وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا اصلها ثلاث فرق (95) : غلاة (89) وزيدية (65) وامامية (77) فذكر ما حاصله ان صريح قول جلهم كفر وظاهر قول اقلهم كذلك منهم : الاسماعيلية (20) سموا بذلك لاثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر (96) لهم القاب منها : القرامطة (97) سموا بالقرامطة لان أول مقرر

---

(91) هو محمد بن محمد نصير الدين الطوسي . حكيم رياضي وفقيه اتصل بهولاكو وكانت له عنده حظوة. (597/1201 — 672/1274). أنظر كحالة 11 : 207 — 208 و EI IV : 1032-34 و GAL II 508-512, SII 924-33 Strothman/Ruska

(91 مكرر) لعل هذا الحنق ضد الطوسي لا يفسر فحسب بتشيعه إنما أيضا بما عرف عنه من اتصال بهولاكو . وقد كانت فرقة الشيعة تعتبر متواطئة مع المغول في عصر المماليك . أنظر Laoust : Ibn Katir historien, Arabica 1955 p 73 — 74

(92) اعتقادات ص 63 : الروندية : اتباع أبي هديدة الروندي وهم يزعمون ان الامامة كانت أولا حقا للعبـاس

(93) العباس بن عبد المطلب : عم الرسول وجد العباسيين . توفي سنة 32/653 أنظر الاعلام 4 : 35 و EI_2 I : 9-10 C. H. Becker S. M. Stern و EI I : 9-10 Fr. Buhl وانظر أيضا مقال عباسيين EI_2 I : 15-24 B. Lewis

(94) في أ و ب و ج : اثنـان

(95) أنظر في مشاكل ترتيب الفرق مقالات Laoust :

— La classification des sectes dans le Farq d'al-Baghdadi in REI, XXIX, 1961, pp. 19-59,

— La classification des sectes dans l'hérésiographie ashʿarite, in Memorial Gibb, Leyde 1955, pp. 377-387

— L'hérésiographie musulmane sous les Abbassides, in Cahiers de Civilisation médiévale, X, 1967 pp. 157-178.

(96) اسماعيل بن جعفر إمام الشيعة السابع ، توفي سنة 143/760 : أنظر الاعلام 1 : 306—307 وانظر أيضا مقال : جعفـر الصادق EI_2 II : 384-85 Hogson و EI I 1021 Zetterstein وانظر أعلاه تعليق رقم 20

(97) أنظـر : EI II : 813-19 L. Massignon

دعوتهم أحمد بن قرمط (98) رجل من الكوفة ومرجع دعوتهم إلى كفر المجوس .

والزيدية (65) قالوا بنصه (ص) على امامة علي (90) . كفر بعضهم الصحابة (99) وبعضهم قال اخطأت الامة من ترك امامة علي (90) وكفروا عثمان (100) وطلحة (101) والزبير (102) وعائشة (103) مع القطع بأنهم من أهل الجنة وتوقف بعضهم في عثمان (100) .

والامامية (77) المطلقة لم يقل احد منهم بالحلول قالوا بنص امامة علي (90) وكفروا الصحابة بعدم بيعة علي (90) .

قال (104) واما الخوارج (24) ففرق منها المحكمة (105) الذين خرجوا على علي (90) رضي الله عنه حين التحكيم كانوا اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام فيهم قال (ص) : « تحقر (106) صلاة احدكم في جنب صلاتهم وصوم احدكم في جنب صومهم لا يجاوز ايمانهم تراقيهم » (107) . جوزوا

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

---

(98) اختلف في اسمه لكنه يسمى في الغالب حمدان قرمط . قتله المكتفي بالله العباسي سنة 906/293. أنظر الاعلام 6 : 35 — 36 و Huart EI II 262 Cl و Zöfgren EI_2 III 126-28

(99) ج : وكفروا الصحابة

(100) عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين . قتل سنة 656/35
أنظر الأعلام 4 : 271 — 272 و Levi Della Vida EI III 1077-80

(101) طلحة بن عبيد الله : أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة ومن أصحاب الشورى الستة . توفي سنة 656/36 . أنظر الاعلام 3 : 331 و Levi Della Vida EI IV 683-74

(102) الزبير بن العوام من أصحاب الشورى الستة وأحد الصحابة العشرة . أنظر الاعلام 3 : 74 و Wensinck EI IV : 1306 توفي سنة 656/36

(103) عائشة بنت أبي بكر وزوجة الرسول (ص) توفيت سنة 678/58 . أنظر الاعلام 4 : 5 و M. Seligsohn EI I : 220-21 و W. M. Watt EI_2 I : 317-18

(104) الأقرب انه الآمدي حسب السياق

(105) أنظر مقال تحكيم E. Tyan EI_2 III : 74-75 وانظر أيضا التعاليق : 24 — 90 — 210 — 238

(106) ج : تخفى

(107) الحديث موجود في البخاري ومسلم وابن ماجة وابن حنبل . أنظر Wensinck

الامامة في غير قريش وان من نصبوه وعاشر الناس بالعدل كان اماما وجوزوا الا يكون في الارض امام وكفروا عليا (90) وعثمان (100) واكثر الصحابة .

ومنهم الأزارقة اصحاب نافع بن الأزرق (108) كفروا عليا رضي الله (190 ظهر) عنه بالتحكيم وصوبوا قتل عبد الرحمان بن ملجم (109) عليا (90) رضي الله عنه وقالوا هو الذي نزل فيه : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله (110) » (111) . قال مفتي الخوارج وزاهدها وشاعرها عمران ابن حطان (112) :

يا ضربة من تقي ما اراد بها   الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا (113)
اني لاذكره يوما فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا

واسقطوا الرجم على الزاني المحصن وكفروا سائر المسلمين من الصحابة وغيرهم وقضوا بتخليدهم في النار واسقطوا حد قذف المحصنين من الرجال دون النساء وكفروا مرتكب الكبيرة وخلدوه في النار .

قلت (114) : ويرد قول ابن حطان (112) :

يا قوله من كذوب في الحديث أتى   تكذيبه قل له فالصدق برهانا (113)
يا ضربة من شقي قد اراد بها   رب العباد به سخطا وخسرانا
اني لأذكره حينا فأعلمه   اشقى الخليقة جنيا وانسانا

---

(108) نافع بن الأزرق (قتل سنة 65/685)
أنظر الاعلام 8 : 315 — 316 و EI III 882 A. J. Wensinck
وانظر أيضا مقال : أزارقة EI$_2$ I : 833-34 R. Rubinacci

(109) عبد الرحمان بن ملجم المرادي (قتل سنة 40/660)
أنظر الاعلام 4 : 114 و EI$_2$ III : 911-14 L. V. Vaglieri

(110) « الله » ناقصة في أ

(111) البقرة (2) : 207

(112) عمران بن حطان السدوسي الخارجي توفي سنة 84/703
أنظر الاعلام 5 : 233 و EI$_2$ III : 1204 J. W. Fück

(113) البحر البسيط

(114) المتكلم هو ابن عرفة وهام ان يعد فخر الدين الرازي من أصحابه . يقصد أهل السنة بصفة عامة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احتج اصحابنا (114) بوجوه :

الأول في الأربعين (10) والمعالم (115 مكرر) قوله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض » (116) الآية . خطاب مشافهة مع جماعة من الحاضرين في زمانه (ص) بإيصال الخلافة والتمكين لهم ولم يقع ذلك الموعود به لابي بكر (60) ومن ولي بعده .

ولفظ الأربعين (10) : اقل الجمع ثلاثة فوعد ثلاثة (117) فما فوقهم من اصحابه (ص) بذلك و كل ما وعد الله به يعلمه ولم يوجد الا خلافة الخلفاء الأربعة .

الثاني فيها : قوله تعالى : « قل للمخلفين من الاعراب ستدعون إلى قوم اولي بأس شديد » (118) الاية .

---

(115) البحر البسيط . لم نتمكن من التعرف على الحديث الذي يلمح اليه في البيت الاول . الردود على بيتي عمران بن حطان كثيرة (أنظر : EI₂ III : 913) في ج (هامش 169 ظهر) : وقال بكر بن صحاد (؟) التاهرتي رحمه الله معارضا لعمران بن حطان ورادا عليه :

قل لابن ملجم والاقدار غالبة ... هدمت ويحك للاسلام اركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس اسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا ... ليثا اذا لقي الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والرمح منحدر ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
اني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
اشقى مراد اذا عدت قبائلها ... واخسر الناس عند الله ميزانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
يا ضربة من غوي اوردته لظى ... مخلدا قد أتى الرحمان غضبانا

— الابيات منسوبة (مع بعض الاختلاف) في الكامل لابن الأثير (ج III : 199) لبكر ابن حسان الباهري

(115 مكرر) هو كتاب المعالم في أصول الدين لفخر الدين الرازي وهو خمسة أنواع . أنظر طه حسين رقم 119 وقد طبع النوع الأول على هامش كتاب محصل أفكار المتقدمين....

(116) النور (24) : 55

(117) ج : ثلاثة من الصحابة

(118) الفتح (48) : 16

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يجوز أن يكون الداعي النبي (ص) لقوله : « سيقول المخلفون اذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم » (119) الاية . فلو كان الداعي لهم هو الرسول (ص) ثم منعهم عن متابعته لزم (191 وجه) التناقض ولا علي (90) عليه السلام لقوله تعالى : « او يسلمون » (120) وحروب علي (90) رضي الله عنه لم تكن الا لتحصيل الاسلام لانا بيّنا (120 مكرر) ان الاسلام هو الاقرار الدال على الاعتقاد ظاهرا وهذا كان حاصلا فيهم . ولا يجوز ان يكون من جاء بعده لانهم عندنا على الخطأ وعند الشيعة (23) على الكفر فتعين كونه أبا بكر (60) أو عمر (121) أو عثمان (100) ثم أنه تعالى أوجب طاعته بقوله تعالى : « فإن تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا » إلى أليما (122) وإذا وجبت طاعة أحد الثلاثة وجبت طاعة الكل إذ لا قائل بالفرق .

قلت : الاولى وجبت طاعة الاول لاستناد من بعده إليه مباشرة أو (123) بوسط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثالث فيها أنه (ص) استخلفه (124) في مرض موته في الصلاة فحصلت له الخلافة وما عزله عنها فوجب بقاؤه عليها (125) وإذا ثبت كونه اماما في الصلاة ثبت كونه اماما في سائر الاشياء اذ لا قائل بالفرق .

---

(119) الفتح (48) : 15

(120) الفتح (48) : 16 وبقية الآية : «فإن تطيعوا ...» انظر اسفله رقم 122

(120 مكرر) أنظر في الإيمان (المسألة الثامنة من الباب الثاني من الكتاب الثالث) : أ : 184 وجه — 186 ظهر

(121) عمر بن الخطاب : ثاني الخلفاء الراشدين . توفي سنة 644/23
أنظر الاعلام 5 : 203 — 204 و EI III : 1050 Levi Della Vida

(122) الفتح (48) : 16 وبقية الآية : « وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما »

(123) أ و ب : و

(124) أ : استخلف

(125) أ و ب و ج : بقاؤها عليه

وزاد (126) في الاربعين (10) : وبهذا تمسك علي (90) رضي الله عنه حيث قال : « لا نقايلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله (ص) في أمر ديننا افلا نقدمك في أمر دنيانا » .

الرابع فيها : قوله (ص) : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا » (127) وهي مدة الخلفاء (128) الاربعة .

الخامس فيهما (129) واللفظ للاربعين (10) : الامام الحق بعده (ص) إما أبو بكر (60) أو علي (90) أو العباس (93) . والثاني والثالث باطل لان عليا (90) كان في غاية الشجاعة وفاطمة (130) مع علو منصبها زوجته والحسن (80) والحسين (81) ولداه والعباس (93) مع علو منصبه عمه . وروي أنه قال لعلي (90) : « امدد يدك أبايعك حتى يقول الناس : بايع عم رسول الله (ص) ابن عم رسول الله (ص) فلا يختلف عليك اثنان » .

والزبير (102) مع شجاعته كان معه حتى قيل أنه سل السيف وقال لا ارضى بخلافة أبي بكر (60) (191 ظهر) .

وقال أبو سفيان (131) أرضيتم يا بني عبد مناف (132) ان يلي (133) عليكم يتيم (134) والله لأملأن الوادي خيلا ورجلا .

---

(126) أ : زاد

(127) الحديث موجود مع اختلافات طفيفة في ابن حنبل والدارمي . أنظر Wensinck

(128) أ : الخلافة

(129) يقصد كتاب الأربعين ومعالم أصول الدين

(130) فاطمة بنت الرسول (ص) توفيت سنة 11 هـ/632 . أنظر الاعلام 5 : 329
و EI_2 II : 861-70 L. V. Vaglieri و EI II : 90-93 Lammens
وانظر أيضا مقال فدك : EI_2 II : 743-45 L. V. Vaglieri

(131) أبو سفيان صخر بن حرب من سادات قريش أسلم يوم فتح مكة سنة 629/8
أنظر الاعلام 3 : 288 و EI_2 I : 155-56 W. M. Watt و EI I : 110 F. Buhl

(132) أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشي . والد علي وعم النبيء (ص) توفي سنة 620 م . أنظر الاعلام 4 : 315

(133) أ : تلا . ب : تلي

(134) ب و ج : يتم

وكرهت الانصار امامة أبي بكر (60) وقالوا « منا أمير ومنكم أمير » (135) فدفعهم أبو بكر (60) بقوله (ص) : « الاية من قريش » (136) ولو كان علي (90) اماما بنص ظاهر لعرفوه وأظهروه لان الخصم القوي لا يترك مثل هذا الطعن (137) . ولم يكن مع أبي بكر (60) لا شوكة ولا عسكر ولا مال بل كان عند الرافضة (89) ضعيفا جبانا فيستحيل في مثل علي (90) مع كثرة أسباب القوة والشوكة ان يصير عاجزا في يد شيخ ضعيف لا مال له ولا رجْل ولا شوكة حتى يترك المحاربة والمنازعة هذا لا يقبله العقل فدل على أنه لا حق له في الامامة .

وفي الاربعين (10) : للشيعة (23) وجوه :

الاول : قوله تعالى : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » (138) الآية . هي دالة على امامة شخص معين لان الولي مستعمل في المتصرف (139) . قال (ص) : « أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها » (140) . وفي المحب والناصر كما في قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » (141) فلا يكون حقيقة في غيرها تقليلا للاشتراك والولي هنا ليس بمعنى الناصر لان الولي المذكور في هذه الاية ليس عاما في كل المؤمنين لانه ذكر بكلمة : « انما » وهي للحصر والولاية بمعنى النصرة لقوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » (141) . فالمراد بها المتصرف والمتصرف

(135) في البخاري والنسائي وابن حنبل . أنظر Wensinck
(136) حديث قريب منه في ابن حنبل . انظر Wensinck
(137) أ : الكفـر
(138) المائدة (5) : : 55
(139) ج : التصرف
(140) بقية الحديث : « ... فنكاحها باطل » . في ابن داود والدارمي وابن حنبل أنظر Wensinck
(141) التوبة (9) : 71 وبقية الآية : « ... يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولائك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الامة هو الامام فدلت على امامة شخص ومن قال بذلك قال هو علي (90) . وايمة التفسير اتفقوا على ان المراد بالذين يقيمون الصلاة علي (142) .

والثاني : قوله (ص) : « الست أولى بكم (143) من أنفسكم ؟ قالوا : بلى . قال : من كنت مولاه فعلي (90) مولاه » (144) . قال في النهاية (2) : من قوله (ص) يوم الغدير (145) . ومثله الامدي (4) : قال : والمولى يحتمل (192 وجه) الأولى قال تعالى : « مأواكم النار هي مولاكم » (146) قال أهل التفسير أي أوْلى بكم .

والحديث صحيح اذ الامة متفقة على قبوله بعضهم تمسك به في فضل علي (90) وبعضهم في امامته فإن لم يحتمل غيره تعين الحمل عليه وان احتمل غيره كان مجملا يفتقر إلى مفسر وهذا صالح لتفسيره فوجب حمله عليه والاوّلية محمولة على الاولوية في كل الاوصاف دفعا للاجمال ولصحة الاستثناء فتدخل فيه الامامة ولان الولي اما المتصرف أو الناصر او المعتق او ابن العم أو الخليفة وليس المراد غير المتصرف لان بعضه ظاهر الانتفاء وبعضه ظاهر الثبوت ويمتنع أن يجمع عليه السلام الجمع العظيم لبيان الظاهرات والمتصرف هو الامام .

الثالث : قوله (ص) : « أنت مني بمنزلة هارون (147) من موسى (148) الا انه لا نبي بعدي » (149) بان صحة الخبر ما تقدم . ومن منازل

---

(142) الجملة ناقصة في أ

(143) ج : بذهبكم

(144) الحديث موجود مع بعض الاختلافات في البخاري وأبي داود والترمذي وابن ماجة وابن حنبل . أنظر Winsinck وانظر التمهيد ص 171

(145) أنظر مقال Laoust : Le rôle de Ali dans la Sirachi‘ite, REI, 1962 خاصة ص 25ـ26

(146) الحديد (57) : 15

(147) هو هارون بن عمران. أنظر Einsenberg/Vajda EI_2 III 238 و Eisenberg EI II : 287-88
وانظر أيضا مقال : عمران Einsenberg/Vajda EI_2 III : 1204 و Eisenberg EI II : 505

(148) موسى : أنظر B. Heller EI III 788 . الجملة « بان صحة...من موسى » ناقصة في ب

(149) في البخاري والترمذي وابن ماجة وابن حنبل . أنظر Wensinck

هارون (147) من موسى (148) كونه بحيث لو عاش كان خليفة لانه خليفة له حال حياته لقوله تعالى : « وقال موسى (147) لاخيه هارون (148) : اخلفني في قومي » (150) فلو لم يكن بعد موته خليفة له لو عاش لا نعزل هارون (147) بموته والعزل إهانة لا تليق بمنصب النبي فتكون لهارون (147) بهذه الحيثية صفة من صفاته ومنزلة من منازله ولان قوله « بمنزلة هارون (147) من موسى (148) » يتناول جميع المنازل اذ لو اريد منزلة واحدة مع عدم تعيينها كان مجملا ولصح (151) الاستثناء ولقوله (ص) : « الا انه لا نبي بعدي » (149) وقد عاش علي (90) بعده (ص) فيكون بعده خليفة له .

الرابع : في النهاية (2) : تمسكوا بقوله (ص) : « سلموا على علي (90) بإمرة المؤمنين » (152) . وقوله (ص) : « أناسيد المرسلين وعلي (90) امام المتقين وقائد الغر المحجلين » (153) وقوله (ص) : « هذا ولي كل مؤمن ومؤمنة انت وصيي وخليفتي من بعدي » (154) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخامس : في الاربعين (10) : الامام الحق اما علي (90) واما أبو بكر (63) واما العباس (93) (192 ظهر) اجماعا . والثاني والثالث باطل لان الامام واجب العصمة ولم يكن أبو بكر (63) والعباس (93) كذلك اجماعا ولا منصوصا على امامتهما .

السادس : انه (ص) نص على امامة شخص بعده فإنه عليه السلام ما خرج من (155) المدينة الا استخلف عليها لئلا يختل امر الرعية وهذا في

---

(150) الاعراف (7) : 142
(151) أ و ب : لصحة
(151 مكرر) : ما بين (ص) السابقة و (ص) هذه سقط من أ و أظنه سهو من الناسخ
(152) حديث شيعي : أنظر الكليني I : 292
(153) حديث شيعي
(154) حديث شيعي
(155) أ : عن

الغيبة العظمى أولى لانه (ص) لم يخرج من الدنيا حتى أكمل الدين . قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » (156) والامامة أعظم اركان الدين وهذا يفيد القطع بأنه نص على امامة شخص بعده وانه ليس أبا بكر (63) والا كان توقيف الامر على البيعة من أعظم المعاصي وهو قادح (157) في امامته ولا العباس (93) فهو اذن علي (90) .

السابع : فيها : علي (90) افضل الخلق بعده (ص) لما يذكر والامام متبوع وجعْل الاكمل تبعا للأنقص قبيح كما يقبح جعل احد الفقهاء مدرسا وامر الشافعي (158) وأبي حنيفة (159) بحضور (160) درسه فوجب جعله متبوعا وهو معنى كونه اماما .

وعلي (90) افضل الصحابة لوجوه :

الاول : قوله تعالى (161) : « فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم (162) وانفسنا وانفسكم » (163) الآية . ودلت الاخبار الصحيحة ان المراد بقوله تعالى « وانفسنا » (163) هو علي (90) ويمتنع ان يكون نفس علي (90) هي نفسه (ص) فيكون المراد المساواة بين النفسين بكل ما للنبي (ص) من المناقب هي لعلي (90) . ترك العمل به فضيلة النبوة فيبقى حجة في الباقي فكان علي (90) افضل الخلق .

(156) المائدة (5) : 3

(157) أ : نادم

(158) محمد بن ادريس الشافعي . أحد الأيمة الأربعة (767/150 — 819/204) . أنظر كحالة : 9 : 32 و EI IV : 261-63 Heffening

(159) أبو حنيفة النعمان بن ثابت . أحد الأيمة الأربعة (699/80 — 767/150) . أنظر : كحالة 13 : 104 و EI_2 I : 126-28 J. Schacht و EI I : 92-93 Juynboll

(160) أ : بحضوره

(161) تعالى ناقصة في ج

(162) « ونساءنا ونساءكم » ناقصة في ج

(163) آل عمران (3) : 61

الثاني : أنه أعلم والاعلم أفضل . أما أنه أعلم فلانه كان في غاية الذكاء والاستعداد للعلم والحرص في طلبه وكان في علم الفصاحة في الدرجة القصوى وعلم النحو انما ظهر منه وارشد أبا الاسود الدؤلي (164) إليه وكان (ص) في غاية الحرص في تربية علي (90) وارشاده وكان في صغره في حجر النبي (ص) وكون (193 وجه) التلميذ بهذه الصفات مع اتصاله بخدمة أستاذه في صغره والاستاذ لهذه الصفات يقتضي القطع ببلوغ التلميذ مبلغا عظيما في العلم . وأبو بكر (63) انما اتصل بخدمته عليه السلام في كبره وقيل « العلم في الصغر كالنقش على الحجر والعلم في الكبر كالنقش على (165) المدر » ولأن عليا (90) ذكر في خطبته من اسرار التوحيد والنبوة والقضاء والقدر واحوال المعاد ما لم يأت في كلام أحد من الصحابة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجميع الفرق تنتهي نسبتهم في علم الاصول إليه : المعتزلة (12) ينسبون أنفسهم إليه والأشعرية منتسبون إلى الاشعري (166) وكان تلميذ الجبائي (57) المعتزلي المنتسب إلى علي (90) . والاصوليون أفضل فرقة الأمة وأبو العباس (167) رئيس المفسرين كان تلميذا لعلي (90) وكان في الفقه في الدرجة العالية .

أمر عمر (121) برجم امرأة ولدت لسته أشهر فنبهه علي (90) بقوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » (168) مع قوله

---

(164) أبو الأسود الدؤلي : ظالم بن عمرو توفي سنة 688/69 . أنظر الاعلا 3 : 340م و EI : I : 307 Reckendorf (حيث يرد الرأي القائل بأنه (واضع علم النحو) وانظر أيضا : EI$_2$ I : 110 J. W. Fück

(165) ج : في

(166) أبو الحسن الأشعري (260/873 – 324/935) . أنظر كحالة 7 : 35 . و (المؤلف ؟) EI I 487-88 و EI$_2$ I : 715-16 M. Watt
وانظر أيضا مقال : اشعرية EI$_2$ I 717-18 W. M. Watt

(167) هو حبر الأمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي توفي سنة 68/687
أنظر الاعلام 4 : 228—229 و EI I : 19-20 F. Bühl و EI$_2$ I : 41-42 L. V. Vaglieri
وانظر أيضا أعلاه رقم 93

(168) البقرة (2) : 233

تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » (169) على أن أقل الحمل ستة أشهر . فقال : « لو لا علي (90) لهلك عمر » (121) .

وروي ان امرأة أقرت بالزناء وهي حامل فأمر عمر (121) برجمها فقال علي (90) : « إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على من (170) في بطنها » . فترك عمر رجمها وقال : « لو لا علي (90) لهلك عمر » (121) .

قلت : في هذه الحكاية وسكوت الفخر (171) عنها نظر لشهرة حديث مسلم (172) بقوله (ص) في المقرة له بأنها حبلى من الزناء « حتى تضعي ما في بطنك » الحديث فيها (173) .

وقال (ص) : « اقضاكم علي » (174) . والقضاء يحتاج إلى جميع العلوم فلما رجحه في القضاء لزم ترجيحه عليهم في كل العلوم وسائر الصحابة انما رجحه في علم واحد كقوله عليه السلام : « افرضكم زيد » (175) « وأقرؤكم ابن أبي » (176) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثالث : خبر الطير وهو قوله (ص) : ايتني بأحب خلقك إليك (193 ظهر) يأكل معي الطير . ولفظه في النهاية (2) انه عليه السلام اهدي له طير مشوي فقال : « اللهم ايتني بأحب خلقك إليك يأكل معي » وفي رواية :

---

(169) الاحقاف (46) : 15

(170) ج : ما

(171) فخر الدين الرازي . فقيه شافعي أصولي ميال إلى الإعتزال (543/1149 – 606/1210) أنظر EI_2 II : 770-73 G. Anawati وانظر لنفس المؤلف : فخر الدين الرازي تمهيد لدراسة حياته ومؤلفاته ص 193 – 225 من طه حسين . وانظر كحالة 11 : 79

(172) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري . من أيمة المحدثين صاحب الصحاح (204/820 – 261/875) . أنظر كحالة 12 : 234 و EI III : 808 A. J. Wensinck

(173) أنظر مسلم : حدود : 22 وانظر أيضا : الموطأ حدود : 5

(174) في البخاري وابن ماجة وابن حنبل . أنظر Wensinck

(175) في الترمذي وابن ماجة وابن حنبل . أنظر Wensinck

(176) في البخاري والترمذي وابن ماجة . أنظر Wensinck

ارسل إلي احب أهل الارض إليك » . فجاءه علي (90) واكل معه ذلك الطير (177) .

الرابع : في الاربعين (10) : روي أنه (ص) بعث أبا بكر (63) إلى خيبر (178) فرجع منهزما ثم عمر (121) فرجع منهزما فبات رسول الله (ص) مهموما فلما أصبح خرج إلى الناس ومعه الراية ثم قال : لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار فتعرض له المهاجرون والانصار فقال (ص) : أين علي ؟ فقيل : ارمد العينين . فتفل في عينيه ثم دفع الراية إليه . الحديث (179) . وكانت شجاعته اشد من شجاعة الصحابة كأبي دجانه (180) وخالد بن الوليد (181) .

وأجاب في الاربعين (10) عن الاول (182) بمنع كون المراد من المولى ليس هو الناصر قوله المراد والاية خاصة والمولى بمعنى الناصر عام .

قلنا : العموم والخصوص في الآيتين إنما جاء من الاطلاق بالوصف الخاص لا من اختلاف المراد . ثم ما ذكرتم على أن المراد المولى بمعنى المتصرف معارض بأنه لو كان المتصرف هو المراد لدل على امامة علي (90) حال حياته (ص) وبأن قوله : « الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون

---

(177) في هذه الأخبار التي تبالغ في الاشادة بعلي أنظر كتب الشيعة بصفة عامة... أنظر نموذجا من الاشادة بعلي واعتباره مصدر كل العلوم في منهاج الكرامة في معرفة الإمامة للحلي المتوفي سنة 1325/726 . أنظر مقال : Laoust
La critique du sunnisme dans la doctrine d'al-Hilli, REI, (أنظر خاصة ص : 46
1966, pp. 35-60
وانظر أيضا : الجاحظ : العثمانية : Arabica, 1956

(178) في أمر خيبر بصفة عامة أنظر : EI II : 921-22 A. Grohmann

(179) أنظر خبر بعثة علي لهذه الغزوة بعد فشل أبي بكر وعمر فيها في سيره ابن هشام ج 3 : 385 — 386 . وانظر أيضا : Laoust : REI, 1962, pp. 7-26 Le rôle de Ali...
خاصة ص 17 : La conquête de Khaibar)

(180) أبو دجانه سماك بن خرشة . صحابي اشتهر بشجاعته توفي سنة 632/11 أنظر الاعلام 3 : 202 — 203

(181) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القائد الملقب بسيف الله . توفي سنة 642/21 أنظر الاعلام 5 : 341 — 342 و EI II : 930-31 K. V. Zettersteen

(182) من احتجاجات الشيعة (أنظر أعلاه)

الزكاة وهم راكعون » (183) خمسة ألفاظ من صيغ الجمع فكيف يحمل على الشخص الواحد .

وقرره في النهاية (2) فقوله : إن الله قسم المؤمنين قسمين أحدهما المخاطبون بقوله : « إنما وليكم الله ورسوله » (138) . والبعض الآخر من المؤمنين لأنه ليس بعد هؤلاء الا (184) الكفّار .

فمطلق الولاية بمعنى النصرة ثابت لكل واحد من المؤمنين لأ نه يستحيل كون الإنسان ناصرا لنفسه كما ان زيدا وعمرا (185) إذا كانا أخوين فمطلق الاخوة ثابت لكل واحد منهما ولكن اخوة زيد غير ثابتة لهما لان زيدا لا يكون أخا لنفسه (194 وجه) .

وعن الثاني (182) بمنع صحة الخبر وقبول الامة قبول ظن لا يفيد القطع ثم لا نسلم ان المولى يحتمل الأولى (186) إذ لا يقوم كل واحد من اللفظين مقام الاخر إذ يقال هذا : « أولى من ذلك » ولا يقال : « هذا مولى من ذلك » . ويقال : « هذا مولى فلان » ولا يقال : « هذا أولى فلان » . سلمناه فلم يحمل عليه وما ذكروه دليل ظني فلا يقبل في القطعيات .

وعن الثالث (182) : فأنه خبر واحد ويمنع (187) عموم : « انت مني بمنزلة هارون (147) من موسى (148) » (149) . وحسن الاستثناء معارض بحسن الاستفهام وإدخال (188) لفظ كل وبعض واجب .

---

(183) لم نجد في Wensinck إلا حديثا بهذه الصيغة : « من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة » يحيل Wensinck على البخاري وابن حنبل

(184) « لا » ناقصة في ج

(185) أ : أن زيد وعمروا

(186) ب : الأول

(187) ب : وبمنع

(188) ج : واذا

واجاب عن الرابع (182) في النهاية (2) بأن هذه الاحاديث اخبار آحاد لا تفيد اليقين وكل فريق يطعن فيما يرويه مخالفه .

واجاب عن الخامس (182) بما تقدم (189) من عدم وجوب العصمة والتنصيص على الامامة وعدمه في حق أبي بكر (60) .

في النهاية (2) امر (ص) انسانا ان يبشر أبا بكر (60) بالجنة والخلافة بعده .

وروى جبير بن مطعم (190) ان امرأة اتت رسول الله (ص) فكلمته في شيء فأمرها ان ترجع إليه . قالت : فإن لم أجدك ـ تعني (191) الموت ـ فقال : إن لم تجديني فأبا بكر (60) . وقال اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر (60) وعمر (121) .

واجاب الامدي (4) عن السادس (182) : بأن التنصيص وإن كان ابلغ فليس مانعا من صحة الاختيار وإليه يرجع جواب الأربعين (10) .

وجواب البيضاوي (38) بأنه لعله كان اصلح (192) بعيد لوضوح ملزومية التنصيص نفي فتن الاختلاف . وإذا قال بعضهم : سبب الفتن بين الصحابة (193) جعل عمر (121) رضي الله عنه الامر شورى في الستة .

واجاب (194) عن السابع (182) في الاربعين (10) بمنع كون الافضل عليا (90) بل الافضل أبو بكر (60) .

---

(189) أنظر أعلاه

(190) أبو عدي جبير بن مطعم صحابي قرشي راوية حديث توفي بالمدينة سنة 779/59 أنظر الاعلام 2 : 103

(191) ج : تقي

(192) يشير الى جواب البيضاوي على قول الشيعة بالتنصيص وهي النقطة الخامسة في الطوالع . قال البيضاوي : « وعن الخامس ان تفويض الامر الى المكلفين كان أصلح » أنظر : طوالع ص 478/234

(193) أ و ب : الفتن الصحابية

(194) هذا الجواب عن الاحتجاج السابع ناقص في ج

تتميم : وفي صحة انعقادها لمفضول مع وجود افضل منه نقلا أبي منصور (195) عن الاسفرائيني (196) متوقفا في افضلية عثمان (100) على علي (90) وعن الشيخ أبي الحسن (166) قائلا : لا تنعقد لمفضول مع أفضل منه . أبو (194 ظهر) منصور (195) لو تساوى اثنان تعين من سبق عنده (197) . فلو عقد لكل منهما من يصلح للعقد في وقت واحد ففي فسخ عقديهما لاستئناف لاحدهما أو يقرع منهما (197 مكرر) بينهما قولا شيخنا (198) والقلانسي (199) .

المازري (58) : قال الاحق منهما من عقد له أهل بلده ان انفرد احدهما بذلك . قال وفي اختصاص أهل بلد الامام بتوليته دون غيرهم لاختصاصهم بعلم حاله وسرعة توليته اختلاف واشار بعضهم إلى أنه احوط لا واجب شرعا (200) .

---

(195) الارجح انه أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (توفي سنة 1038/429)
أنظر كحالة 5 : 309 و EI₂ I : 936 Triton و (المؤلف ؟) EI I : 582
أنظر ملاحظات Allard حول كتاب أصول الدين للبغدادي (الذي لم نتمكن من الاطلاع عليه) وخاصة تحليله للقسم الخاص بالتوحيد من الكتاب (Les attributs ص 319 – 342) يبدو لنا أن ابن عرفة يأخذ عن هذا الكتاب أنظر أسفله ما ينسبه لأبي منصور فيما يتعلق بأسماء الله خاصة وقارنه بما يقوله Allard في الموضوع .

(196) الارجح انه أبو اسحاق ابراهيم الاسفرائيني . فقيه شافعي توفي بنيسابور سنة 1027/418
أنظر كحالة 1 : 83 و GAL SI : 667

(197) أنظر الماوردي ص 7–8 فصل : واذا عقدت الامامة لإمامين .

(197 مكرر) أنظر الماوردي ص 8 حيث ينفي مبدأ القرعة

(198) الارجح انه يقصد أبا الحسن الاشعري أنظر تعليق رقم : 166

(199) الارجح انه ابراهيم بن عبد الله أبو اسحاق القلانسي فقيه عالم بالكلام توفي حوالي سنة 970/359 . ينسب اليه كتاب في الامامة . أنظر كحالة 1 : 54 . أنظر أيضا فيما يتعلق ببعض الاحتمالات الاخرى ما يقوله Allard عن أحد حاملي هذا الاسم من اساتذة الاشعري : Attributs ص 135 – 139

(200) جاء في المعلم للمازري (117 وجه – 117 ظهر) في صدر الكلام عن الحديث : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما : قال الشيخ رحمه الله : العقد للامامين في عصر واحد لا يجوز وقد أشار بعض المتأخرين من أهل الاصول الى أن ديار المسلمين اذا اتسعت وتباعدت وكان بعض الاطراف لا يصل خبر الامام ولا تدبيره حتى يضطروا الى إقامة إمام يدبرهم فإن ذلك يسوغ لهم . ويحمل هذا الحديث على أن الثاني امتنع من العزلة ودعا الى طاعته حتى صار ذلك سببا للفتنة وشق العصا فإنه يقاتل لينخلع وإن ادى قتاله الى قتله ولو كان عقد لهما ولم يعلم الأول لم يستحق احدهما الاستبداد بالأمانة لجواز أن يكون هو الثاني والعقد له باطل ويكون كمسألة المرأة زوجها وليها من رجلين ولم يعلم الأول منهما فإنه لا يثبت نكاح أحدهما إذا لم يقع دخول

قلت : نحوه قول الفقهاء انما يعدل الرجل اهل محلته .

قال : ومن ثبتت (201) امامته وجبت طاعته واتباعه في اجتهاده ومذهبه فيما ليس بمعصية فإن تغيرت حاله بكفر واضح خلع وببدعة كالاعتزال (12) فإن دعا إليها لم يطع فإن قاتل قوتل وان لم يدع إليها فعلى تكفيره يخلع وعلى تفسيقه في خلعه ان امكن دون اراقه دماء وكشف حرم مذهبان : الأولى خلعه وان تغيرت يفسق كالزاني وشرب الخمر فإن قدر على خلعه دون سفك دماء ولا كشف حرم ففي وجوبه أولى قولا الشيخ (166) وثانيهما مع كثير من أهل السنة والقاضي (202) مستدلا بالاحاديث (203) .

قلت : وهو قول ابن عمر (204) في عدم الخروج من ولاية يزيد (205) في جيش الحرة (206) حسبما ذكره مسلم (172) في صحيحه . والاول قول عبد الله بن الزبير (207) في القصة كما ذكره المؤرخون .

المازري (58) : والنقص البدني المانع من النظر الكلي الميؤوس من زواله كالجنون يوجب خلعه وان أوجب تقصير نظره كالعمى والخرس والصمم وفي وجوب خلعه بذلك .

ثالثهما (208) ان لم يمكنه الكتب والقراءة ويمنع ابتداء توليته اتفاقا . ولو ذهبت رجلاه ويداه فقال بعض العلماء يخلع . ولو ذهبت احدى يديه

---

(201) ج : ثبتت

(202) هو القاضي أبو بكر الباقلاني الأشعري (338/950 — 403/1013) . أنظر كحالة 10 : 109 — 110 و EI₂ I : 988 M. C. Carthy و EI I : 616 Brockelmann

(203) أ : بالآحاد

(204) هو أبو عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطاب . توفي حوالي سنة 73/692 . أنظر الاعلام 4 : 246

(205) يزيد بن معاوية الخليفة الاموي الثاني (25/645 — 64/683) أنظر الاعلام 13 : 238 و EI IV : 1226-27 H. Lammens

(206) موقعة الحرة بالقرب من المدينة كانت سنة 63/683 . انظر EI₂ III : 233-34 L. V. Vaglieri

(207) عبد الله بن الزبير بن العوام (1/622 — 73/692) . أنظر الاعلام 4 : 218 وأنظر EI I : 33-34 Soligsohn و EI₂ I : 56-57 H. A. R. Gibb

(208) ب و ج : ثالثها

أو رجليه ففي وجوب خلعه خلاف . بخلاف جدع الانف واختلف في جواز العقد له (209) .

وفي المعالم (115) اتفق أهل الحل والعقد (195 وجه) على امامة علي (90) وطعن أهل عسكر معاوية (210) في امامته لانه ما اقام القصاص على قتلة عثمان (100) وطعن الخوارج (24) برضاه بالتحكيم وذلك يدل على كونه شاكا في امامة نفسه ثم انه مع الشك اقدم على عمل الامامة وهو فسق .

ورد الأول بأن شرائط القصاص تختلف باختلاف الاجتهادات فلعله لم يؤد اجتهاده إلى ثبوت .

والثاني بانه انما رضي بالتحكيم لما رأى من قومه من الضعف والقلة (211)

الغزالي (212) والفهري (213) : النظر (214) في الامامة ليس من العقليات ولا المعتقدات انما هو من الفقهيات (215) .

قلت : حديث « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (216) وحديث « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » (217) يشير لكونه من المعتقدات .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(209) أنظر الماوردي ص 16 .

(210) معاوية بن أبي سفيان . مؤسس الدولة الأموية . توفي سنة 680/60
أنظر الأعلام 8 : 172 — 173 و EI III : 659-63 H. Lammens

(211) لم يتبع ابن عرفة في هذه الفقرة لفظ الرازي ولكنه أتى بأهم ما يوجد في المسألة التاسعة من المعالم . أنظر المعالم ص 179 — 181

(212) أبو حامد الغزالي . فقيه شافعي أشعري (1058/450 — 1111/505)
أنظر كحالة 11 : 266 و EI_2 II : 1062-66 W. M. Watt و EI II : 154 Mocdonald
فيما يتعلق بنظرياته السياسية أنظر خاصة : Laoust : La politique de Gazali

(213) لما نتمكن من التعرف عليه من بين الكثيرين الحاملين لهذه النسبة

(214) ج : والنظـر

(215) يقول الغزالي في باب الامامة من كتاب الاقتصاد : « النظر في الامامـة أيضا ليس من المهمات وليس أيضا من فن المعقولات فيها بل من الفقهيات » ص 104

(216) أنظر مسلم : امارة 58

(217) أنظر النسائي : تحريم 28

المسألة الخامسة : في صحة التفضيل بين الصحابة ومنعه قول الأكثر (218) ونقل المازري (58) عن فرقة . وعلى الأول ففي كون افضلهم أبا بكر (60) أو عمر (121) أو عليا (90) رابعها العباس (93) . للمازري (58) عن أهل السنة والخطابية (219) والشيعة (23) والراوندية (92) .

وفي المدونة : سئل مالك (220) عن خير الناس بعد النبي (ص) فقال أبو بكر (60) ثم عمر (121) ثم قال : « أو في ذلك شك ؟ » . قيل فعلي (90) وعثمان ؟ (100) قال : ما أدركت احدا يقتدي به يفضل احدهما على صاحبه ويرى الكف عن ذلك (221) .

ونحوه قول أبي المعالي (222) : أبو بكر (60) ثم عمر (121) وتتخالج (223) الظنون في عثمان (100) وعلي (90) .

وعزا في الاربعين (10) الاول لقدماء المعتزلة والثالث لاكثر متأخريهم (224) . ابن رشد (225) : الحق ان أفضل الصحابة أبو بكر (60) ثم عمر (121) ثم عثمان (100) ثم علي (90) وروي هذا عن مالك (220) . وروي عنه الوقوف عن تفضيل بعضهم على بعض .

---

(218) الاكثر : لم نتمكن من التعرف عليه

(219) الخطابية : أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي (فهرس)

(220) مالك بن أنس . أحد الأيمة الاربعة (93/712 — 179/795)
أنظر كحالة 8 : 168 و EI III : 218 J. Schacht

(221) لما نتمكن من العثور على هذا الحكم في المدونه . على أن رأي مالك هذا مشهور وقد صيغ في روايات مختلفة ومتقاربة . يضيف لابي بكر وعمر في بعض الروايات عثمان ثم يسوي بين الناس . أنظر المدارك :174—175—385—512 ومالك لابي زهرة ص 189 — 191

(222) أبو المعالي الجويني امام الحرمين (419/1028 — 478/1085) أنظر كحالة 6 : 184
و EI_2 II : 620-21 Brockelmann/Gardet و EI I : 1100 Brockelmann

(223) أ : تتخالع . ب : تتحاكم

(224) أنظر : Pellat : L'amamat...

(225) الأقرب انه ابن رشيد الحفيد الفيلسوف أبو الوليد محمد بن أحمد (520/1126 — 595/1197)
أنظر كحالة 8 : 313 و 13 : 417 وانظر أيضا : EI II : 435-38 Carra de Vaux
و EI_2 III : 934-44 R. Arnaldez

والثالث ما في المودنة . والأول هو الذي يعتمد عليه من قوله . وفي كون التفضيل قطعيا أو ظنيا قولان لجماعة والقاضي (202) وللاشعري (166) ميل للأول . ونحوه جواب مالك (220) لسائله : «أو في ذلك شك ؟» (195 ظهر) . وفي كون التفضيل ظاهرا فقط أو باطنا قولا العلماء وتعويل القاضي (202) ونص الغزالي (212) على الاول .

وفي كون فاطمة (130) افضل من عائشة (226) وعكسه ثالثها وقف الاشعري (166) .

وعن الامدي (4) : الاول للشيعة (23) والثاني لاهل السنة .

احتج غير واحد لافضلية أبي بكر (60) بأنه اتقى لقوله تعالى : «وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى» (227) والمراد أبو بكر (60) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي (228) الاربعين (10) : قاله أكثر المفسرين ولان افضل الخلق بعد رسول الله (229) (ص) أبو بكر (60) أو علي (90) اجماعا . وليس المراد عليا (90) لأن في وصف الاتقى «وما لاحد عنده من نعمة تجزى» (229 مكرر) وللنبي (ص) عند علي (90) نعمة (230) تربية وشرابه وهي نعمة تجزى وليس له (ص) عند أبي بكر (60) الا نعمة الارشاد وإنها لا تجزى لأنه تعالى حكى عن الانبياء عليهم السلام انهم كانوا يقولون لقومهم : «لا اسألكم عليه أجرا» (231) «إن اجري الا على رب العالمين» (231 مكرر) . وكل

---

(226) عائشة : أنظر أعلاه تعليق رقم 103
وفي المفاضلة بين عائشة وفاطمة أنظر : المفاضلة ص 215 — 216

(227) الليل (92) : 17

(228) ب و ج : قال وفي الاربعين

(229) أ : بعد (ص) . ب : بعده (ص)

(229 مكرر) : الليل (92) : 19

(230) أ : والنبي (ص) عنده على علي نعمة

(231) الشورى (42) : 23

(231 مكرر) : الشعراء (26) : 109 — 127 — 145 — 164 — 180 (وتبدأ : ما اسألكم عليه اجرا....)

اتقى هو اكرم عند الله لقوله (232) تعالى : « إن اكرمكم عند الله أتقاكم » (233) .

واحتج في المعالم (115) بقوله (ص) : « والله ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من أبي بكر (60) » (234) .

قلت : لا يلزم من كون نفي غيره افضل منه كونه افضل منه . واجاب بعضهم بأنه لا قائل بالمساواة .

وفي المعالم (115) : « عمومات القرآن واخبار دالة على وجوب تعظيم الصحابة رضي الله عنهم والاخبار الخاصة واردة بتفضيل طلحة (101) والزبير (102) وعائشة (103) والواقعة محتمله لوجوه كثيرة والمحتمل لا يعارض بالظاهر . وعن عمر بن عبد العزيز (235) : تلك دماء طهر الله ايدينا عنها فلا نلوث ألسنتنا بها » (236) .

ونحوه للامدي (4) قائلا : أنكر بعض أهل الاسلام فتن الصحابة وحصر عثمان (100) وقتله ووقعة الجمل (237) وصفين (238) كالهاشمية (57) من المعتزلة (12) وهذا كإنكار ما ثبت ضرورة . والمثبتون منهم من وقف عن التصويب والتخطئة وهم طائفة من (196 وجه) أهل السنة . وفسق الفريقين اصحاب عمرو بن عبيد (239) وفسق احد الفريقين لا بعينه اصحاب (240)

(232) أ : كقولـه

(233) الحجـرات (49) : 13

(234) المعـالم ص : 178

(235) خليفة أموي اشتهر بعدله وتقواه . لقب بالفاروق الثاني (حوالي 61/681 — 101/720) أنظر الاعلام : 5 : 209 و EI III : 1044-46 K. V. Zettersteen

(236) المعالم (المسألة العاشرة) : 181 — 182 مع بعض الاختلافات الطفيفة : ... في تفضيل طلحة ونقلا عن عمر.... طهر الله منها أيدينا... نلوث بها السنتنا »

(237) أنظر في موقعـة الجمـل : EI_2 II : 424-427 P. V. Vaglieri

(238) أنظر في موقعـة صفيـن EI IV : 422-25 F. Buhl

(239) أ : عمر بن عبيد . عمرو بن عبيد أحد أعلام الاعتزال البصريين (80/699 — 144/761) أنظر كحالة 8 : 9 و EI_2 I : 467 W. M. Watt و (المؤلف ؟) EI I . 341

(240) أ : أصـل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واصل بن عطاء (241) . والشيعة (23) فسقت قتلة عثمان (100) ومقاتلي علي (90) وكذا كل من خرج على من اتفق على امامته . لكن اختلفوا فمنهم من قال : لا تبلغ التخطئة إلى حد التفسيق كالقاضي أبي بكر (202) ومنهم من قال بالتفسيق كالشيعة (23) وكثير من اصحابنا .

الامدي (4) : الخارج على الامام ان كان مجتهدا متأولا فالظاهر عدم فسقه لخطئه (242) وان لم يكن كذلك فلا خلاف في فسقه .

قلت : والصواب قول الارشاد (243) : كثرت المطاعن على ايمة الصحابة وافترى الروافض (89) . والمعتقد (244) ان جملة الصحابة شهدت نصوص القرآن بعد التهم والثناء عليهم . فإن نقل قادح فليبين طريقه إن ضعف رده وإن ظهر وكان احادا لم يقدح فيما نقل تواترا ثم ينبغي ان لا تألو جهدا في حمل كل ما نقل على وجه الخير ولا يكاد ذو دين يعدم ذلك . هذا هو الاصل المغني عن التطويل (245) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتميمات :

اشار الغزالي (212) إلى عدم مسيس الحاجة إليها في مصنفات الاعتقادات .

الاول : التوبة : في الارشاد : « هي الندم على المعصية لاجل ما يجب الندم له » (246) . وزاد الامدي (4) : مع العزم على الا يعود لمثله ان امكنه

---

(241) واصل بن عطاء الغزال ، من أيمة الاعتزال (80/700–131/748) .
أنظر الاعلام 9 : 121–122 وكحالة 13 : 159 و Wensinck 88–1187 : : EI IV

(242) ج : بخطئه .

(243) في هذه الفقرة يحوصل ابن عرفة فصل « في الطعن على الصحابة » من الارشاد ص 432–433 مستعملا في الكثير من الاحيان نفس جمل الارشاد .

(244) ج : والمعتمد .

(245) انظر في ذلك أيضا : مقالات الاسلاميين : ما حدث من الاختلاف بين المسلمين I : 39 و« اختلفوا في أفضل الناس بعد الرسول على خمسة اقاويل » I : 131 . وانظر « اللمع » « باب الكلام في الامامة » حيث يثبت فضل أبي بكر وإمامته ص 81–83 وانظر آخر ابواب«الابانة » . باب الكلام في امامة أبي بكر الصديق ص 71–74 .
وانظر حوصلة عامة لهذا الموضوع في Schismes : 427–430 .

(246) انظر : باب التوبة . الارشاد ص 401 .

كتوبة الزاني السليم لا المجبوب . لا يشترط في توبة هذا العزم خلافا لابي هاشم (57) في قوله : لا يتصور توبته لعدم (247) توبة ذي مرض مخوف اجماعا .

قلت : وفيه نظر لنفي الامكان في المجبوب وثبوته (248) في المريض . وقول أبي هاشم (57) هو الجاري على المشهور في الحالف بالطلاق لو كنت حاضر الشرك مع أخي لفقأت عينك (249) إن إعتبرنا العدم لذاته وإن اعتبر لترك المعزوم عليه فحصوله في المجبوب اتم .

قلت : وكان الندم عندهما بديهي التصور وفيه نظر والاقرب أنه تألم نفس الفاعل لكرهه ما فعله ومراده بما يجب الندم له (196 ظهر) المنهي (250) عنه وبه يخرج الندم على المعصية لتألمه بها كشرب خمر (251) ا ذى شاربه فندم لاذايته .

وفي المعالم (115) عن الفلاسفة : « المعصية انما توجب العذاب من حيث ان حب الجسمانيات اذا بقي في النفس بعد مفارقتها البدن فهي حينئذ (252) لا يمكنها الوصول إلى المحبوب فحينئذ يعظم البلاء . والتوبة عبارة عن اطلاع النفس على قبح هذه الجسمانيات فإذا ثبت هذا الاعتقاد زال الحب وحصلت النفرة (253) فبعد الموت لا يحصل العذاب بسبب العجز عن وصولها إليه » (254) .

---

(247) أو ج : لصحة .

(248) أ : وترتبه .

(249) أ : عينيك .

(250) أ : النهي .

(251) ج : الخمر .

(252) المعالم ص 151 : « ... بعد مفارقة البدن ولا يمكنها الوصول إلى المحبوب ... وإذا حصل هذا الاعتقاد ... العجز عن وصولها إليه » .

(253) ج : التفرقة .

(254) المعالم من الباب التاسع في أحوال القيامة . أنظر المسألة الثامنة عشرة ص 150–151 . بعض الاختلافات (انظر اعلاه رقم 252) .

الفهري (213) : هذا بناء على نفـي المعاد الجسماني .

في الارشاد (255) : لا يجب على الله قبولها لنفـي مطلق الوجوب عليه ولو سلم بالعقل لا يوجب ترك مؤاخذة الظالم بظلمه ولو اقلع عنه والاجماع على الرغبة لله تعالى في قبول التوبة دليل عـدم وجوبهـا وتجب العبـد بالسمع إذ لا موجب سواه .

المازري (58) وغيره : وجوبها فورى (256) . وفي كون قبولهـا متوفرة الشروط قطعيا أو ان كانت من كفر والافظنـي قولان لاطلاق قول (257) المعالم (115) . « هـي مقبولة قطعا لقوله تعالى : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده (258) » . (259) » .

وقول الارشاد مع المازري (58) وغير واحد : ان قبولها من الكفر قطعـي (260) ومن غيره قولان للعلماء . فنص المعالم (115) الندم على ما منه التوبة ملزومة لتركه في الحال .

قلت : كتوبة الغاصب المتلبس بالغصب وشارب الخمر .

ونقل المسيلي (261) في تذكرته : صحتها في الغصب مع بقاء المغصوب بيد غاصبه التائب لا اعرفة . وخلاف نقل المعالم (115) والارشاد (262) قال

(255) انظر الارشاد : باب التوبة . فصل في قبول التوبة ص 403 .
(256) انظر بحث المازري في التوبة . المعلم 163 ظهر .
(257) ج : لاطلاق المعالم .
(258) الشورى (42) : 25 .
(259) المعالم . الباب التاسع . المسألة الثامنة عشرة ص 150—151 .
(260) انظر الارشاد . فصل : هل ايمان الكـافر توبة ص 408—409 .
(261) هو الحسن بن علي المسيلي . فقيه اصولي متكلم توفي حوالي سنة 1185/580 ببجاية . من تـآ ليفه : التذكرة في أصول الدين .
انظر كحالة 3 : 262 .
(262) يلمح الرازي إلى أشياء من هذا القبيل ولكن النص المنقول بعيد عن كلامه . انظر المعالم ص 151 . ويحوصل ابن عرفة هنا فصل وجوب التوبة من الارشاد ص 404—405 .

فيه المتوب منه ما تمحض حقه لله صحت التوبة فيه دون مراجعة غيره وما تمحض حقه للعبد لم يصح فيه دون الخروج عنه كغاصب شيء لا يصح الندم (263) عليه مع بقاء يده عليه وما فيه شركة كقتل النفس عمدا تصح في حق الله دون تمكينه نفسه من القصاص وعدم منع (264) تمكينه معصية يستقل بتوبته منها وما له من متوب (197 وجه) منه عوض من قضاء وقصاص وعزم عوض ومحالة في صحتها دون فعل عوضه قولان للاكثر (218) ونقل عياض (265) عن ابن المبارك (266) من شرطها قضاء حقوق الله والخروج عن مظالم العباد فلعله يريد شرط كما لها لا صحتها . قال وفي شرطها بتجديد الندم كلما ذكر الذنب قولا ايمتنا .

قلت : هما (267) قول القاضي (202) والامام (222) . في الارشاد (265 مكرر) ناقلا عنه ان لم يجدد الندم كان معصية لا ابطالا لتوبته وظاهر لفظ عياض (265) بطلانها بعدم تجديدها (268) وفي صحتها من ذي اصناف ذنوب تاب من بعضها مع اصرار على بعضها .

نقل الارشاد عن اصحابنا وأبي هاشم (57) مع اتباعه وظاهر قول الفهري(213) شرطها بتوبته عن المساوي او الاذى في القبح الشرعي لا العكس .

في الارشاد (269) : « اجماع الامة على ان الكافر اذا اسلم وتاب عن

---

(263) ج : الندب .

(264) أ : عدم مع .

(265) هو القاضي عياض بن موسى صاحب المدارك (476/1083–544/1149) . انظر مقدمة محمد الطالبي في تراجم اغلبية .

(266) الارجح انه محمد بن المبارك الزيات من اصحاب سحنون . تولى قضاء مظالم القيروان وتوفي سنة 873/260 . انظر تراجم اغلبية ص 333 ترجمة رقم 110 .

(267) أ : هو

(267 مكرر) انظر الارشاد فصل في تجديد الندم ص 407–408 حيث ينقل الجويني عن الباقلاني .

(268) أ : تجديده .

(269) انظر الارشاد فصل « التوبة عن البعض دون البعض » ص 405–407 . ينقل هنا عن الارشاد ص 406 مع اختلاف طفيف : « ومذهب أبي هاشم انه ... والتزام احكام لوزر ... وهذا خروج ... » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كفره صحت توبته وان استدام زلة واحدة . وقول أبي هاشم (57) لا تصح توبته وهو بعد اسلامه ملتزم لوزر كفره وهو خروج عن اجماع المسلمين » .

قال (270) : فإن قيل التوبة عن الذنب انما هي لقبحه وقبحه عام في كل ذنب فتصور الندم على قبح مع الاصرار على قبح ممتنع . اجيب بمنع امتناعه وا لا لما صحت طاعة لحسنها مع ترك مثلها .

قلت : عموم تعلق الندم بالكل متيسر عادة وعموم تعلق الفعل بالكل متعذر أو متعسر . والصواب جواب الفهري (213) : ملزوم عموم الندم (271) في كل مساو أو اعظم لا في الادنى كالندم على الزناء بأجنبيه يستلزم شموله في ذات محرم والندم على قتل انسان لا يستلزمه في قتل هدهد أو صرد (272) .

في الارشاد من صحت توبته لم تبطل بمعاودته ما منه تاب (273) .

الثاني (274) : في كون الاسم المسمى طرق (274 مكرر) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الارشاد (275) : في كون الاسم حقيقة في اللفظ الدال على المفهوم منه أو فيه قولا المعتزلة (12) وقول أهل الحق . وعلى الأول قالوا لم يكن للباري اسم ازلا لنا قوله تعالى : « سبح اسم ربك الاعلى » (276) (197 ظهر) والمراد ذات الرب لا لفظ الذكر . و« ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها » (277) ومعبدوهم الاصنام لا الالفاظ الدالة عليها . وتمسكهم

(270) يقصد الجويني في الارشاد . يحوصل هنا آخر فصل : « التوبة عن البعض دون البعض » . انظر ص 406–407 .
(271) أ : الندب .
(272) أ : هو هذا وصرد .
(273) انظر الارشاد فصل توبة العائد للذنب ص 409 .
(274) من هذه التتميمات التي بدأها اعلاه بالتوبة .
(274 مكرر) في هذه المسألة بصفة عامة انظر Attributs
(275) يحوصل ابن عرفة في هذه الفقرة ما جاء في « الكلام في التسمية والاسم » من قسم « القول في اسماء الله تعالى » . انظر الارشاد ص 141–142 .
(276) الأعلى (8) : 1 . الا على ناقصة في ب وج .
(277) يوسف (12) : 40 .

بحديث : « إن لله تسعة وتسعين اسما » (278) وتعدد الذات محال رد بأن هنا على التسمية مجاز وبأن تعدد الصفات نفسية أو غير نفسية محال .

المقترح (279) : الحق قول الاستاذ أبي منصور هو مشترك بينهما .

النهاية (2) : مشهور قول اصحابنا : الاسم المسمى والمعتزلة (12) : التسمية .

الغزالي (212) : غيرهما . وطوّل الناس فيها وهي عندي فضول . الاسم قد يكون غير المسمى كلفظ وهو مغاير لحقيقة الجدار ضرورة وقد يكون نفس المسمى كالاسم بأنه موضوع للفظ الدال على المعنى المجرد عن الزمان . ومن جملة تلك الالفاظ لفظ اسم فيكون الاسم اسما لنفسه من حيث هو اسم . فهاهنا الاسم والمسمى واحد .

الامدي (4) : وافق بعض المتأخرين من اصحابنا المعتزلة (12) . ومما تمسك به اصحابنا ان الامة (280) مجمعة قبل ظهور هذا الخلاف على ان الاسماء الحسنى كانت ثابتة ازلا . لو كانت الاسماء المتسميات لكانت قديمة أو لما كانت الاسماء الحسنى قديمة وكلاهما محال .

قلت : هذا الاجماع يبطل نقل النهاية (2) عن قدماء الفلاسفة انكار امكان ان يكون لذاته اسم .

---

(278) في البخاري ومسلم وابن ماجة . انظر Wensinck

(279) هو تقي الدين المظفر بن عبد الله المصري الشافعي المعروف بالمقترح . فقيه أصولي متكلم (1135/529 – 1215/612) . أنظر كحالة 12 : 299 و 946 : GAL SII يكثر ابن عرفة في مؤلفه هذا من ذكر اسمه ويذكر في بعض الاحيان مؤلفه الاسرار (أ : 135 ظهر و 144 ظهر...) والارجح انه الاسرار العقلية في الكلمات النبوية الذي ذكره بروكلمان (فاس قروين 1609)

(280) أ : ولا تمسك به لأصحابنا لأن الأمة

في الارشاد (281) : عن الشيخ (166) : « من اسمائه ما يقال انه هو وما دلت التسمية به على وجوده . ومنها ما يقال أنه غيره وهو ما دلت التسمية به على فعل كالخالق (282) . ومنها ما لا يقال فيه احدهما : انه هو ولا يقال أنه غيره (283) وهو ما دلت التسمية به على صفة قديمة كالعالم والقادر (284) . وقال بعض ايمتنا إن (285) كل اسم هو المسمى بعينه » .

قال : فالخالق اسم للذات لا للخلق . والمرتضى الاول (286) لان الخالق من له الخلق ولذا قال ايمتنا (287) : « لا يتصف الباري (288) تعالى في ازله بكونه خالقا » وجميع اسمائه اما دال على الذات أو على (289) الصفة أو الفعل أو نفي ما ينزه (290) عنه (291) .

الامدي (4) والارشاد (198 وجه) واللفظ للامدي (4) : مأخذ جواز تسميات الرب تعالى اطلاق الشارع لاسم العقل ولا قياس والا كانت التسمية بفقيه وعاقل لصحة هذه التسميات في حقه وهي العلم والفقه أولى من تسميته بالمكر (292) والخديعة والكيد والوكيل مع اشكال ظاهرة فما ورد به الشرع جار وما منع منه منع وما لم يرد فيه احدهما منعه بعض اصحابنا (11) .

(281) أنظر الارشاد : فصل معاني أسماء الله تعالى ص 143 . يأخذ الجويني هذا التقسيم عن شيخه أي عن أبي الحسن الأشعري . أنظر في نفس الموضوع : اللمع : الباب الاول : باب الكلام في وجوب الصانع وصفاته .

(282) أ و ب : على وجوده . الارشاد ص 143 : ...كالخالق والرازق

(283) أ : ومنها ما يقال انه هو . ج : يقال فيه احدهما

(284) أ : كالعــالم .

(285) أ : أيمتنا كل . الكلام ما زال للجويني . الارشاد ص 143 لكن ابن عرفة يتصرف فيه اكثر

(286) أي « طريقة شيخنا » كما يقول الجويني . الارشاد ص 144

(287) الارشاد ص 144

(288) أ : لا يتصف تعالى

(289) أ و ج : أو الصفـة

(290) ج : ما يميــزه

(291) حوصلة لفقرة من الارشاد ص 144

(292) أ : بالمكــروه

والصواب الوقف لا الحكم بالمنع وشرط العمل بالوارد ظهور دلالته لا قطعيتها خلافا لبعض اصحابنا (11) .

المقترح (279) : الصحيح في شرط العمل بالوارد فيه صحته لا تواتره . قال : وقال بعضهم (293) ما لم يرد فيه اذن وهو غير موهم معنى يستحيل عليه جاز وما أوهم منع .

قلت : وعليه شاع وذاع في كلامهم اطلاق واجب الوجود وصانع العالم وظاهر ما تقدم للامدي (4) من قوله بالمكر والخديعة والكيد جواز اشتقاق الاسم مما ورد فعلا وظاهر قول غيره قصره على لفظ ما ورد .

الثالث (274) في الارشاد (294) : الوصف قول الواصف والصفة مدلول الوصف وسوّى المعتزلة (12) بين الوصف والصفة فالتزموا بدعة شنعا . قالوا لم يكن للباري تعالى صفة ولا اسم ازلا فإن الاسم والصفة اقوال المسمين (295) والواصفين ومن قال لم يكن له ازلا صفة الاهية فارق الدين واجماع المسلمين .

الرابع (274) : الاجل عرفا : منتهى زمن الحياة فمن قتل اجله وقت قتله لا غير وهو ما علم الله موته فيه .

الارشاد : وقال كثير من المعتزلة (12) لو لم يقتل بقي مدة والقاتل (296) قطع اجله بقتله . وقال آخرون : لو لم يقتل مات حتف انفه وكلاهما باطل لان اللازم لعدم قتله تقريرا (297) مجردا مكان بقائه وموته (298) .

(293) ج : بعض
(294) أنظر الارشاد : الكلام في التسمية والاسم ص 141
(295) أ : المسلميـن
(296) أ : القتـل
(297) أ : تقـريـرا
(298) أنظر الارشاد باب الآجال ص 361 — 363 . يحوصل ابن عرفة هنا فقرة من ص 362 وانظر أيضا الابانة : مسألة في الآجال ص 58 — 59

ARCHIVE http://Archive.beta.Sakhrit.com

ونحوه للغزالي (212) مبرهنا ذلك باسناد كل الممكنات لقدرته . قال : ومن جعل للموت سببا طبيعيا ولكل مزاج رتبته في القوة إذا سلمت تمادت لمدتها (198 ظهر) . والاجل هو المدة الطبيعية . فمن مات بقتل ونحوه مات قبل اجله كبناء حائط انهدم (299) بترسله (300) قبر (301) بأجله وان تهدم بفعل نزل به قبر قبل اجله . قال : وهي مسألة عقلية لا لفظية .

قلت : لبنائها على اسناد كل مؤثر إلى القدرة القديمة وإلغاء تأثير الطبيعة والمزاج باعتبار تأثيرهما يتصور صدق ملازمة قول اكثر المعتزلة (12) ان لم يقتل بقي مدة والا فهي مجرد دعوى .

الخامس (274) : الرزق : في الارشاد : هو « كل ما انتفع به منتفع » (302) ولو بتعد (303) . وقال بعض المعتزلة (12) : « هو الملك رزق كل موجود ملكه » (304) فألزموا « ان يكون ملك الباري تعالى رزقا له » . فقال متأخروهم هو « ما انتفع به من ملكه » فألزموا الا يكون للبهائم رزق وقال الله : « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » (305) .

الغزالي (212) : ربما قالوا هو ما لم يحرم تناوله .

السادس (274) : السعر حال (306) عوض متمول بآخر في (307) قلته وكثرته في كونه بمجرد خلق الله الرغبة في الشيء وعند أو بفعل .

---

(299) ج : تهدم

(300) ب : بترحله

(301) بياض في ج عوض : بترسله قبر

(302) أنظر الارشاد : باب الرزق ص 264 . وانظر أيضا الاشعري : الابانة : مسائل في الارزاق ص 59 — 60 ويقول المازري في المعلم (170 وجه) : « وقد قام الدليل على أن الله سبحانه يرزق الحلال والحرام وان الرزق عندنا هو ما ينتفع به وكل منفعة فالله خالقها »

(303) أ : بتغذ

(304) أ و ب : ملكه

(305) هود (11) : 6 . أنظر الارشاد ص 364

(306) أ : مال

نقلا الارشاد عن أهل السنة والمعتزلة (12) قائلا في خاق الاعمال ابطاله (308) .

السابع (274) : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : في الارشاد (309) وغيره : هما واجبان اجماعا ولا عبرة بمن قال من الروافض (89) هما متوقفان على ظهور الامام ولا يتخصص التكليف بهما بالولاية بل هو عام في كل قادر اجماعا فيه مع الامدي (4) والتكليف بهما كفاية ومن انفرد به تعين عليه .

الامدي (4) : وانما يتعلقان بما وجب أو حرم .

المسيلي (261) في تذكرته : في عموم التكليف بهما في الواجبات والمحرمات والمندوبات وقصره على الاولين القاضي (202) والامام (222) .

ابن البشير (310) : في كونه من المندوبات ندبا أو وجوبا قولان .

الارشاد : ما لا اجتهاد فيه : العامي في القيام به كالعالم . وما احتيج فيه لاجتهاد اختص باهل الاجتهاد (199 وجه) ولا امر فيه بمجتهد (311) على مجتهد فيما فيه خلاف ونحوه (312) .

عد الامدي (4) في شروطه كون الامر عالما بوجوب ما يأمر به وحرمة ما ينهى عنه والقطع به كوجوب الصلاة وتحريم الخمر لا مختلف فيه كشرب النبيذ . قال ولا يشترط عدالة المكلف به بل يجب عليه ولو كان

---

(307) أ : متاحرس (؟)

(308) الارشاد : باب في الاسعار ص 367 : « ...واطلقت المعتزلة القول بأن السعر من أفعال العباد وفيما قدمناه من خلق الاعمال مقنع فيه الرد عليهم » . انظر أيضا — القول في خلق الاعمال من الارشاد ص 187

(309) الارشاد : باب الامر بالمعروف... ص 368 — 370 . يحوصل ابن عرفة هنا ص 368

(310) ابن البشير : الراجح أنه أبو الطاهر ابراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي كان حيا سنة 1132/526 (انظر ابن فرحون : الديباج ص 87 — ط مصر) وهو صاحب التنبيه على مبادىء التوجيه ومنه نسختان في القرويين (انظر GAL, SII 960$_{22}$) ووجدنا منه قطعة بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 6921 .

(311) ب : لمجتهد عن مجتهد . ج : فيجتهد

(312) يحوصل ابن عرفة ص 369 من باب الامر بالمعروف من الارشاد

فاسقا . يجب على متعاطي الكأس النهي عنها للجالس لان النهي عن المنكر واجب والانكفاف عن المحرم واجب والاخلال بأحد الواجبين لا يمنع وجوب فعل الآخر ولو كان عدلا كان أولى لقوة غلبة الظن باجابته وعد فيها عدم إياس اجابته فإن يئس استحب ولم يجب وكونه دون بحث وتجسس لأحاديث الامر بالستر (313) .

المسيلي (261) : إن ظن لحوق ضرر به دون رجاء حصول فائدة دينية لم ينبغ له القاء نفسه في التهلكة وإن رجا حصولها يسقط (314) عنه وجوبه لا ندبه وإن كان ذلك في العقائد وجب الامر به باتباع الحق لان طريقه القطع بخلاف المجتهدات التي طريقها الظن .

وللامر بالمعروف ان يصد مرتكب الكبيرة بفعله ان لم يندفع عنها بقوله ويسوغ لآحاد الرعية ذلك ما لم ينته الامر إلى قتال فإن انتهى لذلك استعين بالسلطان وان جار والي الوقت (315) واظهر ظلمه وغشه ولم يرتدع عن سوء صنيعه بالقول فلأهل الحل والعقد التواطؤ على درئه ولو بشهره السلاح ونصب الحروب (316) .

قلت : تقدم في الامامة ذكر الخلاف فيه (317) .

وهذا آخر ما قصدنا ذكره جعل الله ذلك ابتغاء وجهه وكان الفراغ من تعليقه وانشائه يوم الجمعه السابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام تسعة وثمانين وسبعمائة (318) بمدينة تونس المحروسة .

---

(313) ب : بالسنن . ج : بالشر . أحاديث مختلفة تأمر بالستر عند المعصية . أنظر Wensinck
(314) أ : تسقط
(315) ج : وإن جاوز الى القتل
(316) أ : الحرب
(317) الارجح انه يشير الى أول باب الامامة . أنظر أعلاه
(318) الموافق ليوم 11 اكتوبر سنة 1387

في آخر أ : تم والحمد لله موافقا (199 ظهر) ضحوة يوم الاثنين ثامن جمادى الثانية عام 1146 ستة واربعين ومائة والف (319) على يد كاتبه عامر حسين النابلي بالحسينية بالطبيين لجهة القبلة من باب النواوريين من جامع الزيتونة على اقل من رمية حجر منه .

وكتبته لشيخنا واستاذنا ووسيلتنا سيدي ومولاي العارف بربه سيدي احمد دحمان (319 مكرر) امام المدرسة المذكورة وقابلناه كله اسرد وهو يسمع متفهما وربما استشكل واحيانا يزول الاشكال ما هو صواب عنده . كتبت ما ظهر له بالهامش راقما معه «لعله» واحيانا يظهر له انه محل نظر وضعت سمته صورة ظاء أو ثلاث نقط على الاصل المنسوخ منه وفيه انه نسخ من نسخة نسخت من اصل المؤلف وصححت معه عليه لانني وجدت فيه بلصق آخر قولة للمؤلف وهي : بمدينة تونس المحروسة ما لفظه : تم والحمد لله في اوائل جمادى الاولى عام سبعة وخمسين وثمانمائة (320) على يد العبد الفقير إلى الله سبحانه إبراهيم بن محمد السيجومي لطف الله به ومن نسخة الشيخ الامام المفتي علم الايمة رحمه الله أبي القاسم بن أحمد البرزلي (321) نسخت . وذكر رحمه الله انه نسخها من نسخة شيخه الامام رحمه الله وصححها مع الاصل على مؤلفها رضي الله عنه ونفعنا واياه به آمين يوم لا ينفع مال ولابنون الا من أتى الله بقلب سليم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وفي تاريخ نسخة الشيخ المفتي رحمه الله قال : في ستة وعشرين من جمادى الاولى عام 792 اثنين وتسعين وسبعمائة (322) . رحمه الله آمين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(319) الموافق ليوم 16 نوفمبر 1733

(319 مكرر) : لما نتمكن من التعرف عليه

(320) حوالي 10 ماي 1453

(321) من أبرز تلاميذ ابن عرفة . ولد حوالي سنة 1339/740 وتوفي حوالي سنة 1393/844
أنظر كحالة 8 : 94 و EI I : 821 Brockelmann و R. H. Idris — EI2 I : 1381
وانظر أيضا السراج (الفهرس) والرصاع (الفهرس) والنشرة العلمية للكلية الزيتونية عدد I السنة الاولى 1971/1391 مقال محمد الحبيب الهيلة الامام البرزلي ص 169–233 .

(322) لموافق ليوم 12 ماي 1390

وفي آخر ب (115 ظهر) : كمل الكتاب المبارك بحمد الله وحسن عونه على يد العبد الفقير إلى مولاه الراجي عفوه ورحماه بلقاسم بن محمد ابن يحيى المغراوي لطف الله به في الدارين وجعله من أهل العلم العاملين به ومتعه ووالديه وجميع المسلمين بالمماة على الاسلام انه أرحم الراحمين كتبه لنفسه ولمن شاء بعده وذلك في أواخر صفر عام تسعة واربعين وثمانمائة (849) (323) ببجاية المحروسة بزاوية سيدي عبد الهادي (324) منها عمرها الله بذكره وصلى الله وسلم على الطاهر الامين سيدنا محمد وآله وأصحابه وازواجه وذريته دائما إلى يوم الدين صلاة ادخرها ليوم الحشر والمعاد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فرحم الله كاتبه وكاسبه وقارئه والناظر فيه ورحم المسلمين أجمعين آمين . آمين . آمين . والحمد لله رب العالمين كما يرضى .

وفي آخر ج (176 ظهر)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(وبخط آخر) : انتقل بالشراء الصحيح لنوبة العبد الفقير المقر بغاية العجز والتقصير عبده عمر بن قاسم المحجوب (325) غفر الله له جميع الذنوب بمنه وكرمه في شوال عام 1200 (326) .

(323) حوالي 6 جوان 1445

(324) لما نتعرف عليه

(325) هو قاضي الجماعة ابو حفص عمر بن الشيخ قاسم المحجوب . توفي موفى محرم سنة 2222/أول افريل 1807 (انظر مخلوف : شجرة النور الزكية ص 366 رقم 1459). وانظر في ترجمة والده تاريخ ابن أبي الضياف ج 7 ص 111 .

(326) الموافق لجويلية – أوت 1786 .

حول كتاب :

الاسهام في دراسة « الانسانيات العربية »

في القرن الرابع الهجري

أو

مسكوية الفيلسوف والمؤرخ *

تأليف : محمد أركون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : محجوب بن ميلاد

من أهم النتائج التي انتهى إليها التطور العقلي العربي ما نشاهده اليوم من الاقبال المتزايد على التراث الفلسفي الإسلامي في تعدد مشاربه ، وتباين نزعاته ، واختلاف اتجاهاته ، وتباعد أصوله وأشواقه .

(*) Mohamed ARKOUN : Contribution à l'étude de l'Humanisme Arabe au IVe/Xe siècle Miskawayh, Philosophie et Historien Librairie Philosophique J. Vrin — Paris 1970.

وهو اقبال إن امتاز بشيء فإنما هو يمتاز بالحرص على « إحياء » هذا التراث : نشراً ، وبحثا ، وتحليلا ، ونقداً ، وتقديراً ، وتأريخاً .

وهو إقبال إن دل على شيء فإنما هو يدل على « جنس » الشواغل التي هي شواغل « العقل العربي » المعاصر من وراء « تحسّسه الذات » في أعماق جذورها التاريخيّة : وهل يمكن أن يكون له رجاء من وراء ذلك غير توفير الأسباب لاستقامة طلعتها ، وصدق نظرتها ، وقوة اندفاعها أثناء اضطلاعها بما تضطلع به من المسؤوليات – فكريّةً كانت أو عملية – في هذا العالم العصري الذي تفصل بينه وبين العصور الماضية من شتى العوامل والفوارق : عقلية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو فنّية أو حضاريّة ؟

وقضية هذا الإقبال على ذلك التراث الفلسفي الإسلامي قضية ليس أدق منها حقائق ، ولا أغمض سبلاً أو إن شئت فقل انها « عملية » ليس أشد منها تعقيداً ، ولا أصعب علاجاً ، ولا أعزّ شروطا ، ولا أعظم خطراً : فهي – بالضبط – من جنس « العمليات الجراحيّة » الضروريّة التي قد تسفر عن حياة ... أو عن موت !

وإنما كان الأمر كذلك نظراً لما يحف بها من « المتشابهات » الجسيمة . فما ألطفَ عناصرها ! وما أشدّها استعصاءً على التحليل ! وما أشدّها تمنّعا عند القنص والتحرير لا سيما إذا ما اعتبرنا «جنس إلتحامها» بعضها ببعض : فأين « مفاصلها » بل أين خط « الوصل أو الفصل » بين دينيّها وفلسفيّها ، بين علميّها وصوفيّها ، بين نفسيّها واجتماعيّها ، بين عبارتها الزائلة أو الموقوته وخالدها ؟

وليس عن صدفة أن كانت الأجيال الأولى التي قامت في أواخر القرن الماضي بأعباء النهوض باللغة العربيّة إلى « الانتاج الأدبي الصرف » – نثراً ، وشعراً ، ونقداً – أميل منها إلى الإنتاج الفلسفي الفنّي الدقيق أو إلى البحوث الفلسفية النقديّة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الحقيقة فإنّ الإقبال على التراث الفلسفي الإسلامي ليس يمكن أن ينتهي إلى إعطائه نصيبه من الحق في نطاق أمانة البحث ، ودقة التحليل ، ونزاهة الحكم التاريخي لا ولا يمكن أن ينتهي إلى « تصفية حسابه » — إلا إذا ما جرى على أيدي من كان لهم الثقافة الواسعة الأصيلة فكان لهم القدرة على الكشف عما « تلاقح » في حضيرته و« تمازج » من عوامل شتّى : منها ما يرجع إلى خصائص « العقل الإسلامي » ومنها ما يمت بصلات إلى « العقل اليوناني » أو إلى « العقل الفارسي » أو إلى ما شئت من العوامل العقلية الأخرى كالمسيحيّة أو اليهوديّة أو الهنديّة ... — وكان لهم — فوق هذا وذاك — الشعور الحاد النيّر بحقيقة « الأصول الجوهريّة » التي تنهض عليها « النظرة الإسلاميّة » الحق على نحو ما تتجلّى من خلال القرآن الكريم وسنّة النبيّ العربي المصطفى ...

ذلك أنه ليس يمكن للباحث — من دون هذا — أن يحرّر أحكام النزاهة والانصاف والتوفيق عند عطفه على التراث الفلسفي الإسلامي على اختلاف نزعاته وعلى تعدد أعلامه : فالتراث الفلسفي الإسلامي — سواء أكان يجري في صعيد الكلام أو في صعيد التصوف أو في صعيد الفلسفة الفنيّة — لم يكن — في الحقيقة — غير مجموعة من محاولات إن كانت مختلفة الطابع ، متفاوتة في الحظوظ فهي ترمي جميعها إلى ما سمّاه أبو سليمان المنطقي السجستاني « ضمّ الشريعة للفلسفة » والإخلاص — في عين الحين — لمقتضيات الشريعة ولمقتضيات الفلسفة . وهو أمر اعتبره أبو سليمان أمراً « لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع » (1) .

ومهما يكن من هذا الأمر فقد جرؤ عليه أعلام الفكر الإسلامي فكان لنا هذا التراث الفلسفي الضخم الثري الذي نعطف عليه اليوم ...

---

(1) راجع : كتاب الامتاع والمؤانسة — الجزء الثاني . ص 6 . لأبي حيان التوحيدي — طبعة أحمد أمين وأحمد الزين . القاهرة . 1942 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والذي يجب أن ننتبه إليه هو أنّ هنالك « تحويرًا جذريًا » قد طرأ على « الحساسيّة » العربيّة في شأن موقفها من هذا التراث الفلسفي الإسلامي فأضحت تنظر إليه في نطاق نظرة أعمق ، وشروط في التحليل أدق ، ووعي بتشعب مسالك البحث أحد بصرًا .

وهو أمر إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الأهداف التي أصبحت تهدف إليها من وراء « العملية » حريّة بأن تعتبر « أضمن » لما فيه خير الحياة ، وخير البحث الفلسفي الأصيل نظرًا إلى أنّ « العُدّة » التي تعتد بها لإجراء العملية أصبحت عدة علميّة فنيّة مزكّاة .

وليس من شك عندي في أنك لن تجد مثالاً أبرز ، ولا برهانًا أدلّ على ذلك من المحاولة التي اضطلع بها الاستاذ محمد أركون إذ تصدّى لكتاب مسكويه « تهذيب الأخلاق » (2) فترجمه إلى اللغة الفرنسية ترجمة ممتازة حقًا ناهيك أنها تجمع — في نطاق توفيق نادر — بين رونق العبارة ، وحسن الأداء ، وروعة الأمانة ، ودقة المصطلح . ثم شفع هذه الترجمة بدراسة جامعيّة ضافية جعل لها هذا العنوان « الاسهام في دراسة الإنسانيات العربية أو مسكويه الفيلسوف والمؤرخ » .

وليس من شك عندي — كذلك — في أن محاولة الأستاذ محمد أركون « آية » نستنشف من خلالها جميع الخصائص التي قلنا إنها أضحت خصائص الحساسيّة العربيّة الجديدة إزاء التراث الفلسفي الإسلامي .

ولا أقول هذا جزافًا . ولا أقول هذا مبالغة في التنويه . فمحاولة الأستاذ محمد أركون حرب على كل قول جزاف وعلى كل أسلوب يتسم بالمبالغة في التنويه . فالقول الجزاف يستوي فيه الصدق والكذب . والمبالغة في التنويه

(2) Miskawayh - (320/21 - 420) Traité d'Ethique. Institut Français de Damas. Damas 1969.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« تعمية » يختلط فيها الحق بالباطل . وسواء أ ألقينا الكلام جزافًا أو بالغنا في التنويه ففي كلتا الحالتين ننتهي إلى صعيد واحد : لا صدق فيه ولا كذب ، ولا حق فيه ولا باطل ؛ هو صعيد يبور فيه الكلام ويبور فيه الفكر ! هو سوق الغبن وفيه يستوي الغابن والمغبون !

لا ! لست أقول ما أقول جزافًا . أو مبالغة في التنويه . وإنما أقول ما أقول لأننا — حقًا — أمام « حدث عقلي » حريّ بأن يثير انتباه كل ذي فكر يقظان نظرًا إلى أنّه — بجدته — يفتح عهدًا جديدًا للبحوث الفلسفية الإسلاميّة مثلما يفتح آفاقًا جديدة للأقطار العربية فيما لها من الاتصال بالتراث الفلسفي الإسلامي أو من الانفصال عنه ...

وإنما كانت محاولة الاستاذ محمد أركون هذا « الحديث العقلي » لأنها — إجمالاً لا تفصيلا ! — ثمرة شعور حاد عنيف بأنّ ما جدّ — من أواخر القرن الماضي إلى يومنا هذا — من الفتوحات العلميّة والفنية والصناعية وما جرى من الانقلابات العقلية في مناهج البحث والطلب — سواء أكان ذلك في علوم المادة أو في العلوم الإنسانيّة أو في علوم المعرفة — قد أحدث « شقّة سحيقة » بين « الأبعاد العقلية » المعاصرة والأبعاد العقلية التي كانت أبعاد القدامى !

وإلى هذه « الشقة السحيقة » بين عقلية الأمس وعقلية اليوم يعزى أن كان مؤرخ تفكير القدامى ليس مضطرًا إلى الغوص على مفاتيح احساسهم ونظرهم ومقاصدهم فحسب بل أيضا — وبالخصوص — إلى أن يسلط على تراثهم لا أنوار منهاج واحد بل أنوار مناهج متعددة تتضافر وتتحد في إنارة جوانبه المتنوعة حتّى يحظى بالكشف عن كيمياء آرائهم ، وأسرار فلسفاتهم ، وحقيقة أغراضهم من ورائها ، وسرّ سرّ الصعوبات التي أرادوا التغلّب عليها بفضل تلك الاراء وتلك الفلسفات ...

وإنّه لمن أبلغ صفحات المؤلف تلك الصفحات التي قصّ لنا فيها بلهجة الصدق المؤثر الحار قصّة ما كان له من صنوف التردد والتعثر والتحسس أثناء نشدانه المنهاج الذي سيكون منهاجه في بحوثه . وهو لم يستعرض تلك المناهج منهاجًا منهاجًا حتى انتبه إلى أنّ الدارسين للفلسفة الإسلامية على اختلافهم وعلى تفاوتهم في الدرجة دينهم « دين العبقرية » وهو يعني بذلك أنهم إنما يكتفون بأن « يتخيّروا » شخصية عبقريّة ثم يعمدون إلى دراسة آرائها ومذهبها في البحث والنظر كما لو كانت في « معزل » عن المجتمع الذي نجمت فيه فتملي ما تملي من عليائها ــ علياء العبقرية ــ مما عنّ لها من الآراء والأنظار في « نسق عقلي » مُنيف ...

وبالرغم من أنّ الأستاذ محمد أركون كان ينوي ــ بادىء ذي بدء ــ أن يحرّر دراسة من هذا القبيل عن شخصية مسكويه وعن آثاره فهو يعترف لنا بأنّه ما انتبه لذلك حتّى عدل عن مشروعه الأول واستعاض عنه بمشروع ثان قصد من ورائه لا إلى دراسة مسكويه في حدّ ذاته بل إلى دراسة مسكويه باعتباره « محرّكًا » ــ إلى جنب محركين آخرين ــ لثقافة وباعتبار أنّ آثاره إنما هي آثار لها « وظيفة نفسيّة اجتماعية وتسهم إسهامها في بناء إنسانيات خاصّة لحضارة خاصّة وتقدّم لإنسانيّة معيّنة في نطاق المجتمع البويهي مبادىء حياة ، ومعايير حكم ، وقيمًا عامّة يرجع إليها الجميع » (3) .

وهذا هو السرّ الذي حمل المؤلف على أن يجعل لكتابه عنوانين إثنين وعلى أن يقدّم في شواغل بحثه أمر « الاسهام في دراسة الإنسانيات العربية » على أمر مسكويه الفيلسوف المؤرخ . فكان كتابه ملحمة المجتمع البويهي في نشدانه وحدة الذات وسط متناقضات صارخة قبل أن يكون ملحمة مسكويه من خلال آثاره الفلسفية والتاريخية . أو إن شئت فقل ان المؤلف كان معنيًا

---

(3) راجع : محمد اركون : الاسهام في دراسة الانسانيات العربية . ص 14 .

في تأليفه بأن يكشف لنا في غضون صفحاته وفصوله عن « التحام » خاص بين شخصية مسكويه والمجتمع البويهي فكان صراعه العقلي هو هو صراع المجتمع البويهي فيأبى مسكويه إلاّ أن يبحث له عن « سُبُل الإمكـان » لبناء نظامه الخلقي فيسخّر في تلك السُبُل كل طاقاته العقلية مثلما يسخّر حكمة يونان وحكمة فارس على ضوء هدي التنزيل ويأبى المجتمع البويهي إلاّ أن يفرض عليه أن يعاني متناقضاته السياسيّة والاجتماعية والاقتصاديّة والثقافية فيكون مسكويه ــ من وراء هذا الصراع أو من خلال هذه المعاناة ــ رمزًا للفيلسوف في « سيرته الفلسفيّة » (4) وتكون الفلسفة على يديه ومن خلال أنفاسه الحرّى « أداة حياة » وتريد للحياة صعودًا وتفتحا ونورًا .

ولمّا كان كتاب الأستاذ محمد أركون منجمًا ثريًّا خصبًا لا ينفكّ يغريك بجديد الأنظار وممتع التحليلات ، ولا ينفك يثير في ذهنك ما يثير من صنوف القضايا والمشاكل الفلسفيّة ويوحي إليك بما يوحي من شتّى الصور والخواطر والأشواق فيتجوّل بك بمختلف الأجواء العقلية : اليونانيّة والفارسيّة والإسلاميّة فتتفتّح أمامك آفاق ، وتتجلّى معان ، وتتحرّك سواكن ... فلست أرغب في أن الخّص لك ما جاء في غضون الكتاب من مذاهب القول ومناحي النظر وإنما أكتفي بالوقوف معك عند بعض النقاط الجوهريّة .

I ــ أمّا النقطة الأولى التي أريد أن ألفت نظرك إليها فتنحصر في هذه « الحريّة العقلية » التي لا تنفك تطالعك آياتها في غضون صفحات الكتاب .

وهي حريّة عقلية جديرة بأن نقف عندها لتخصيصها ببضع كلمات . ومن يدري لعلّها « اللفظ الجامع » الذي تتلخّص فيه جميع « الأشواق

(4) راجع : محمد أركون : الإسهام في دراسة الانسانيات العربية ص 221 .

الجوهريّة » التي هي أشواق « الحساسيّة العربيّة الجديدة » إزاء التراث الفلسفي الإسلامي .

فهي حريّة – من وجه أول – باعتبار أنّها حرّية الصدق : فلا مؤاربة فيها ولا مداجاة . وإنما هو المعنى يريد المؤلف تحريره بدقّة ، وهو المطلوب يريد إجلاءه بجرأة . فلا هو يتردّد في أن يكشف لك عن « أربه الحق » من وراء بحثه ، ولا هو يحاول أن يخفي عنك غموض المعنى أو تمنّعه فيجمجم في العبارة فيوهمك – باطلاً – أنه تبيّن حقيقة أمر حيثما لم يتبينها أو أنه تغلب على صعوبة حيثما أعجزته .

وهي حريّة – من وجه ثان – باعتبار أنّها إخلاص للحياة وللفكر معاً . فالمؤلف إذ يعطف على علَم من أعلام الفكر الإسلامي فيُعْنَى بتحليل آثاره فلن تراه – كما ترى غيره – يستعيض عن هذا التحليل أو عن دقة هذا التحليل أو عن صعوبات هذا التحليل أو عن فخاخ هذا التحليل بمبهم العبارة أو بجزاف القول فيجنح – مثلما يجنح بعضهم – إلى « تمجيد » هذا العلم و« تمجيد » هذا الفكر فيسد – بذلك – أمام نفسه وأمام القارىء طريق الفهم وينتهي من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر إلى ضربٍ خفيّ من الكذب على النفس أو من الكذب على القارىء . وإنما هو يعمد مباشرة إلى بحثه في خطو الفكر البصير فيعطف على هذا العلَم في ذات عطفه على آثاره « ليستجوبه » – استجواب صدق يريد جواب صدق – حتّى يعرف حقيقة أمره وحقيقة مواقفه من الحياة ومن أدق قضايا الحياة ومعضلاتها علّه يتصيّد أسرار مجابهة الحياة في سعيها الصبور أو في مخاضها الأليم .

وهي حريّة – من وجه ثالث – باعتبار أنها تحرّر وتحرير من موروث « الأنظار الجانيّة » ومن تقليديّ المناهج والأساليب في ميادين البحث والطلب .

فالمؤلف لا ينفك يستجوب أصحاب المناهج والأساليب حتّى يكون على بينة من أمر هذه المناهج وهذه الأساليب وحتى يدرك مواطن قوتها ومواطن

ضعفها فيعرف بذلك كلّه إلى أي مدى وفي أيّ المواطن يستطيع أن يعوّل على هذا المنهاج أو على ذاك وعلى هذا الأسلوب أو على ذاك . فيضمن لنفسه أسباب النجاح أثناء اقتناصه ما يريد اقتناصه من الحقائق .

وليس من شاك في أنّ المؤلف إنما فاز بأن يعرض علينا هذه « الصورة الحيّة » الدقيقة من المجتمع الإسلامي أيام الدولة البويهية — على نحو ما فعل أبو حيان التوحيدي في « مقابساته » و« إمتاعه ومؤانسته » و« بصائره » ... — فكانت توحي إليك بما توحي من صنوف الحيويّة الحمّلية التي تعرج أحياناً إلى أسمى قمم الفكر — إلاّ بفضل ما كان من شأنه في انتهاجه حينا المنهاج التاريخي ، وحينا المنهاج النفسي ، وحينا المنهاج الاجتماعي ، وحينا المنهاج الفيلولوجي .

فالمؤلف حريص كل الحرص على ألاّ يتقيّد بأي منهاج أو إن شئت فقل ان منهاجه إنما هو في تسخيره كل المناهج ليستعين بها على الانتهاء إلى المآرب التي هي مآربه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا أدلّ على ذلك من موقفه — مثلاً — من المنهاج الفيلولوجي . فلئن لجأ إليه بعض المستشرقين أحياناً لإشباع ما لهم من الحرص على أن يدرسوا بعض المصطلحات الفلسفيّة العربية ليتبيّنوا من وراء هذه الدراسة جنس إخلاصها — أو عدم إخلاصها — للمصطلحات الفنّية اليونانية التي جُعِلَتْ ترجمةً لها أو أداءً لمضامينها فهو إنما يجسّها ليتخذ منها مستنداً لبعث « عقلية إسلاميّة » تمثل « مجالاً عقليا » خاصًّا له أشواقه الخاصّة في نطاق ما له من المطمح لإرضاء حاجات العقول الإسلاميّة في فترةٍ زمنيّة معيّنةٍ وفي رقعة معينة من البلاد الإسلاميّة .

هذا فيما يخص المناهج والأساليب .

أمّا فيما يخصّ « الأنظار الجانيّة » الموروثة فالمؤلف لا ينفك — كذلك — يجهد نفسه حتى يتحرّر وحتّى يحرّرك من أمر الأوهام التي نشأت عنها

لاتصالها ، وثيق الاتصال بذلك العداء الذي احتدمت ناره طوال القرون بين أهل السنّة وأصحاب التشيّع فأسفر عمّا يقصّه علينا التاريخ من مآسٍ مزّقت شمل البلاد الإسلاميّة شر ممزّق مثلما أسفر عن نظريات فلسفية لا تخلو من طابع ذلك العداء .

وإنما ترى شأن المؤلف هذا الشأن لأنه حريص – قبل كل شيء وبعد كل شيء – على أن يدرك جنس العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والاعتقاديّة والفلسفيّة والحضاريّة التي جعلت المجتمع الإسلامي ينقسم على نفسه هذا الانقسام القاصم للظهور فتصبح ثقافته ثقافتين اثنتين إحداهما شيعية ولها أعلامها وآثارها وتقاليدها والأخرى سنّية ولها أعلامها وآثارها وتقاليدها كذلك وتصبح العقول الإسلامية إن التقت في صعيد فإنها تفترق في غير ما صعيدٍ آخر !

2 – أمّا النقطة الثانية التي أريد الوقوف عندها فتخصّ مفهوم « الأدب » ومفهوم الإنسانيات العربيّة التي أراد الاستاذ محمد أركون الإسهام في دراستها عن طريق العطف على شخصية مسكويه في ذات العطف على آثاره الفلسفية والخلقية والتاريخية .

وليس من شك في أنّ القضية قضية دقيقة معقدة لأنها ثمرة امتزاج عجيب نادر في أفق الثقافات ناهيك أنها ثمرة امتزاج الثقافات التي احتكت بعضها ببعض في الممالك الإسلامية تحت ظل « الحضارة الاسلاميّة » أعني الثقافة العربية والثقافة اليونانية والثقافة الفارسيّة .

ولقد أبلى المرحوم أحمد أمين – في ضحى الإسلام – البلاء الحسن في سبيل تخصيص هذا « الأدب » فبيّن تطوره مع تطور الثقافة الإسلاميّة . فكان في بدئه على يدي المبرد في كامله تغلب عليه الصبغة الأدبيّة الصرف وتمتزج فيه النكتة الأدبية والعبرة الخلقية من خلال نثره وشعره .

قال المبرد في كتاب الكامل : « هذا الكتاب يجمع ضروبًا من الاداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة . والنية فيه أن نفسّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحًا شافيا ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا ، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا » (5) .

إلاّ أنّ هذا « الأدب » ـ الذي عرّفه بعضهم بقوله انّه الأخذ من كل شيء بطرف ـ سرعان ما تغيّرت أهدافه بتغيّر أهداف العقول الاسلاميّة وتطورها على أيدي الجاحظ وابن قتيبة وأبي حنيفة الدينوري أوّلاً ثم على أيدي أدباء القرن الرابع الهجري وخاصّة على أيدي أبي حيان التوحيدي ومسكويه وأصبح يمثل « الثقافة العامّة » التي تلتقي في حظيرتها جميع العقول الإسلامية على اختلاف نزعاتها وأهوائها ..

وإنّه ليكفيك أن تلقي بنظرة في « مقابسات » أبي حيان التوحيدي أو في « إمتاعه ومؤانسته » لتتبيّن أنّ النزعة الفلسفية أصبحت فيه هي الغالبة لما أصبح يعالجه من المشاكل والقضايا التي تكاد أن تكون ـ رغم روعة بيانها ـ فلسفية صرفًا .

إلاّ أنّ الأمر الجزم هو أن مسكويه يمكن اعتباره في طليعة « محرّكي » هذا « الأدب » باعتبار أنّه خطا به خطوةً جديدةً حاسمة ناهيك أنه لم يكتف بما كان يكتفي به الأدباء من قبله أعني : النكتة البارعة ، والمثل السائر ، والموعظة البالغة ، والخطبة الشريفة .

فما كان يشكوه المجتمع الاسلامي في ذلك العهد من تدهور خلقي ، وتصدع أركان ، وتفاقم شقاق أضحى يتطلب عملاً جذريًّا أعظم خطرًا ..

(5) راجع : أحمد أمين . ضحى الاسلام . الجزء الأول . ص 315 . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . 1934 .

ومشروعًا أبعد آفاقًا ، وأعمق غورًا ، وأشد التحامًا بمقتضيات النظرة الفلسفية الأصيلة أعني : بناء صرح خلقي على أساس فلسفي فنّي .

وليس من شك عندي في أن أدقّ عبارة تخصّ بها « مشروع مسكويه » إنما هي قولك إنّه حاول في ميدان الأخلاق عين العمل الذي اضطلع به أصحاب المذاهب في ميدان الفقه ... إلاّ أنّ هذا المشروع ما كان في الإمكان أن يتمّ في الأجواء الإسلاميّة قبل نضج البحوث الفلسفية فيها .

وليس من شك – كذلك – في أنّ ما أذهب إليه حينما أؤكّد لك ما أؤكد في هذا الصدد لهو يشكّل قضية حريّة بأن تحملك على أن تنظر في جنس « التفاعل » الذي كان تفاعل العقول الإسلاميّة – طيلة القرون الأربعة الأولى من قرون الحضارة الإسلاميّة – بلفظ « كلام الله » فكان – بالضبط – في مستوى التفكير الجدّي – « أساسًا » أو « قانونًا » في حضيرته يتمّ تفجير « الكلام الإنساني » مثلما كان – في مستوى جواسم الحياة – بالشوق أو بالفعل – « زمامًا » على المشاعر والمواقف الإسلاميّة .

ولمّا كان « الكتاب العزيز » لم يتعرّض لما لا نهاية له من جزئيات الحياة وأحداثها المتطوّرة كان لزامًا على العقول الإسلاميّة – في مستوى ما سمّي بالفقه – أن تنشط حتى تستنبط من الكتاب وممّا جاء خلال السيرة النبويّة من شتى المواقف والأحاديث تلك الأحكام التي كانت « أحكام الفقه » على اختلاف مذاهبه ، مثلما كان لزامًا عليها – في مستوى النظر – أن تزيد توغّلا في هذا الميدان لتأصيل تلك الأصول التي ترجع إليها وتستند تلك الأحكام والمذاهب : فكان صرح « أصول الفقه على تنوّع اتجاهاتها .

أمّا فيما يخصّ « الأخلاق الإسلاميّة » فإنّ قضيتها أصعب وأدق وألطف من قضية الفقه وأصوله . هي بالخصوص أعمق غورًا ، وأبعد مدًى ، وأشد تعقيدًا ، وأكثر تشعّبا ، والصق بألوان « سحر الحياة » في إعجاز إزدهارها وخلقها ...

ومن يدري ؟ لعلها تستدعي استقلالاً في النظر أعظم ، ولطفاً في النظرة أزكى . ومن يدري ؟ لعلها تتطلب مجهوداً عقلياً أشد تعمقاً في أسرار التنزيل وفي « التحام » هذه الأسرار بأسرار الحياة .

هي — على أيّ حال — تتطلب تحليقاً في أجواء الفكر أبعد شأواً ، وعروجاً إلى شواهق قمم التأمل والنظر . ذلك أن الفقه — مهما تعقّدت شؤونه — لا يخصّ إلا جانباً من جوانب الحياة : أعني تحديد العلاقات التي تربط بين البشر فيما للبشر من الالتزامات بعضهم مع بعض وفي نطاق النظام الاجتماعي وفيما يزكّي تلك العلاقات مهما يكن من أمرها ومن صعيدها القانوني في حين أنّ الأخلاق تهم « الحياة مطلقا » وتهم جميع جوانبها في مصيرها والمآل ! وبالرغم من أنّ فلسفة الفقه قد يكون من شأنها أن تجرّك إلى خوض غمار قضايا الحياة على الإطلاق فهي على أيّ حال إنما تنظر للحياة وشؤونها من « جانب الفقه » وحده أي من جانب « ظواهر » العلاقات البشرية القانونيّة في حين أنك لا تعمد لبناء صرح « الاخـلاق الإسلامية » حتى ترى نفسك مضطراً إلى أن تعرج إلى أسمى قمم الفكر حتى يتسنّى لك أن تشرف على جميع قضايا الحياة . على ضوء ما سطره التنزيل لها من « المقاصد القصوى » — في مستوى الأفراد وفي مستوى الجماعات — وباعتبار جميع العوامل التي تضمن لها « الفوز الأعظم » ويمن « التفتح » من وراء نشاطها الوجودي الخلاق ...

وبدهي أنّ مشروعاً كهذا ليس يمكن أن يتمّ إلاّ في نطاق شروط وعلى أساس مقتضيات أعزّ من تلك الشروط أو المقتضيات التي تم في نطاقها بناء صرح الفقه وأصوله (6) .

(6) لمثل هذا المعنى أشار الغزالي في أول صفحة من أول جزء من أجزاء إحياء علوم الدين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومهما يكن من أمر فقد كان ذلك المشروع همّ العقول الإسلامية منذ أن تفاقمت أزمة الكلام والمتكلمين على اختلاف اتجاهاتهم وسط ما لم ينفكّ المجتمع الإسلامي يشكوه من الهزّات العنيفة سواء أكان ذلك في الميادين الاجتماعية أو السياسية أو العقلية .

ولقد تقمّص ذلك المشروع — على وجه الإجمال — صورتين إثنتين .

أمّا الصورة الأولى فلئن كانت في بدئها ثمرة التجارب الوجودية التي جرت في حضيرة الزهاد والمتصوفة فإنّها ما عتّمت أن تبلورت فطالعتنا من خلال « قوت القلوب » لأبي طالب المكّي ثم من خلال « آداب الدنيا والدين » لأبي الحسن البصري الماوردي . إلاّ أنّها لم تطالعنا في « ملامحها الثابتة » إلا عند أبي حامد الغزالي في ميزان العمل وفي إحياء علوم الدين بعد أن فاز بمخض محض التصوف على ضوء نقد فلسفي شامل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأمّا الصورة الثانيــة فهي الصورة التي تطالعنا من خـــلال محاولة مسكويه .

ولقد جنّد مسكويه لتحقيق مشروعه ثلاثة « مصادر » أو ثلاثة « مناجم » خلقية أذاب ما اشتقّه منها من المعادن في بوتقة احساسه الإسلامي أعني أخلاق أرسطو وأمثال الفرس وعبر التاريخ .

وهو مشروع نطالع خطوطه العامّة من خلال آثاره على اختلافها وفي مقدمتها : « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعـراق » و« الحكمة الخالدة » و« تجارب الأمم » ...

وهو هو المشروع الذي كسر عليه الأستاذ محمد أركون فصول كتابه للكشف عن خصائصه وأهدافه وأبى إلاّ أن يعتبرها أهداف « الإنسانيات العربيّة » وخصائصها .

3 ـ وأما النقطة الثالثة والأخيرة التي أريد أن أقف معك عندها فقد تكون أدق نقاط هذا الحديث . وهي نقطة تخصّ جوهر قضية « تأريخ » الفلسفة وموقف الأستاذ محمد أركون منها .

ولما كانت هذه القضية مشحونة بغوامض المعاني كان من الصعب تحريرها . فما أكثر ما يحف بها من الشبهات ! وما أكثر ما ينتظر الباحث المؤرخ من المزالق ! وما أشد الصعوبات التي تعترضه أثناء سعيه إليها تنوّعا ! وما أعظم اختلاف المفكرين في أمرها ! وما أشدهم تباينًا فيما يسلكونه من مسالكها ! وما أبعدهم عن الاتفاق في شأن عين الغرض المطلوب من وراء « تأريخ » الفلسفة و« تأريخ » حيوات الفلاسفة وحيوات آثارهم !

فأنت لا تعمد إلى أن تعطف على فلسفة فيلسوف من فلاسفة الماضي ولا تخطو خطوة واحدة في حلبة البحث حتى تصمّ أذنيك نصائح الناصحين ، وجلبة المُجلّبين .

فهذا يريدك «موضوعيًّا» في بحثك ، «علميًّا» في نزعتك ، مستقصيًا آثاره أثرًا أثرًا ، مؤرخا تدرّجه بمدارج نموّه ونضج تفكيره ، معتنيًا بربط كل خلجة من خلجات إحساسه وكل عروس من عرائس أفكاره بكل من سبقه من الزملاء علك تجد له «سلالة» ينحدر منها أو ينتمي إليها بوجه من وجوه الانتماء ، أو بكل من تأثّره فكان له من التابعين أو من تابع التابعين .

وهذا يريدك أن « تتجاوب » معه وأن تلتحم أنفاسك بأنفاسه حتى تصبح لا « ترى » إلا بعينيه ، ولا « تفكّر » إلا بفكره ، ولا « تحس » إلا باحساسه ولا « تخطو » إلاّ خطوه فتذوب فيه وتصبح إياه وتنطق بمنطقه ... حتى يمكن أن يقال إنك أخلصت لعبقريته محض الإخلاص ، وصوّرت ملامحه الفريدة أمين التصوير ، ونسقت أفكاره منطقي التنسيق !

وهذا يصيح بك صيحة يريدها الصيحة بالحق مؤكّدًا : حذار ! فالفيلسوف مهما يكن عظيمًا فلا تغترّ بأمره : فهو لا يعدو أن يكون « مرآة »

عصره بل ليس هو إلاّ « ظلّه » . أو ظل ظلّه ! فما هو نطق إذ نطق وإنما عصره نطق على لسانه . وما هو فكّر إذ فكر وإنما هو « يحكي » أصداء عصره . وما هو نزع إذ نزع وإنما هو « التاريخ » اتخذ قدميه ليسعى عليهما إلى مقاصده وسط متناقضات الاقتصاد ومتناقضات قوى الإنتاج وحرب الطبقـات ...

فهذا يريدك أن تنفصل عنه كل الانفصال !

وهذا يريدك أن تتصل به كنه الاتصال !

وهذا يريدك أن تفصل بينه وبين عصره فصل القطيعة !

وهذا يريدك أن تصل بينه وبين عصره وصل الإذابة !

وليس من شك في أنك لا تقف موقف التأمّل والتروّي والاعتبار من هذه النصائح المتضاربة وهذه الضروب المتهاجرة من فهم قضيّة « تأريخ » الفلسفة حتّى تدرك أنّها لا تدل على أنظار جانبيّة مغرقة في الغلو والتناقض فحسب — فلو أنك اقتصرت على مجرّد تسجيلك تناقضها لكان فهمك إياها فهمًا سطحيًا يقف على عتبة تضاربها الظاهر — بل هـي أيضًا وبالخصوص تدل — بتضافر أضدادها وتقابل مفاهيمها — على أنها جميعها تشهد على صحّة هذه الحقيقة الدامغة : وهـي أنّ قضية « تأريخ » الفلسفة لهي من أدقّ القضايا . ولو أننا سمحنا لأنفسنا باستعمال المصطلح القرآنـي لقلنا انّها قضيّة ما كانت محفوفة بالشبهات إلاّ لأنّها من قضايا « المتشابه » وتدعوك بإلحاح — دعوة « المتشابه القرآنـي » نفسه — إلى أن تشق لنفسك — أثناء علاجها — طريقًا وسط فخاخ التطرف يمنة وفخاخ التطرف يسرة مراعيًا — ما استطعت — سنن «اعتدال حي يقظان» ليس أعزّ منه منالاً ... وفي نطاق أسرار « ملاحة فكرية » أسرارها ممّا لا يقاس بأسرار أيّة ملاحة لخوض عباب أي محيط مهما تكن أعماقه ، وجبابه ، وجزره ، وعواصفه الهـوج !

ولو أنك أردت أن تكشف عن سرّ ربما كان أعظم أسرار هذه « الملاحة الفكريّة » الغريبة أثناء علاجك قضايا « تأريخ » الفلسفة فحرصت على الإعراب عنه بلفظٍ جامع فقد يكون في إمكانك أن تقول : « هو تصريف مزدوج للفصل والوصل » .

وللتوفيق — كل التوفيق — في البحث إنّما يتمّ عندما تحسن « الوصل » كلما وجب الوصل وتحسن « الفصل » كلما وجب الفصل ... فلا أمر الوصل يذهلك عن ضرورة الفصل ولا أمر الفصل ينسيك مواطن الوصل !

فالفيلسوف العبقري — مهما يكن عظيمًا — يرتبط بتقاليد عقلية معنية وبمجال عقلي معين له مفاهيمه ، واصطلاحاته ومبادئه وأشواقه . وهو لا يضطلع « بمشروعه الفلسفي » إلاّ لعلاج ما تشكوه الحياة في أجواء تقاليده العقلية من عسر أو ضيق أو تدهور . فكان لا يمكن إلاّ أن يكون بينه وبين بيئته العقلية والروحية والماديّة على اختلاف ظواهرها « مناسبةٌ » أو « ارتباط » وكان لا يمكن لك أن تخلص في تخصيص مكانته وتحليل آثاره إلاّ إذا ما وفّقت في الكشف عن جنس ما كان له من الاقتدار — والطرافة في الاقتدار — على علاج ما كانت تشكوه العقول في عصره من ألوان الضيق أو الانقفاص ...

إلاّ أن الفيلسوف العبقري — ما كان عظيما — إلاّ لأنّه استطاع أن يكسر سدود ذلك الضيق وذلك الانقفاص فتسلق شواهق جديدة وأشرف على آفاق جديدة ففتح أمام العقول أبوابًا جديدة ومهّد أمام الحياة سبلاً جديدة لكل سعي خلاق ...

وليس من شك عندي في أنّ المحاولة التي اضطلع بها الاستاذ محمد أركون حينما عمد إلى العطف على « الإنسانيات العربية » فأبرز جنس إسهام مسكويه في « تحريكها » ، وتغذية مفاهيمها ، وتجديد نسغها ، وتمكينها من أبعاد عقلية جديدة — لهي باكورة من باكورات البحث الفلسفي الذي ندعو

لتزكيته في نطاق الحساسية العربية الجديدة إزاء التراث الفلسفي الإسلامي لما تنم عليه من شعور حاد بصير بدقّة القضايا التي هي قضايا « تأريخ » الفلسفة .

محجوب بن ميلاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقديم الكتب

مساهمة في دراسة « الادب » العربي
في القرن الرابع هـ العاشر م
مسكوية الفيلسوف والمؤرخ

Contribution à l'étude de l'humanisme arabe
au IVe - Xe siècle

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Miskawayh, Philosophe et Historien

تاليف : محمد اركون ، (سلسلة دراسات اسلامية ـ 12 ـ باريس 1970 ـ 383 ص

تقديم : الحبيب الشاوش

يعتبر القرن الرابع الهجري من القرون الزاخرة بالأحداث والوقائع في المجال السياسي والاجتماعي ومن أخصبها نشاطا وأمْرَعِهما إنتاجا في حقول الفكر والأدب والعلوم حسبما جاء في أمهات المصادر العربية القديمة على قلتها ، على أنه مما يلفت الانتباه أن هذا القرن لم يحظ إلى اليوم بما يستحقه من دراسات وبحوث عامية كافية لإكتشاف ما هو باق طيّ النسيان والإهمال من كنوز وفوائد في شتى الميادين .

وإن أغلب ما نعلمه عن هذه الفترة من حياة الشرق العربي الإسلامي لا يعدو أن يكون إخبارا سطحيا أو منقوصا تمدّنا به بعض ما يؤلف من كتب أو مقالات في تاريخ الأدب العربي لا تشفي غليلَ صاحب الفضول العلمي من طلاب المعرفة العميقة الدقيقة الشاملة ومن الدارسين المنقّبين عن تراث الفكر العربي الإسلامي في مثل هذه الفترة . وإن ما طالعنا به بعضهم من الدراسات الخاصة بها ، ولا سيما من مؤرخي الأدب العربي يغلب عليه — للأسف — الطابع المدرسي والنزعة الإعلامية المتجهة نحو النشء لا غير .

وقد نتساءل اليوم عن سبب هذا الإهمال ؟ هل هو راجع إلى عقم أو كسل فكري عليق بعهود الانحطاط والجمود التي مرت بها الشعوب العربية والإسلامية أم إلى قلّة المصادر والمراجع سواء المنشورة منها أو المخطوطة ، أو يعزى ذلك إلى أسباب أخرى قد ترجع إلى الإجحاف الذي ربما يشعر به الباحثون بشأن هذا القرن وصعوبة مراس البحث فيه ، حتى بقي أو كاد أن يبقى نسيا منسيّا ؟ ! وإنه ليعسر أن نتعلق بسبب دون آخر ممّا ذكرنا ، نعلّل به قلّة الدّراسات العلمية الخاصة بالقرن الرابع (هـ) الموافق للعصر العبّاسي الثالث ، وهو عصر لا يقل جاذبية واستهواء للبحاثين عن العصور الأخرى ، وذلك لعدّة اعتبارات ودواع .

أما على الصعيد السياسي العام فهو العصر الذي أخذ فيه الوهن يدب في الخلافة العباسية نتيجة انقسامها وظهور دول مستقلّة عنها — هنا وهناك — في ربوع الشرق العربي والاسلامي ، وفيه استفحل أمر الدولة البويهية الفارسية التي نشرت نفوذها على الجبل وبلاد فارس فالعراق ، من الرّي إلى بغداد حيث استقر أمراؤها ينازعون الخليفة السلطة الكاملة ، وذلك منذ سنة 334 (هـ) : تاريخ بداية انتصابها بعاصمة الخلافة العباسية بدخول معز الدولة ، أوّل أمرائها ببغداد (1) . كما أصبحت الشيعة — في المجال الديني — بفضل تأييد أنصارها

(1) أنظر « دائرة المعارف الاسلامية » (E. I.) — الطبعة الجديدة . مقال « البويهيون » (Buwayhides) للأستاذ كلود كاهن .

البويهيين الفاتحين – تُنازع السُّنَّةَ في مجتمع تميّز من الناحية الاقتصادية بتفاوت مادي مجحَف بين طبقاته ، ولم يعد فيه لخلفاء بني العباس إلا تمثيل رمزي ديني أكثر منه سياسي .

على أن هذا الانحلال السياسي لم يتبعه انحلال في حقول النشاط الفكري والأدبي والعلمي بل ازدهرت فيه الحياة الثقافية في شتى مظاهرها ومجالاتها بفضل حياة البلاطات والمجالس وتشجيع الأمراء للكتاب والشعراء ورجال الفكر والعلم ، وبفضل التنافس القائم بين رؤساء تلك الدول في اختلاف الشعراء والكتاب وتشجيع الفلاسفة والعلماء مادّيا وأدبيا .

وقد ساعد كل ذلك على انتشار المؤلفات في فنون عدّة مثل التاريخ والجغرافيا والفلسفة واللّغة والبلاغة والنقد والنثر الفنّي والشعر فضلا عن الفقه والتفسير وعلم الكلام الخ.. وتجسّمت في هذا العصر النزعة إلى الاصلاح والتربية الشاملة اعتمادا على تعاليم الشريعة الإسلامية من ناحية وحكمة الفلاسفة من ناحية أخرى . وكانت لهذه النزعة ظاهرتها في الأدب ، وأحسن ممثل لها أحد أعلام القرن الرابع (هـ.) ممن كان مجهولا طي النسيان والإهمال : مسكوية ، وها قد حظي في السنوات الأخيرة باهتمام أحد الباحثين الناشئين : الأستاذ محمد أركون الذي ركز عليه موضوع أطروحته الرئيسية للحصول على دكتوراه الدولة من جامعة باريس .

ويتضح من خلال هذه الدراسة العلمية القيمة أن مسكويه هو أحد أعلام العصر العباسي الثالث بل قل أحد أركان التراث الفكري والأدبي في القرن الرابع (هـ) ، وهو من خلال مؤلفاته أحسن من يمثل هذا العصر في مجال ما أشرنا إليه آنفا من أدب إنساني هادف (2) يعتمد تنشئة الإنسان الكامل في مجتمع مثالي فاضل .

(2) وهو ما يعبر عنه بالفرنسية (Humanisme)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد سبق أن ظهرت بوادر هذا النوع من الأدب على يدي يحيى بن عدي (3) وابن المقفّع (4) والجاحظ (5) . وكان لمسكويه فضل دعمه وتأكيده بما أوتي من ثقافة واسعة حدت بالبعض إلى تسميته بدائرة معارف حيّة !

وقد قسم السيد أركون بحثه إلى قسمين كبيرين تعرض في القسم الأول — المتفرع إلى ثلاثة فصول — لنقد قيمة المصادر الخاصة بمسكويه وتبويبها ثم لترجمة حياته تفصيلا وأخيرا لمؤلفاته . أما القسم الثاني من بحثه — وهو في خمسة فصول — فقد خصصه للتعريف بمسكويه الفيلسوف والمؤرخ من خلال مؤلفاته محلّلا إياها وناقدا بعض فصولها واتجاهاتها ومبينا في نفس الوقت نوعية الأدب الذي يمثله ومكانته في عصره .

وفي نطاق المعطيات الخاصة بحياة مسكويه وتراثه الفكري والأدبي استعرض السيد أركون ثلاثة أنواع من المصادر وفي مقدمتها مؤلفات هذا المفكر الأديب نفسه وهي : كتاب « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » (6) وقد قدمناه في نفس هذا العدد من الحوليات و « تجارب الأمم » (7) وهو من أهم كتب التاريخ يبدأ بالخليفة وينتهي إلى سنة 369 ه ويتناول تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من أخبار الروم والترك ، وقد ألّف الوزير أبو شجاع الرذراواري من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة 488 ه ذيلا لهذا الكتاب . — و « كتاب الهوامل والشوامل » ومما يجب علمه بشأنه أنه من تأليف مشترك بين مسكويه والتوحيدي باعتبار « الهوامل » أسئلة للتوحيدي و « الشوامل » أجوبة مسكويه عن

(3) عن يحيى بن عدي : أنظر : « رسائل البلغاء » لمحمد كرد علي ، الطبعة الثالثة ، دمشق 1946
(4) خاصة في « الادب الكبير » « والادب الصغير »
(5) خاصة في « البيان والتبيين »
(6) ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه : محمد أركون — (ط . دمشق 1969)
(7) طبع مع ترجمة إلى الانجليزية من طرف المستشرقين ه.ف أمدروز ود.س. مرغوليوث في ستة أجزاء + جزء من الفهارس ، لندن ، 1920 — 1921

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك الأسئلة (8) — وكتاب « الحكمة الخالدة » وقد ألّفها صاحبها بالفارسية بعنوان « جاوِدان خَرَادْ » (9) وكتاب « المستوفى» و « وصية » مسكويه .

ويحسن هنا أن نشير إلى بقية المؤلّفات الأخرى التي لم يعتمدها السيد أركون لترجمة المؤلف وهي : « كتاب آداب العرب والفرس » (10) وهو في ستة مجلدات ، تكلم فيها عن الأخلاق والاداب عند العرب والفرس والهند واليونان ، منه نسخ خطية في ليدن واكسفور وباريس ، ومجموعة من الرسائل منها « رسالة في اللذّات » و « رسالة في النفس والعقل » (11) و « رسالة في ماهية العدل وبيان أقسامه » (12) وكتاب « الفوز الأصغر » في الفلسفة وما يتعلّق بها وقد ضمنه رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها إلى بعض باختلاف طبقاتها في الجماد والنبات والحيوان ونحو ما ذهب إليه أهل النشوء ، وقد طبع بمصر مرارا ومنه نسخ خطية في مكاتب أوربا وكتاب « ترتيب السعادات » (13) الخ...

ولربما أهمل السيد أركون هذه المؤلفات الأخيرة لمسكويه لقيمتها الثانويه في التعريف بحياة صاحبها وشخصيته ، على أنها جديرة بالذكر — في رأينا — ولو بالدرجة الثانية وقد اكتفى بالاشارة إليها دون التعرض لإبراز قيمتها ومكانتها في هذا المجال...

ويدرج في النوع الثاني من المصادر مجموعة من الأعلام المشهورين من أصحاب أمهات الكتب وأهل العلم والأدب منهم : أبو حيان التوحيدي وأبو سليمان المنطقي والهمذاني وأبو بكر الخوارزمي والثعالبي وهم من معاصري

(8) أنظر « مساهمة في دراسة الادب العربي في القرن 10/4 (أطروحة السيد أركون) ص 49
(9) ط.ع. بدوي ، القاهرة ، 1952
(10) أنظر ج. زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ط. دار الهلال (الدكتور شوقي ضيف) ،
(11) ط.م. أركون في مجلة المعهد الفرنسي بدمشق
(12) ط.م. أركون في « هسبريس — تمودة » ، 1961
(13) ط. القاهرة (1928/1346)

مسكويه كانت لهم به صلات متباينة في الأهمية اعتبرها الباحث بمثابة الشهادات الحية في شأن المؤلف .

وركز السيد أركون عنايته – في النوع الثالث من المصادر – على جمع من أصحاب كتب التراجم وتاريخ الأدب أمثال ياقوت (14) والخوانساري (15) والبيهقي (16) والقفطي (17) . وأدرج في آخر القائمة أسماء اعتبرها ثانوية مثل أبي شجاع الزدراواري صاحب « الذيل » على تجارب الأمم وابن أبي أصيبعة (18) الذي اعترف لمسكويه بحذق مادة الطب ونسب إليه كتابين هما : «كتاب الأشربة » و «كتاب الطبيخ » ، وابن خلكان الخ...

ومن أهم الفصول الواردة في هذا القسم الأول من البحث التحريف بحياة مسكوية في مختلف أطوارها . ونظرا لأهمية التبويب الذي سار عليه الباحث في الحديث عن ترجمة المؤلف رأينا من المفيد استعراض هذه الأطوار اختصارا . أما الطور الأول من حياة مسكويه فهو طور الطفولة والشباب (320/325 – 340 هـ) وملخصُه أن أبا علي الخازن أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه نشأ بالرّي وواصل حياته باصفهان . وكان مجوسيا وأسلم وتعلم العربية عن أبيه وتربى تربية ارستقراطية مكنته فيما بعد من الحظوة في بلاطات أمراء الدولة البويهية ووزرائها .

ويوافق الطور الثاني من حياته انضمامه إلى بلاط أبي محمد المهلبي وزير معز الدولة البويهي في بغداد (من سنة 340 إلى سنة 352 هـ) حيث حظي عنده

---

(14) في كتابه : « معجم الادباء » ط. القاهرة 1936 – 1938

(15) صاحب « روضة الجنات » – طهران 1307 هـ.

(16) صاحب « تاريخ الحكماء » – ط . دمشق ، 1946

(17) صاحب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » – ط « ليبار » 1903
أنظر ج . زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية » – ط . دار الهلال (ج II ص. 368) حيث يصيف ش. ضيف مرجعا آخر وهو : « ابن مسكويه ، فلسفته الأخلاقية ومصادرها » لعبد العزيز عزت (مطبعة الحلبي 1946)

(18) صاحب « عيون الانباء في طبقات الأطباء » ، القاهرة 1882 (ج I – ص 248)

بحسن المعاملة والتقدير ، وخلال هذه الفترة اطلع مسكويه على حياة الترف واللهو وفي نفس الوقت ساهم في حياة المجالس الأدبية والعلمية التي كان يشرف عليها الوزير وحصلت له فكرة واضحة « بشأن السياسة ومادة التاريخ » .

أما الطور الثالث فقضاه في بلاط ابن العميد (من سنة 353 إلى 360 هـ) بالري وكان مسكويه — بعد وفاة المهلبي سنة 353 هـ — غادر بغداد ابتعادا عن الحساد وعدائهم وأصبحت مدينة الري منافسة لعاصمة الخلافة العباسية في شتى الميادين ، فلقي فيها صاحبنا نفس الحظوة وزيادة بفضل صلة المودّة المتينة التي ربطته بوزير ركن الدولة وهي صداقة مبنية على احترام متبادل وفضول علمي مشترك أكثر مما هي قائمة على المصلحة ، وتواصلت العلاقة بينهما ليل نهار مدة سبع سنوات (19) خلال هذه المدة اشتغل مسكويه بعلم الكيميا إلى جانب الخطة الرسمية التي كلفه بها الوزير وهي خطة حافظ مكتبة البلاط والمعلم الشخصي لابن الفتح ابن العميد ابن الوزير البويهي . وحصلت له خلال هذه الفترة ثقافة واسعة ثرية بفضل الإقبال المنتظم على مطالعة الكتب ودرسها وتمحيصها وما كان يتحلى به من قدرة فائقة على هضم العلوم والمعارف ومن بين المؤلفات التي أفاد منها مسكويه كتب الفلسفة اليونانية المترجمة إلى العربية فضلا عن مؤلفات الكندي والفارابي وابن زكريا الرازي وجابر بن حيان

وقضى الطور الرابع من حياته في بلاط أبي الفتح بن العميد المذكور آنفا (من سنة 360 إلى 366 هـ) .

وكان هذا الوزير الناشيء في الثالثة والعشرين من عمره عند وفاة أبيه بينما كان مسكوية في الأربعين أي سن النضج والاتزان ومن أبرز ما اختصت به

(19) أنظر « تجارب الامم » ط. وترجمة انجليزية (أمدروز دمرغليوث) لندن 1920 — 1921 ج II — ص 276

(20) أنظر ص 71 من هذا البحث

هذه الفترة من حياة صاحبنا قصرها النسبي من ناحية والتناقض الموجـود بين طبيعتين : طبيعة الوزير الشاب المعروف بطيشه وميله إلى حياة الترف والمجـون وطبيعة معلّمه السابق المشهور بوقاره ورصانته .

ويبدو أن مسكوية لم يسعد في هذه المدّة على قصرها ورغم توفـر أسبـاب العيش الرغد ببلاط البويهيين بالرّي .

على أن أزهـى أطوار حياته ذاك الذي قضاه في بلاط عضد الدّولة (من سنة 366 إلى 372 هـ) وذلك عقب وفاة أبـي الفتح وركن الدولة في نفس السنـة (366 هـ) فاضطرُ مسكويه إلى مغادرة مسقط رأسه ، — الرّي — قاصدا بغداد ليعيش في جوار أعظم أمراء الدولة البويهيه (21) ، نديما ، ومرشدا واعظا ، ممتعا بكامل ثقته وسرعان ما توثقت بينهما عرى الصداقة ومن أخص ما امتازت به هذه الفترة الجديـدة من حيـاة مسكويه تأليفه كتاب « تجـارب الأمـم » وإهداؤه إياه لعضد الدولة الذي كان يسميه — إعجابا وتقديرا — بالملك السيد ، واشتغالـُه بالطب لإهتمام سيده بنفس هذه المادّة وعنايته بأنواع الأغذية ومنافعها ومضارها . ويروى أن مسكويه ألف كتابا في الأغذية والأدوية بعنوان « كتـاب في الأدوية المفردة » وكتاب في « تركيب الباجات » (22) .

ولا نعلْم بهذا الصدد هل تم تأليف هذين الكتابين بطلب من « المـلك السيد » أم تلقائيا ولا يبت السيد أركون في هذه النقطة على أنه لا يستبعد أن يكون ذلك بطلب من عضد الدولة المعروف بعنايته الفائقة بالطب إطلاقا وهو الذي كان يشكو بعض الأمراض المجهولة الهوية ومن مـآثره تـأسيس المستشفى

---

(21) عن عضد الدولة : أنظر : ابن خلكان — الوفيات III ، 221 — السيوطي : بغية الوعاة — ط. القاهرة 1326 — ص 374 — الثعالبي : اليتيمة ، ط. م.م. عبد الحميد II ، 216 — 218 — ابن العماد : شذرات الذهب ، III — ص ص 65 ، 68 ، 70 ، 78 ، 79 — الذهبي : كتاب العبر ، II — ص ص 361 — 362 — ابن الجوزي : المتنظم ، VII ص ص 113 — 118 — دائرة المعارف الاسلامية — الطبعة الجديدة ، I — 145 — 146 ، و I — 217 — 219 — ومقال « البو يهيون » لكلود كاهن ، I ، 1390 — 1397

(22) أنظر القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء — ط. ليبار ، 1903 ص 331

الذي يحمل اسمه ، ببغداد ، وهو المستشفى العضدي في 368 هـ . وكان يجتمع مع عدد كبير من الأطباء في مجالس منتظمة يحضرها مسكويه وجمع من الفلاسفة ومن هؤلاء الأطباء جبرائيل بن عبيد الله من آل بختيشوع المشهورين ، وابن كشكاريا التميمي المقدسي ، ونظيف القش الرومي وابن الخمار الذي عرفه مسكويه عن كثب ، وكانوا ـــ كلهم ـــ يعملون ويدرّسون في المستشفى المذكور .

ويتضح مما سبق أن مسكويه قضى معظم حياته في بلاطات الدولة البويهية سواء بالرّي وببغداد وفي جوار الطبقة الارستقراطية العربية الفارسية من علماء وأدباء . ولئن فصّل السيد أركون الكلام والبحث عن أطوار الشباب والكهولة في حياة مسكويه فقد بقي شيء من الغموض يكتنف عهد الطفولة ولا سيما ظروف الولادة والنشأة الأولى من ناحية ومن ناحية أخرى سني الشيخوخة وهي هامّة لعلمنا أن مسكويه عمره طويلا ويذهب البعض إلى تحديد سنة وفاته في 421 هـ باصفهان (23) وكذلك ظروف هذه الوفاة .

وقد يعزى هذا « الفراغ » إلى قلّة المعلومات أو انعدامها في المصادر المعتمدة على أن الباحث لا يعلّق على ذلك أهمية خاصة ولا يبدي من العناية بهذين العهدين من حياة مسكويه ما أبداه بأطوارها الأخرى وهي أهمها لا محالة !

وينهي الباحث هذا القسم الأول بالحديث عن تكوين مسكويه وتدينه ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن صاحبنا الذي نشأ على المجوسية أسلم وانتهج مذهب الشيعة وحاول أن يبني عقيدته على الاستقراء النّظري وإعمال العقل واعتماد الفلسفة وطرقها الاستدلالية ويبدو أن قد غلبت عليه نزعة التصوف القائم على الاندماج في الله بواسطة الارتقاء الروحاني والتكامل النفساني وهي من الخصائص التي ظهرت بوادرها في أغلب مؤلفاته .

(23) أنظر ج. زيدان (مصدر مذكور أعلاه) ص 367

وبخصوص هذه المؤلفات حرص السيد أركون في نفس المكان ـ أي نهاية القسم الاول من الأطروحة ـ على عرضها تفصيلا ونقدها وإبراز مميزاتها واتجاهاتها في أسلوب واضح دقيق .

أما القسم الثاني فقد أدرج فيه الباحث تحليل مؤلفات مسكويه الفلسفية والتاريخية مبرزا خلال ذلك أهم الأغراض والنزعات مبوبا المواضيع والمسائل التي تضمنتها .

ومما يجدر ذكره في هذا الباب أن المؤلفات ذات الصبغة الفلسفية ـ تنزع ـ على غرار « تهذيب الاخلاق » إلى تنشئة الإنسان الكامل وشروطها وهي تتمثل في مجموعة من الفضائل توفر لمن يتحلّى بها أسباب السعادة في الدارين ، وقد تعلقت همّة مسكويه في هذا النطاق بدرس النفس البشرية وغرائز الانسان ومكانة العقل عنده وما ينبغي له من الصفات الأخلاقية السامية يلتمسها ويتحلى بها جاهدا وما يستنكر من نقائضها أي من الرذائل مما عليه اجتنابه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد وفّق الباحث في توضيح كل ما انطوت عليه هذه المؤلفات من فوائد ودقائق متوخيا في ذلك تارة طريقة التحليل وطورا منهج التأليفية .

وقد انتهى إلى إبراز الدعائم الرئيسية التي يقوم عليه « أدب » مسكويه ـ وهو ما يمكن نعته بالأدب الإنساني (24) ـ وتتلخص في : الحكمة وآداب الحياة والسلوك في المجتمع فضلا عن التصوف وأدب المجالس على غرار ما عرف به التوحيدي وأبو الحسن العامري وحتى إخوان الصفاء فضلا عن الباقلاّني وعبد الجبّار والصاحب بن عباد وأبي طالب المكي الخ » (25) .

ومما يسترعي الانتباه أن نفس النزعة ـ أي نزعة الأدب التربوي والمقصود به الاعتبار ـ تتدعم عند مسكويه في تآليفه التاريخية ، ولئن كان كتاب

---

(24) وهو ما يعبر عنه بالفرنسية بـ (Humanisme)

(25) أنظر بالخصوص خاتمة الكتاب

« تجارب الأمم » مدونة أحداث متنوعة مفصّلة متصلة بحياة الفرس وعلاقاتهم بالروم والترك فهو لا يخلو في كل فصوله من بوادر هذه النزعة التي كانت بمثابة « الشغل الشاغل » في نفس المؤلف ولا غرابة في ذلك بالنسبة إلى رجل عاش في حظوة مجموعة من أمراء الدولة البويهية ووزرائها أحسنوا إليه وفي طليعتهم عضد الدولة – « الملك السيد » كما رأينا – لا غرابة إذا في أن يساهم بمثل هذا الكتاب في إنارة سبيلهم وإفادتهم بأحداث التاريخ وعبره والتعريف بأسرار النجاح والفشل في إدارة الشؤون السياسية والاجتماعية .

ويذهب السيد أركون إلى أن « تجارب الامم » قد تم تأليفه بطلب من عضد الدولة نفسه ، مثل كتاب «التاجي» للصابي .

أما خاتمة البحث فقد ركزها صاحبها على إجمال القول عن مفهوم النزعة الانسانية في أدب مسكويه بالرجوع إلى حصيلة المؤلفات الفلسفية والتاريخية المنسوبة إليه ، وإبراز خصائص هذه النزعة تلخيصا وهي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1) التفتح على العلوم المسماة « بالأجنبية » مما يحتاج اليه المجتمع الفاضل والإنسان الكامل أو القريب من الكمال .

2) إعمال العقل في المسائل الدينية (على أساس تحدّي المعجزات والعجائب والخرافات) .

3) الاهتمام بالمشاكل العقلية السياسية (éthico-politiques)

4) تنمية الفضول العلمي والذوق النقدي مما يساعد على تنظيم المعرفة تنظيما جديدا .

5) التعلق بالقيم الجمالية في مختلف الفنون .

6) السيطرة على عالم الخيال (26) .

---

(26) أنظر ص 361 من خاتمة الكتاب

هذا وختـم السيد أركـون بحثه بفهرس لأسمـاء الأعـلام وفهرس آخر للمصطلحات الفنية رتبها حسب حروف الهجاء العربية وهـي مجموعة ما ورد منها في فحوى الكتاب من ألفاظ عربية منقولة بالأحرف اللاتينية .

وقد وفّق الباحث بهذا العمل القيم إلى إزاحة الستار عن ناحية هامة من نواحـي العصر العباسي الثالث ، تندرج في الحركة الفكرية والأدبية التـي زخر بها القرن الرابـع هـ. وعسى أن تتلو هذا البحث دراسات علمية أخرى تساعد طلاب العلم على معرفة أدق وأشمل لمظاهر النشاط الأدبـي والثقافي عموما في مختلف البـلاطات وعواصم الشرق العربـي والاسلامـي وفي مقدمتها بغداد وذلك خاصة في العصر البويهـي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتـاب تهذيب الأخـلاق وتطهير الأعـراق

Traité d'Ethique de Miskawayh
(320/21-420)

ترجمة : محمـد أركـون (مع مقدمـة وهوامش) ـ دمشق 1969 ـ 350 ص (1)

تقديم : الحبيـب الشـاوش

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

يعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات مسكويه لأنه حصيلة عدّة سنوات من المطالعات والملاحظة والتفكير ، شمل كل الأغراض التي تعرض لها في كتبه الأخرى ، وهي تقوم أساسيا على تربية الإنسان في أسمى معانيها من الناحية الأخلاقية لتمكينه من الفوز بالسعادة في الدارين ، والاهتداء إلى طريق الخير والسعي إلى الكمـال .

وقد تعرّض الأستاذ محمد أركون إلى المخطوطات والطبعات المعروفـة لهـذا الكتاب وذلك في الفصل الثالث من أطروحته الرئيسية (الصفحة 116) (2) . وقد اعتمد لترجمته طبعة القاهرة لقسطنطين زريق بتاريخ 1329 هجرية .

(1) قدم الاستاذ محمد أركون هذا العمل كأطروحه تكميلية لشهادة دكتوراه الدولة لدى جامعة باريس .

(2) وهي بعنوان : Contribution à l'étude de l'humanisme arabe au 4ᵉ/10ᵉ siècle : Miskawayh philosophe et historien, Paris 1970.

وهدف مسكويه من خلال تأليف هذا الكتاب هو تزويد النشء المتعلم وخاصة من طلبة الفلسفة والحكمة بما هم في حاجة إليه لترقية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم وذلك في أسلوب واضح بسيط (3) .

ومما ساعد صاحبه على التوفّق إلى ما رامه من الإفادة بتقديم أفكاره في لغة يسيرة للنشء المتعلم ، توخّيه طريقة التبويب والتفصيل . وقد قسّم كتابه إلى ست مقالات (4) وكل مقالة إلى فصول إلا أن هذه الفصول لا تحمل كلها عناوين ولذا عمد السيد أركون إلى وضع عناوين عند الاقتضاء ، لأغلبها وقد نص على ذلك في المقدمة الفرنسية التي صدّر بها ترجمة الكتاب (5) .

ولناق نظرة على فحوى « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » كما ألفه صاحبه وذلك باستعراض الستّ مقالات وما حوته من فصول لتحصل لنا فكرة عن طرافة الطريقة التي انتهجها مسكويه لبلوغ هدف الإفادة التي أرادها ، وعن مدى نجاحه فيها .

أما المقالة الأولى فهي تبحث في النفس والفضائل بدأها بمقدمة وضّح فيها غاية الكتاب ، وقسّمها إلى خمسة فصول :

أما الفصل الأول ففي النفس .

وتحدث فيه عن خصائص النفس وتميّزها عن الجسد والأعراض والحواسّ ، وعن الأخطاء العليقة بالحواسّ — وركّز الفصل الثاني على مقدّمات لدراسة الفضائل .

واستعرض فيه موضوع نشاط الإنسان في الحياة الدنيا ومفهوم الخير ومحور السعادة البشرية وشروطها والفضائل الأساسية ونقائضها ، وخصص الفصل الثالث

(3) انظر نفس المرجع . ص 117 .
(4) مقاله : ترجمها المؤلف بلفظة « Livre »
(5) انظر المقدمة من ص . VII إلى ص. XXVIII

لتقديم الفضائل وما يراه أساسيا منها مثل الحكمة والقناعة والشجاعة والكرم والعدل ، وتدرّج في الفصل الخامس إلى إبراز علاقة الفضيلة بالاعتدال في الأمور والبعد عن الشطط والتّطرّف ، وحدّد هكذا مفهوم « الأمر الوسط » وصلته بالسعادة . أما الفصل الخامس فبيّن فيه نقائض الفضائل الناتجة عن التطرّف وذلك في حالة الميل مع الهوى بترك الاعتدال وما ينجرّ عن ذلك من خبائث . وفي خاتمة المقالة الأولى يرى مسكويه وجوب اندماج الإنسان في المجتمع للوصول إلى كمال الذات .

أما المقالة الثانية فمحورها الخُلق والتّربية ، وتنقسم إلى سبعة فصول تناولت على التوالي محاولة تحديد الطبع متأثرا في ذلك بنظريات تربوية يونانية كنظرية جالينوس وأرسطو ، ومكانة الأخلاق وموضوعها والمفهوم الأخلاقي للّذة وتقسيم ملكات النفس وقواها وتربية الشبان والأطفال والبحث في تطور المخلوقات ومراتبها « والغاية الأخيرة » أو السعادة القصوى والمراحل الموصلة لها .

وتضمنت المقالة الثالثة البحث في السعادة وهي خمسة فصول تعرض فيها مسكويه لأنواع السعادات وأقسام الخير وعلاقته بالسعادة وفضائل النفس وتحليل أنواع السعادات ونظرية أرسطو فيها ومناقضتها .

وتخلّص المؤلّف في المقالة الرابعة إلى وصف الفضائل الأساسية مثل القناعة والشجاعة والكرم وطرق التكسّب وخصائص العدالة ، وهو مضمون الفصل الأوّل . أما الفصل الثاني والأخير فقد خصّصه للبحث عن مظاهر العدالة وذلك من الناحية الشرعية وبالنّسبة إلى الإنسان عامة ثم بالنسبة إلى الملك ثم الخالق...

وتدرّج في المقالة الخامسة إلى استعراض مفهوم الحبّ ومظاهره على الصعيد الاجتماعي وذلك في أربعة فصول بحث فيها الوظيفة الإجتماعية للمحبّة وأنواعها وعلاقتها بالشرع ، والفرق بين الخيّر والشرّير ثم تطرق إلى موضوع

الصّداقة والأصدقاء وما جبل عليه الإنسان من نقص في طبعه وسعي إلى الكمال بالعمـل الفـاضل .

أما المقالة السادسة والأخيرة فهي خاصّة بالطب الرّوحاني وهي قسمان وكل قسم يحتوي على فصلين . أما القسم الأول فقدّم فيه طريقة المعالجة في الطب الروحاني ومبادئه ثم قواعدّ شفاء النفس . وتناول القسم الثاني أمراض النفس وجدول الرذائل ثم النظر في أصل هذه الرذائل وتطورها ومعالجتها . ومن هذه الرذائل مثلا الغضب وعلاقته بالشجاعة ونقيضها أي الجبن ومظاهره .

هذا باختصار أهم ما انطوى عليه كتاب مسكويه من فصول جُمِعَت في ستّ مقالات ، بالرجوع إلى أصله العربي كما جاء في الطبقة المعتمدة السابقة الذكر .

أما ترجمة الكتاب فقد صدرها الأستاذ أركون بمقدمة تحدث فيها عن مسكويه المربّي ومكانة الأدب الأخلاقي في الأدب العربي والفارسي عامة ، مبرزا مميزات هذا النوع من الأدب ومدى تأثر صاحبنا به في مختلف مؤلفاته سواء منها التاريخية مثل « تجارب الأمم » أو التربوية الأخلاقية الأخرى أو الفلسفية مثل « ترتيب السعادات ومنازل العلوم » وكتاب « الفوز الأصغر » و « الحكمة الخالدة » و « الهوامل والشوامل » ، و « رسائل فلسفيّة » وغيرها (6) كما تعرض السيد أركون إلى عناصر الكتاب وتحليل فحواه ، فركّز هذا التحليل على أمهات الأفكار الواردة فيه وهي تنحصر في توضيح مفهوم السعادة بمختلف مظاهرها ، ومفهوم العقل الفعّال وقوى النفس وخصائص المزاج ، وتعداد الفضائل الأساسية وشروط توفّرها مثل الاعتدال في الأمور ، وما يناقضها من رذائل ناتجة عن الشطط والتطرّف ، وعلاقة الحبّ بالعدل في الشرع والمجتمع ، ثم أمراض النفس وطرق علاجها ، وروحانية الإنسان...

(6) انظر مؤلفات مسكوية في تقديمنا للأطروحة الرئيسية للأستاذ محمد أركون في نفس هذا العدد من « الحوليات » .

وفي نفس المقدمة استطرد السيد أركون إلى المصادر التي اعتمدها مسكويه في تأليف كتابه مثل مؤلفات أرسطو وأفلاطون وأفلوطين في المنطق والفلسفة والأخلاق ، ومؤلفات أدبية أخرى عربية وفارسية كانت أبلغ تأثيرا من الأولى في صاحب الكتاب من حيث المصطلحات الفلسفية والمفردات الفنيّة ، ويلاحظ الأستاذ أركون أن أثر الفكر الأسلامي والأدب العربي والفارسي الوعظي كما عهدناه عند ابن المقفع والجاحظ مثلا ظاهر في مؤلفات مسكويه لا شك فيه وفي هذا الكتاب خصوصا .

وختم مقدمته هذه بإبداء بعض ملاحظات عن الترجمة والهوامش من حيث الطريقة التي اتبعها مبيّنا أنه تقيّد تارة بالمعنى وطورا بالأسلوب واللّفظ محاولا أداء المفهوم مع بعض الزيادات اللّغوية والتعبيرية متى لزم ذلك ومكتفيا عند الإمكان بترجمة حرفيّة جافّة أحيانا . وهو — كما لاحظ — عمل صعب المراس ككل عمل شاق يتطلب الأناة والصبر والتحلّي بالأمانة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما يختصّ به أسلوب هذا الكتاب أنّه أقرب إلى الأساليب الأدبية منه إلى الأساليب العامية أو الفلسفية المتميزة بوفرة المصطلحات والمفردات الفنّية ، فهو في جملته أسلوب سلس مباشر ، تتوالى فيه التعابير النظريّة القريبة إلى الأذهان وسرد الأمثلة التطبيقية الحيّة المستمدّة من الواقع ومن تجربة المؤلف الشخصية ، وفي هذه الظاهرة يرى المترجم إحدى ميزات الفن البيداغوجي والنزعة التربوية الإصلاحية عند مسكويه ، ويبدو أن هذه النزعة تسود معظم مؤلفاته ولا تقتصر على كتاب « تهذيب الأخلاق » وحده ، ولا غرابة في ذلك إذ أن هدف المؤلف كما رأينا هو الإفادة عموما والحث على الاعتبار والسعي إلى ترقية النفس البشرية والتحريض على طلب الكمال الأخلاقي ، ودفع الأمراء والوزراء ورجال السياسة خصوصا إلى الاتعاظ بأعمال السلف وسلوكهم وسياستهم وذلك بترك الرذائل واعتناق الفضائل .

وبخصوص الترجمة وفنّياتها فالملاحظ أن السيد أركون يعمد في كثير من الأحيان إلى إدخال بعض الزيادات اللفظية والتعبيرية الفرنسية على النص العربي الأصلي إما حفاظا – كما يقول – على توازن الجملة الفرنسية وإمّا حرصا على توضيح ما لا تُعَبّر عنه الجملة العربية إلاّ إشارة أو تلميحا لا سيما وأن لغة الضاد تمتاز بالإيجاز وكثيرا ما ترمز إلى معنى يدركه العقل ضمنيا ولا تقع الحواس على شكله ظاهرا (7) ، أما هذه الزيادات المشار اليها آنفا فيضعها مترجم الكتاب بين معقفين وذلك لتمكين القارىء من الوقوف على النّص العربي الأصلي (8) .

والملاحظ أن استعمال المعقفين في ترجمة المؤلفات الفكرية والأدبية يكون عادة لاستكمال النصوص المنقوصة وسد الفراغ ، بإضافة التعابير الملائمة التي لا توجد في الأصل أي في مواطن النقص منه ، إلا أن السيد أركون لجأ إليها دون مبالغة لحصر التعابير الزائدة عن الأصل ممّا اقتضته متطلبات الترجمة (9).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجرت العادة أن تنقل المفردات الفنّية والمصطلحات التي ليس لها مقابل في اللّغة الفرنسية يفي بمقصودها مضمونا وشكلا ، وتورد بالحروف اللاتينية على ما هي عليه بصيغتها العربية ، إلا أنه ، تلافيا للوقوع في التكرار والثقل الناتج عن هذا التكرار وتيسيرا لعمل الرّاقن فالناشر ثم القارىء ، رأى المترجم أنّ من متطلبات اللياقة والحكمة إدراج كل هذه المفردات والمصطلحات في فهرس شامل أورده في أواخر الكتاب عقَبَ الترجمة مباشرة وقد رتّب هذا الفهرس حسب حروف الهجاء اللاّتينية في عشر صفحات ونصف (10) إلا أن

(7) المقدمة ص XXVII

(8) انظر نفس المرجع .

(9) يلاحظ السيد أركون (نفس المرجع ص . XXVII – مذكرة 2) أن هذا هو رأي الأستاذ « أرنالداز » . ويضيف قائلا أنه لم يستعمل في الترجمة المعقفين إلا قليلا وعند الضرورة فحسب وأنه حذفهما في العناوين التي وضعها بنفسه .

(10) أنظـر ص ص 333 – 343

السيد أركون لم ير غنى عن إدراج مفردات عربية بالحروف اللاتينية ضمن نص الترجمة إما لأهميتها أو لصعوبة ترجمتها بكل أمانة ، مثل لفظة : « حلم » أو « مروءة » أو « عفّة » أو « توقيف » الخ... (11)

وفيما يتعلّق بالهوامش الخاصّة بتحقيق النّص وما ورد فيه من تَصْحِيفَاتٍ وقراءات مختلفة لبعض جمله أو فقراته فقد اقتصر فيها على النزر الأهمّ تجنباً لكل اكتظاظ وما يعقبه من إملال .

أمّا بقية التعاليق والمذكرات التي لجأ إليها المحقق فتتمثل في الأربع نقاط التالية :

1) الإشارة إلى الفقرات أو الجمل التي استمدها مسكويه من مصادر مختلفة وذلك بوضعها بين ظفرين في النص المترجم .

2) إقامة موازنة بين صاحب الكتاب ومؤلفين آخرين سابقين أو لاحقين في شأن بعض الأفكار والآراء استدلالاً على تشابهها وانتشارها .

وكثيرا ما تقوم هذه الموازنة بين كتاب « تهذيب الأخلاق » ومؤلفات أخرى لمسكويه .

3) شرح بعض المفاهيم الفلسفية وطريقة استعمالها من طرف المؤلف . والغاية من ذلك المساهمة في توضيح هيكل الكتاب واتجاهه .

4) تعليل بعض الترجمات أو الدفاع عن وجهة نظر في تحقيق النّص عند الضرورة (12) .

هذا وقد حرص السيد أركون على فهرسة أسماء الأعلام وأسماء المؤلفات الوارد ذكرها في الكتاب وإدراج جدول موازاة بين صحف النص العربي من ناحية والنصر الفرنسي من ناحية أخرى تيسيرا للإفادة من الكتاب ، وذلك

(11) ص XXVII – مذكرة 3

(12) المقدمة ص XXVIII

بصرف النظر عن قائمة مختصرات المصادر والمراجع المستعملة ، وحسن التقديم العام لهذا العمل الذي توفرت له كل الصفات والشروط العلمية . وقد أحسن الأستاذ محمد أركون اختيار هذا الكتاب للترجمة مساهمة منه في ترويجه لما فيه من فوائد صالحة لكل القراء ولا سيما طلاب الحكمة ، ولأنه صورة لعصر أضحى مجهولا في كثير من النواحي ولا سيما الناحية الأدبية والفكرية وهو العصر البويهي سواء بفارس أو بالعراق .

أما قيمة الكتاب الأخرى فهي القيمة التصويرية لشخصية صاحبه وثقافته الواسعة وهي حصيلة مطالعات ودراسات لعينات من التراث العربي والفارسي واليوناني كان قد تعرّض لها السيد أركون في اطروحته الرئيسية عن مسكويه الفيلسوف والمؤرخ (13) كما ذكرها مسكويه نفسه بكامل الأمانة ومن بين هذه العينات من المصادر ، مؤلفات أرسطو (14) في الخير والسعادة والأخلاق بوجه عام وقد ذكره مؤلف « تهذيب الأخلاق » أربعا وعشرين مرّة ، وكذلك مؤلفات أفلاطون وجالينوس وقد ذُكر كلاهما أربع مرّات ، كما ذُكَر كلّ من النبيء محمد (صلعم) وعلي بن أبي طالب مرّتين ، وكثيرا ما يستشهد المؤلف بأدلة من أقوال الحكيمين (أرسطو وأفلاطون) فينقلها تارة بحذافيرها وطورا يلخصها مع ذكر مصدرها . أمّا النقل الحرفي فيكثر خاصة في المقالات الثالثة والرابعة والخامسة وهو من كتاب « الدستور الأخلاقي لنيكوماك » لأرسطو (15) . ويأتي الاستشهاد به أيضا في الحديث عن طبيعة المخلوقات وناموس الكون وفضائل النفس وفي المجال الفلسفي البحت لم يقتصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(13) أنظر : Contribution à l'étude de l'humanisme arabe au 4e/10e siècle : Miskawayh, philosophe et historien Paris, 1970, pp. 142-146
وقد وقع تقديمنا لها في نفس هذا العدد من الحوليات

(14) أنظر خاصة المقالة الثالثة من « تهذيب الأخلاق »

(15) بالفرنسية : « l'Ethique à Nicomaque » tr. fr. par R.A. Gauthier et J.Y. Jolif, t. I, introd. et trad., Louvain-Paris, 1958; t. II et III, c. : Commentaire, Louvain-Paris, 1959-60

مسكويه على الأخذ من اليونانيين فهو إذ يحدد ماهية النفس وطبيعتها ووظيفتها يرجع إلى أبي سليمان المنطقي (16) أو أبي عثمان الدمشقي المشهور في ذلك العصر بإتقانه اليونانية إلى جانب العربية وترجمته للتراث اليوناني الفلسفي ، وخاصة منه تراث أرسطو . وكثيرا ما يذكر أسماء يونانية وعربية مثل جالينوس و « بريسن » من ناحية والكندي من ناحية أخرى في نفس المقالة وذلك بصدد الحديث عن تربية النشء من الشبان ، وفي هذه المرة لا ينقل كل ما قيل في هذا الشأن وإنما يعكف على اقتباس ما يتلاءم وتعاليم الشريعة الإسلامية ، منتهجا أسلوبا واضحا سلسا وطريقة حيّة تعتمد الرجوع دوما إلى أمثلة تطبيقية يستمدّها من تجاربه الذاتية بحيث لا يشعر القارىء بالسآمة والملل عند مطالعته الكتاب . ومما يدعم قيمة « تهذيب الأخلاق » أن صاحبه — مع تأثيره بمن ذكرنا من فلاسفة وأدباء — جهد إلى سبك أفكاره سبكا محكما وشفعها بأفكار غيره دون الوقوع في التقليد الأعمى ، وكان له فضل المساهمة في إنشاء « أدب أخلاقي » ملائم لروح الإسلام اعتمادا على مفردات وتعابير فلسفية تمتاز بالطابع العربي الأصيل ، كما كان له فضل التقديم والتنسيق لمادة كتابه حسب عناصر منطقية مترابطة على غزارة هذه المادّة وتنوعها .

وكان للمترجم الحظ الأوفر في اختيار هذا النوع من المؤلفات النفيسة الصالحة لكل زمان ومكان لما تتضمنه من حكمة خالدة هي غذاء للروح والفكر ، وقد أداها السيد أركون في لغة فرنسية متينة على أساس الأمانة والدّقة والرّوح العلمية الصحيحة .

ح . ش

(16) عن أبي سليمان المنطقي ، أنظر على سبيل المثال كتاب « الامتاع والمؤانسة » للتوحيدي

(17) أنظر الأطروحة الرئيسية للاستاذ أركون — وقد سبق ذكرها — ص 144

كتاب أدب الغرباء
لأبي الفرج الاصبهاني

نشر : الدكتور صلاح الدين المنجد
دار الكتاب الجديد
بيروت 1972

تقديم : جعفر ماجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشرُ (مخطوطة فريدة في العالم) لأثر مفقود من آثار أبي الفرج الإصبهاني حدث هام في ذاته. هذا ما أعلن عنه الدكتور صلاح الدين المنجد على غلاف (كتاب أدب الغرباء) الصادر سنة 1972 عن دار الكتاب الجديد التي أسسها – فيما نعلم – صاحب التحقيق. يقع الكتاب في ثمان عشرة ومائة صفحة من الحجم المتوسط ، منها سبع عشرة للمقدمة وثمانون للنص ، والبقية للفهارس

1 – فهرس الموضوعات .
2 – فهرس الأعلام .
3 – فهرس الأماكن .
4 – فهرس القوافي .

أما غرض الاصبهانـي من هذا التأليف فهو جمع الأبيات الشعرية والأقوال اللطيفة التي تعوّد الغرباء أن يكتبوها على الجدران كلما نزحوا عن أوطانهم . يقول أبو الفرج في المقدمة :

(وقد جمعت في هذا الكتاب ما وقع إليّ وعرفت ، وسمعت به وشاهدته ، من أخبار من قال شعرا في غربة ، ونطق عما به من كربة ، وأعلن الشكوى بوَجده إلى كل مشرَّد عن أوطانه ونازح الدار عن إخوانه ، فكتب بما لقي على الجدران ، وباح بسرّه في كل حانة وبستان ، إذ كان ذلك قد صار عادة الغرباء في كل بلد ومقصد ، وعلامة بينهم في كل محضر ومشهد ، فأرى الحال تدعو إلى مشاكلتهم وضيق الزمان يقود إلى التحلّي بسمتهم) (1) وبصرف النظر عن طرافة الموضوع الذي اتخذه الاصبهاني مسلاة له في اخر العمر ، فهذا النص يمدّنا بأخبار جديدة عن المؤلف ويعيننُا على تصويب تاريخ وفاته الذي يجعله جلّ الناس سنة ست وخمسين وثلاثمائة . فقد أرّخ الاصبهانـي لبعض الحوادث تحملنا على الجزم كما يقول صاحب التحقيق بأنه (توفي بعد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة) ؛ هذه هي أهم نتيجة ، استخلصها الدكتور المنجد من تحليله لنص الكتاب ولم ير فائدة في ترجمة الاصبهانـي فقدم قائمة بأسماء الكتب القديمة والحديثة المتعلقة بأخباره .

ويبدو أن المحقق فتح لنفسه باب الاجتهاد على مصراعيه فرفض بعض العادات – إن صح التعبير – في الرسم العربي ، وكتب مثلا : هاذا (ص 21) ومئة (ص 34) وامرءً (ص 90) خلافا لما جرت به العادة . كما اجتهد في شكل كلمات لا تستدعي كلها هذا الشكل بل ربما كان إهماله خيرا من إثباته مثلما وقع في عبارة « سوِىَ اللهُ » (ص 70) حيث ظهرت الضمة على الهاء والصواب هو الكسر إلا إذا كان للدكتور المنجد رأي آخر في الاسم الوارد بعد سوى ، وذلك أمر لا نعلمه !

---

(1) ص : 21 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلا أن الشعر كان أكثر أقسام الكتاب تضررًا مِنْ هذا الاجتهاد . وصاحب التحقيق يحمل قلمه على النظم أحيانا لإتمام بيت ناقص ، وقد يسعفه الحظ ، وقد يكبو به الوزن فتطول الشطرة أو تقصر ، ويبحث الإنسان عن البحر الذي قاس عليه المحقق هذا الكلام ، فلا يجد إشارة إلى ذلك ، لا في النص ولا في فهرس القوافي . وهذه بعض الأمثلة :

– ص : 25

مجلسٌ حُفَّ بالسرور والنرجس والاس والغِنَا والبهَارِ !البيت من الخفيف ولا يستقيم وزنه إلا بإدخال باء على كلمة النرجس (مجلس حف بالسرور وبالنرجس ...) .

– ص : 31

أيها المدّعي على الأيّام أن رمته بصائبات السهام

في هذا البيت لم يزد شيئا ولكنه لم يتفطن إلى أنه ناقص فالبحر هو الخفيف أيضا والمصراع الثاني يبدأ بقوله (أنْ رمته) ويبقى المصراع الأول متطلبا كلمة مثل (جهلا أو ظلما) فيصبح المصراع كما يلي (أيها المدّعي على الأيام جهلا)

– ص : 41

من شدة لا يموت الفتى ولكن لميقاته يهلكُ

البيت من مجزوء المتقارب والمصراع الأول ينقصه متحرك كقولنا : ومن شدة أو فمن شدة .

– ص : 45

وارقبوا الدهر أنْ يدور عليكم بداهيهْ

هذا بيت مدوّر على مجزوء الخفيف وكتابته تكون كما يلي : وارقبوا الدهر أن يدو (م) رعليكمْ بداهيهْ .

– ص : 60

يا رحمتا للغريب في البلدالنا زح ماذا بنفسه صَنَعا

الياء زائدة في الشطرة الأولى والبيت من الخفيف ، كما يلي : رحمتا للغريب في البلدالنا (م) زح ماذا بنفسه صَنَعَا .

– ص : 79

إنـي غريب والغريب مساعد ذو صبوة فارثوا لطول تكدّري (كذا)
إنّي احتشمتُ لقاءكم وخطابكم فكتبت ما ألقى بباب المسجد

واضحٌ أن قافية البيت الأول لا تجانس قافية البيت الثاني ولعلّ الاجتهاد يجيز لنا في هذه الحال أن نضع كلمة مثل (تشردي) .

– ص : 81

وخُذْك مفتاح داري أنسيته مع رفيقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البيت المجتث وظهور الحركة على عين (مع) لازم وهذه الحركة لا تكون إلا سكونا . فأولى بالدكتور المنجد أن يهمل الحركة في مثل سوى الله ويثبتها هنا حيث ظهورها واجب .

– ص : 88

عين (بكيّ) للقصر قصر معز الـــدولة المونق العجيب الفناء

كلمة (بكيّ) زيادة من صاحب التحقيق وهذه الزيادة لا يستقيم بها الوزن . فالبيت من الخفيف ، وبهذا الاعتبار ، تكون العين والياء زائدتين : (–ن بكي) وهذا غير مقبول ، والزيادة ممكنة إذا كانت مثل قولنا (باك) فيصير البيت :

عين باك قصر الخ ......

وفي تحقيق هذا النص جانب آخر نريد أن نشير إليه هو عدم التزام المحقق طريقة واحدة في الشرح والتعليق . فبينما نراه يقارن في بعض الأحيان بين الروايات ، نفاجأ أحيانا أخرى بإحالة جافة مثل قوله (انظر ديوان لبيد نشرة إحسان عباس ص 356 ، ورواية الاصبهاني هنا أصحّ من الرواية المثبتة في الديوان فقابلها) (2) وقوله أيضا (انظر عن الشماسية ياقوت) (3) والحال أنه فسر غير هذه الكلمة من ياقوت نفسه .

ونراه تارة أخرى يمر ساكتا عن كلمة تحتاج إلى التعليق مثل الشاذروان (4) فلا يحيل على ياقوت ولا على غيره بل إنه يملأ بياض النص بكلمة غريبة مثل (الدبيقي) (5) في وصف القميص فلا يزيد على أن يقول (مكان هذه الكلمة بياض في الأصل ، فأضفناها من عندنا) (6) .

ليس غريبا في رأينا ، أن يعثر الدكتور المنجد على المخطوطات الفريدة وأن يسهب في بعض جوانب التحقيق وعهده بالبحث قديم ، ولكن الغريب أن تلحق عمله مثل هذه الهنات .

جعفر ماجد

---

(2) ص 24 تعليق رقم 1 .

(3) ص 88 تعليق رقم 2 .

(4) ص 97 .

(5) شرح أحمد أمين وأحمد الزين هذا الكلمة بقولهما الدبيقي من دق الثياب ، منسوب الى شطا قوية بمصر كانت تنسج فيها هذه الثياب : الامتاع و المؤانسة ص 179 التعليق رقم (5)

(6) ص 82 تعليق رقم 2 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الـرحلة المغـربية للعبـدري

تحقيق : محمـــد الفـــاسي

نشـر : جامعة محمد الخامس
الرباط 1968

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقديم : صـــالح المغيــربي

أوّل من حقّق الرّحلة المغربيّة هو أحمد بن جدّو (1) وقد تنبّه السيد الشاذلي بويحيى في النقد المفيد الذي كتبه عن هذا التحقيق (2) إلى أن النصّ مبتور واستغرب أنّ « واحدا من بين من اعتنى برحلة العبدري لم يتعرض إلى هذا المشكل الأساسي » (3) . حقّا إن شربونو (Cherbanneau) (4) وموتيلانسكي (Motylinski) (5) وابن أبي شنب (6) وهونرباخ

(1) نشر كلية الآداب الجزائرية سنة 1965
(2) حوليات الجامعة التونسية – العدد الرابع 1967 ص 177 – 184
(3) نفس المصدر ص 182
(4) المجلة الآسياوية 1854 ص 144 – 176
(5) مجلة جمعية عاصمة الجزائر للجغرافية 1900 ص 71 – 77
(6) دائرة المعارف الإسلامية الأولى ص 70

(Hœnerbach) (7) وكرتشكوفسكي (Kratchkovesky) (8) ومحمد الفاسي (9) وغيرهم لم يتعرّضوا إلى هذا النّقص والسّبب في ذلك هو أنّه غير موجود في المخطوطات التي اطّلعوا عليها . أمّا حسين مؤنس الذي خصّ العبدري ورحلته بفصل في كتابه « تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » (10) فقد اعتمد على طبعة الجزائر دون أن يتفطّن إلى النقص . وفي مخطوط المكتبة الأحمدية نرى أنّ ما سقط في الطبعة الجزائرية ثابت من الورقة 58 إلى الورقة 142 .

ومهما كانت الظروف التي أحاطت بطبعة الجزائر فإنّ طبعة الرّباط تمدّنا بالنصّ الكامل تقريبا (11) فتضع حدّا للمشكل لكن قبل التعليق عليها يحسن التعرّض إلى المقدّمة الممهدة للنصّ (12) لأهمية القضايا المتعلقة إمّا بشخصية العبدري وإمّا بمؤلفه .

في الباب الأوّل عرض صاحب المقدّمة رأيه في نسبة العبدري وصحح كنيته ورفع وهما في شأن ابنه (13) وعزا سخطه ونقده اللاذع إلى الصّراحة وواقع البلاد التي زارها وأشاد بسعة ثقافته وروحه النقدية ودقة ملاحظته وبراعة تصويره وفي الباب الثاني ردّ على الذين استنقصوا الرحلة (14) واعتبرها وثيقة هامة في وصف المسالك والمدن والأحوال الاجتماعية ومرجعا

(7) دائرة المعارف الإسلامية — الطبعة الثانية ص 98

(8) أدب الجغرافية العربية 1951 — ترجمة عثمان هاشم — القاهرة 1963 ص 367 — 368

(9) صحيفة معهد الدراسات الإسلامية — مدريد 1961 — 1962 — المجلدان 9 — 10 ص 1 — 14

(10) نشر معهد الدراسات الإسلامية — مدريد 1967 ص 518 — 528

(11) باستثناء البياض الموجود في ص 155 — 157 — 178

(12) في هذه المقدمة المحتوية على 38 صفحة أضاف صاحبها إلى الفصل الذي نشره في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ملاحظات عديدة عن شخصية العبدري ومؤلفه

(13) تبع كرتشكوفسكي في هذا الخطإ بروكلمان — أدب الجغرافية العربية — الترجمة ص 368 وقد رفع الوهم بعد محمد الفاسي هوبكينس (Hopkins) في الفصل الذي كتبه عن ابن الحاج في دائرة المعارف الإسلامية — الطبعة الثانية ص 803

(14) هونرباخ : المصدر المذكور وحسين مؤنس المصدر المذكور

ضروريّا لدراسة الحياة الثقافية في البلاد التي مرّ بها العبدري كما علل اسم الرّحلة ونفى عنها أيّ غرض سياسيّ .

حقّ له أن يكبر العبدري ويعظّم شأن الرّحلة ولكن أن يعتمد على مثال واحد (15) دون أن يحلّله ليثبت دقة الملاحظة في وصف الأحوال الإجتماعية فهذا من باب المجازفة في الحكم وأن يلحّ على الروح النقدية دون الإشارة إلى ما يدين به المؤلف لمن سبقهُ من الجغرافيين والرحّالة وأن يعدّه عبقريّا لأنّ « الأحكام التي أصدرها على العلماء والأدباء في الأقطار التي زارها أيّدها التاريخ من بعده» (16) فهذا من باب المبالغة في التمجيد . لا يمكن طبعا حصر أهميّة الرّحلة في الناحية الثقافية كما ذهب إليه هونربَاخ (Hœnerbach) إلاّ أنّه يجدر قبل إبداء الرّأي في قيمة الملاحظة والوصف أن نتبيّن نصيبهما وميدانهما وأن نحلل نوع الوصف وطريقته . وفي نسبة العبدري ينفي المحقق أن يكون صاحب الرّحلة أندلسيّ الأصل ويرجح أن تكون نسبة البلنسي وليدة التباس وقع فيه بونس بواقس (Pons Boigues) فتبعه فيه بقية الباحثين ما عدا هونربَاخ ، ذلك أن عددا كبيرا من الأدباء والعلماء الأندلسيين ينتسبون لبني عبد الدّار « فجُعل مؤلّف الرّحلة أندلسيّا والحالة أنّه مغربيّ صميم » (18) ولتدعيم هذا الرّأي كان لابدّ من الرّجوع إلى المصادر القديمة التي ترجمت للعبدري أو ذكرته (19) والتثبّت من وجود

---

(15) المقدمة ص و : وصف المرأة بشوارع برقة

(16) المقدمة ص ف

(17) أنظر كتابه ...Ensayo ص 310

(18) المقدمة ص ث

يذكر على سبيل المثال الإمام العبدري الآبلي شيخ ابن خلدون وأبا العباس العبدري الأندلسي مؤلف « بهجة المهج في بعض مناقب الطائف ووج » دون أن يعرف به – انظر كشف الظنون – 1 – ص 259 طبعة اسطمبول .

(19) عن هذه المصادر انظر دائرة المعارف الإسلامية – الطبعة الثانية – مادة العبدري ذكره أيضا ابن ابي دينار دون أن ينسبه إلى بلشيه – المؤنس – تحقيق محمد شمام – تونس 1967 ص 18

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه النسبة أو عدمها لكن لم يستشهد المحقق إلاّ بجذوة الاقتباس لابن القاضي (20) فبقي المشكل قائما .

هذا ونودّ أن نقف بالخصوص عند اسم الرّحلة . قال السيد محمد الفاسي : « وإنّما قصد (أي العبدري) بهذا (الاسم) أنه قطع كلّ بلاد المغرب في طريقه إلى بلاد المشرق ولم يركب البحر كما كان يفعله من يريده وكما فعله ابن جبير قبله » (21) . إنّ هذا التعليل الخلاّب لا يعتبر نصّ الرّحلة والظروف السياسية المحيطة بها في حين أن في النصّ ما يثير الانتباه حول هذا الموضوع . يقول العبدري في شأن العالم الإسلامي : « ... وقد تعطّل في هذا العصر موسم الأفاضل .... وصار الملك الذي هو نظام الأمور وصلاح الخاصّة والجمهور في أكثر الأرض منقوص الدّعائم مصدّع القوائم » . (22) فنستنتج أنه يدعو إلى مُلك قويّ لأنّه وحده كفيل بانتشال العالم الإسلامي من الغرق . ولمّا كان أبو يعقوب يوسف قد حقّق هذه الدّعوة في المغرب الأقصى (23) فجعل من هذا القطر « حضرة مطهّرة من كل عيب ومن وصم » (24) حقّ له أن يواصل رسالتـه فيطهر ما بين فاس والإسكندرية (25) . ثمّ إنّ العبدري إيمانا بفضل المماليك أو حرصا منه على طمأنتهم (26) يصف ملوك مصر بركن الإسلام وحماة الدّين وحصن المسلمين (27) وبالتّالي يعدّهم أهلا لإصلاح المشرق وإن لم يصرّح برأيه .

---

(20) المقدمة ص ت

(21) المقدمة ص م

(22) الرحلـة ص 3 – 4

(23) إن استثناء المغرب الأقصى يفسر معنى « أكثر الأرض » في الفقرة المستشهد بها

(24) انظر القصيدة التي مدح بها العبدري أبا يعقوب يوسف المريني – الرحلة ص 4 – 5 – 6 ومنها أخذنا العبارة بين ظفرين (البيت الخامس عشر)

(25) يقول العبدري : « أو ليس من الأمر الخارج عن كل قياس أن المسافر عندما يخرج من مدينة فاس لا يزال إلى الإسكندرية في خوض ظلماء وخبط عشواء » الرحلة ص 4

(26) انظر في علاقة المرينيين بالمماليك بحث كانار Canard حوليات معهد الدراسات الشرقية – الجزائر – 5 ص 41 وما بعدها

(27) الرحلة ص 128 – 149 – 152

والذي يسترعي الانتباه هو أن هذا التقسيم كان موافقا لطموح بني مرين الّذين دأبوا على بسط نفوذهم على كلّ المغرب كلما استقرّ لهم الأمر ببلادهم (28) ممّا يجعلنا نعتقد أنّ العبدري كان متّصلا بأبي يعقوب يوسف أو بحاشيته ، مطّلعا على نوايا السّلطان التوسعية . وانطلاقا من هذا الدّليل الترجيحي فإن الرّحلة تتجاوز قضيّة تحيّز صاحبها للمرينيين ضدّ بني عبد الواد (29) لتشمل دعوة إلى استيلاء بني مرين على كلّ المغرب وهذا ما يفسّر في نظرنا اسم الرّحلة . على أنّه لا يجب أن يفهم ممّا تقدّم أنّ العبدري كان جاسوسا وأنّ مؤلّفه مركّز على الغرض السّياسي وإنّما الأمر هو أن الرّجل لم يكن خالي الذّهن من كلّ قصد سياسيّ وأنّ رحلته لم تكن مجرّد تقييد قام به طُلعة أو شغوف بالعلم والأدب .

بقي الان أن نبدي بعض الملاحظات في التحقيق . لقد أدرج في المقدّمة ثبت لمخطوطات الرّحلة ضمّ سبعة عشر مخطوطا منها مخطوطان نسبا إلى جامعة الزّيتونة الأوّل مسجل تحت عدد 53 والثاني تحت عدد 55 ولا يوجد في المكتبة الأحمدية إلاّ مخطوط واحد لرحلة العبدري مسجل تحت عدد 5053 ولعلّه المقصود بالمخطوط 53 . أمّا المخطوط 5055 من نفس المكتبة فهو لرحلة البلوي وبه نقص . ونضيف إلى قائمة المحقق مخطوطين آخرين تابعين لمكتبة الأستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب (30) مسجّلين في المكتبة الوطنية الأوّل تحت عدد 18600 وهو تام عدا بعض البياض الموافق غالبا لبياض طبعة الرّباط والثاني تحت عدد 18630 ضمن مجموع ولا

---

(28) لئن منع القدر أبا يعقوب يوسف من فتح تلمسان سنة 1307/797 أي بضع سنوات بعد خروج العبدري للمشرق فقد استطاع أبو الحسن ثم ابنه أبو عنان أن يبسطا نفوذهما على المغرب فحققا ولو لفترة قصيرة أمل كل المرينيين .

(29) أنظر رأي هونبرباخ في فصله الخاص بالعبدري — المصدر المذكور ورد محمد الفاسي في المقدمة ص أ ت — أ ث — أ ج

(30) أنظر فهرس مخطوطات مكتبة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب — حوليات الجامعة التونسية عدد 7 سنة 1970 ص 245 رقم 700 وص 250 رقم 730

يحتوي إلا على نصف الرّحلة تقريبا إذ يقف النصّ عند صفحة 119 من طبعة الرّباط . هذا ولم يصف المحقق من المخطوطات التي ذكرها وصفا موجزا جدّا إلا مخطوطي الخزانة العامّة بالرّباط اللّذين « اعتمد عليهما أكثر من غيرهما في تحقيقه » (31) والمقصود بقوله « غيرهما » بقية مخطوطات المغرب (32) وهو أمر نستغربه من محقق حرص منذ مدّة طويلة على إحياء الرحلة المغربية . ولعلّ الإسراع بنشرها كاملة بعد ظهور طبعة الجزائر هو الذي منعه من الإعتداد على كلّ المخطوطات ووصفها وصفا دقيقا وتقييمها والمقابلة بينها جميعا لاستجلاء النص (33) . زيادة على هذا فَضَّل ألا يعرض في حواشي نشرته اختلاف الرّوايات خوفا على القارىء من التشويش والحقيقة أن عرض الرّوايات المختلفة يقتضيه النشر العلمي ويترك للقارىء حقّ إبداء الرّأي في اختيار المحقق رواية وجعلها في الأصل . ثم إن التعاليق (34) قليلة أغلبها في شرح المفردات لا تمدّ الباحث بالمصادر الأخرى التي توافق النصّ أو تعدّله . أمّا الفهارس فهي مضبوطة (35) لو أضيف إليها فهرس مفصل الموضوعات الرّحلة لكانت شاملة حقّا .

وأخيرا فإنّا نقدّر المجهود الذي بذله المحقق في نشرته إلا أن الرحلة المغربيّة لا تزال في حاجة إلى طبعة علمية تتلافى العيوب المذكورة ويعنى فيها صاحبها بشكل النصّ شكلا جزئيّا خاصّة الأعلام والشعر وبتعيين البحور .

---

(31) المقدمـة ص أ ر

(32) المقدمة ص أ ذ

(33) على سبيل المثـال نـلاحظ
- أن البياض الأول في صفحة 155 (ط الرباط) يقابله في مخطوط الأحمدية ومخطوط المكتبة الوطنية التام : « مستقلا بنفسه استغنى عن أمه »
- أن لابياض في طبعة الرباط ص 157 بين « منذ أحدثها المذكور» و « الماء قليلا » وهو موجود في مخطوط الأحمدية وهذا أظهر لأن الجملة في طبعة الرباط غير مستقيمة
- أن البياض في طبعة الرباط ص 157 بين « منذ أحدثها المذكور» و « الماء قليلا » وهو موجود في مخطوط الأحمدية وهذا أظهر لأن الجملة في طبعة الرباط غير مستقيمة
- وأن البياض بعد « أدركناه حيا » في طبعة الرباط ص 157 يقابله في مخطوط الأحمدية « وقد توفي في طريـق »

(34) الحاشية في صفحة 98 خاطئة لأن النقص في الطبعة الجزائرية يبتدىء من صفحة 96 لا من صفحـة 98

(35) لم نلحظ إلا بعض السهو في فهرس الأعلام التاريخية فقد أغفل ذكر صفحة 231 فيما يخص أبا عمرو بن الصلاح وصفحة 193 فيما يخص أبا داود صاحب السنن

تـاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس

تاليف : حسين مؤنس

نشـر : معهـد الـدراسات الاسلامية
مدريد 1386/1967

تقديم : صالح المغيربي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب مجموعة من الفصول تعقب فيها صاحبها تعقّبا تاريخيّا مادّة الجغرافية في الأندلس من خلال كتب الجغرافية والرّحلات والتاريخ والأدب والمعاجم التـي أمكنه الاطّلاع عليها .

في الفصل الأوّل حُدّدت أصول التأليف الجغرافي فأرجعت إلى ثلاثة أسس :

ــ أوّلا : إن الجغرافية والتاريخ عند الأندلسيين والمسلمين عامة فرعان متلازمان من شجرة المعارف التـي كانت تسمـى الأدب (1) وهذا ما يفسّر تداخل المادّتين عند العذري والبكري في مسالكه مثلا .

---

(1) ص 1

ـ ثانيا : إن تاريخ هروشيش (2) المنقول إلى العربية قد اتخذ مثالا يحتذى في التقديم للتّاريخ بالجغرافية كما هو الشأن في تاريخ الرّازي (3) والإحاطة لابن الخطيب .

ـ ثالثا : إن غاية ما نجده من تأثّر الجغرافيين الأندلسيين بالتقسيم البطليموسي هو إجماعهم على أنّ بلادهم تقع في الإقليم الرّابع والخامس والسادس وهذا يفسّر خطّ جغرافيتهم القائم غالبا على الرّحلة والمعاينة ويعلل انتماءها إلى فنّ « البلدان والمسالك » وبُعدها عن الاتجاه الفلكي .

وهذا الأساس الأخير من حيث المنهجية غريب إذ سبق التحليل فوجّهه وجهة معيّنة تعنى خاصة بالجغرافية الطبيعية والإدارية والإقتصادية والبشرية

بعد التمهيد انطلق حسين مؤنس يستعرض كلّ من ألفوا في الجغرافية فأورد تراجمهم (4) وعالج مشكل مؤلفاتهم إن اقتضى الأمر ذلك (5) ووضّح منهجهم وحصر نصيبهم من الابتكار أو النقل . وقامت دراسة المؤلفات إمّا على ذكر نماذج منها والتعليق عليها وإمّا على تحليل إجمالي . ولمّا كان استعراض المؤلفين تاريخيّا يصعب معه تقديم صلب الكتاب فضّلنا إدراجهم في أبواب تعتبر ميادينهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1) باب الجغرافيّين : في هذا الباب كانت أهمّ النتائج التي وصل إليها المؤلف في نظرنا هي تقسيم العذري الكنسي لا البطليموسي وتحديد دوره في توطيد الجغرافية الإدارية والاقتصادية كما يتجلى ذلك في القطعة الباقية من كتابه « نظام المرجان في المسالك والممالك » ونزعة البكري إلى الوصف

(2) عن ترجمة الكتاب ودور قاسم بن أصبغ البياني في الترجمة ص 30 — 54

(3) لم يبق من هذا التاريخ إلا قسمه الأول الجغرافي في وصف الأندلس ص 59

(4) في تدقيق التراجم أنظر مثلا ما قاله في تعليل اتصال الادريسي برجار وهو تعليل معقول ص 183 — 190

(5) أنظر مثلا مشكل مخطوطات « بسط الأرض » ونسبة الكتاب لعلي بن سعيد ص 495 — 497

الشامل في القطعة المطبوعة الخاصّة بالمغرب وفهم الإدريسي الصحيح للجغرافية ونصيبه من التجديد وضبط نوع «جغرافية» الزّهري الموجهة إلى التجار والجامعة بين العجائب والمعلومات عن البضائع والموانئ في البحر الأبيض المتوسط وتقنية علي بن سعيد الدّقيقة في «بسط الأرض» وحسن الاختيار والتنسيق فيما نقله.

2) الرحّالة : في هذا الباب ذكر ابراهيم بن يعقوب الطّرطوشي ولكنه لم يوف رحلته حقها من التحليل وفاته التنبيه إلى بحث كانار (Canard) (6) القيّم. ويختلف الأمر في دراسة «تحفة الألباب» و«المعرب» لأبي حامد الغرناطي إذ اعتمد كلّ الاعتماد على أبحاث فيران Ferrand وكرتشكوفسكي Kratchkovsky وديبلار Dubler فكانت المادّة دسمة. أمّا أبو بكر بن العربي فقد خصّه بترجمة ضافية واهتمّ بترتيب الرّحلة ليبرز أنّ صاحب هذا الكتاب (7) أوّل من وضع الأساس لفنّ الرّحلة. ولمّا انتقل إلى ابن جبير أبدى إعجابه برحلته وميزاتها ولاحظ أهمية المعلومات عن البحر والسفن فكانت ملاحظته طريفة ثم قابل رحلة ابن جبير برحلة العبدري فبيّن الفروق النّاشئة عن تباين مزاج الرّجلين واتجاههما (8) وأخيرا أكّد فيما يخصّ رحلات ابن الخطيب أنّها تمثل لونا آخر من الرّحلة تقلّ فوائده الجغرافية لأنّه مركّز على التصنع اللفظي ونستغرب أن لم تذكر رحلة الغزال إلى النورمان التي احتفظ لنا ابن دحية

(6) E.O.L.P. t. II p. 505-8

(7) الكتاب مفقود إلى الآن وقد اعتمد حسين مؤنس على فقرات رواها المقرى في نفح الطيب – انظر ص 409 – 410

(8) في قائمة المراجع يذكر طبعة الجزائر دون أن ينبه إلى النقص ص 518

بنتف منها نشرها للمرّة الأولى وترجمها دوزي Dosy (9) ثمّ أعاد نشرها سيبل Seippel (10) .

3) من المعاجم تعرّض حسين مؤنس إلى «معجم ما استعجم» للبكري ناقلا رأي دوزي في قيمته من حيث التأليف الجغرافي (11) ، ووقف على «الروض المعطار في خبر الأقطار» لمحمّد بن المنعم الصنهاجي الحميري معتمدا في فصله على المواد الخاصّة بالأندلس التي نشرها ليفي بروفنسال (Levi-Provençal) وعلى مقدّمة هذا المستشرق المستفيضة وقد أهمل معجما أندلسيّا هو «آكام المرجان» لاسحاق بن حسين (12) فوقع في وهم لمّا عد «معجم ما استعجم» أوّل معجم في تاريخ التأليف الجغرافي وذلك أنّ اسحاق بن حسين عاش قرنا تقريبا قبل البكري .

4) من المؤرّخين اهتمّ خاصّة بأحمد بن محمّد الرّازي وأبي عبد الله محمد بن يوسف الورّاق للدّور الذي لعباه في نشأة الجغرافية الأندلسية وتوجيهها . فالأوّل ينتقل من الجغرافية الطبيعية إلى الجغرافية الإدارية والبشرية وهي طريقة تأثّر بها أبو مروان بن حيّان في تاريخه «المقتبس» وكلّ من مهّد لمؤلّفه بالجغرافية والثاني مزج الجغرافية بالتاريخ وهي طريقة سار عليها العذري والبكري .

5) أمّا الأدباء فقد وقع الاختيار منهم على عبد الله بن ابراهيم بن وزمر الحجاري صاحب كتاب «المسهب» وابن بشكوال وأبي الحسن

---

(9) Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne t. II — 1881 ص LXXVI - LXXXVIII

(10) Rerum Normannicarum foutes Arabici, Oslo 1928 ص 13 — 20 الجزء الثاني من نفس المجلد

(11) ص 129 — 131

(12) تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكرتشكوفسكي — ترجمة عثمان هاشم — ص 229 — 230 وأندري ميكال André Miquel جغرافية العالم الإسلامي الإنسانية ص 262 — 265 حقق الآكام وترجمه كودازي A. Codazzi في Rendiconti della Reale Accademia dei Lincei — رومه 1929

علي بن سعيد وابن الخطيب واستخرج المؤلف المادّة الجغرافية من الفقرات الكثيرة التي نقلها المقّري من المسهب ومن فقرات لابن بشكوال وردت في نفح الطيّب ولا يعرف إلى أي كتبه تنتسب وهي في ذكر أبواب قرطبة وأرباضها كما استخرجها من كتاب المغرب وخاصّة من المقدّمة الجغرافية المفصّلة للأندلس ومن مقدّمة الإحاطة واللمحة البدرية . وقد أحسن انتقاء النماذج لأنّها تحمل القارىء على الإعجاب أو زيادة الإعجاب بهؤلاء الأدباء لما امتازت به مادّتهم الجغرافية طبيعية كانت أو سياسيلة أو اقتصادية أو طبوغرافية من معرفة جيّدة لبلدهم أو مدنهم ومن دقة في العرض .

لا يمكن طبعا أن نترقّب من الكتاب استقصاء المادّة الجغرافية في الأندلس (13) ومن صاحبه تحليلا عميقا دقيقا لكلّ أثر خاصّة وأنّه استعرض خمسة وعشرين علما لذا كانت الفصول تتفاوت قيمة حسب محتوى الأثر (14) وكثرة المراجع وقلتها ولكنّ الذي أدهشنا هو أنّ حسين مؤنس أنهى كتابه بجملة واحدة ولم يحاول في خاتمة ولو قصيرة تبويب حصيلة دراسته وخلاصة القول إنّ عمله رغم بعض الهنات مفيد يطلع القارىء على غزارة مادّة الجغرافية الأندلسية واتجاهاتها وتنوّعها ويمدّه بمصادر ومراجع كثيرة وهو تمهيد لدراسة هذه الجغرافية دراسة تبين ظروف نشأتها وتتعقّب الفنون فنّا فنّا وكيفية تلاقحها وترسم مراحل تطوّرها وتحلل طرق العرض وتضبط خاصّة دور الأندلسيين في تاريخ الجغرافية الإسلامية .

---

(13) نلاحظ بهذا الصدد أن المؤلف أهمل بعض الآثار نضيف إلى المشار إليها سابقا النص الذي أعاد نشره بلا Pellat : Le Calendrie de Cordone وأن عددا كبيرا من كتب التاريخ التي يرجح أن تبدأ بفصول جغرافية لم يعثر عليها بعد . انظر ص 21 — 25

(14) للمؤلف سعة اطلاع بجغرافية الأندلس الطبيعية وطبوغرافية المدن ومعرفة دقيقة بالمصطلحات الجغرافية الأندلسية لذا كانت المعلومات في هذه الأغراض قيمة

رحلـة الأدب العـربي الى أوربـا

تاليف : محمد مفيد الشوباشي

دار المعـارف بمصـر 1968
260 صفحة .

تقديم : محمـود طرشـونـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما فتىء موضوع الصلة بين الأدب العربي والأدب الغربي في القرون الوسطى يثير اهتمام الدارسين المستشرقين والعرب منذ اتضح تأثر الشعراء التروبادور (Troubadours) بالموشحات والأزجال الأندلسية (1) ، وتأثر دانتي (Dante) بالثقافة الإسلامية (2) . وظهر بين المستشرقين

---

(1) *Nykl. A.R.* « L'influence arabe andalouse sur les troubadours « *Bulletin hispanique*, 41, 1939

Henri Perès « La poésie arabe d'Andalousie et ses relations possibles avec la poésie des troubadours » l'Islam et l'Occident *Cahiers du Sud*, 1947, pp. 107-130

Lévi-Provençal « Poésie arabe d'Espagne et poésie d'Europe médiévale » *Islam d'Occident. Paris* 1948 *pp.* 283-304

G. Gomez « La poésie hyrique hispano arabe et l'apparition de la hyrique romane » *Arabica* 1958 *pp.* 113-144

Lemay « A propos de l'origine arabe des troubadours » Annales. Economie. Sociologie *Civilisation Fasc.* 5 1966

(2) *Miguel Asin Palacios* « La escatologia musulmana en la Divina Comedia » *Madrid* 1919. 2e *éd.* 1943. *Trad. française Paris* 1924

شقان : شقّ منصف يثبت فضل الأدب العربي بكل تجرّد ، وشق متعصب لأوربا يسعى إلى التنقيص من قيمة هذا الفضل . أمّا الباحثون العرب فقد تبنوا نتائج دراسات المنصفين وتحاملوا على منكري فضل العرب على الغرب .

وكتاب محمد مفيد الشوباشي « رحلة الأدب العربي إلى أوربا » يندرج في هذا التيار المتحامل لما اتصف به من عنف في اللهجة ، وتسرّع في الأحكام ، وعقم في منهج البحث . وقد رأينا من المفيد التنبيه إلى بعض الأخطاء المنهجية حتى لا تتسرّب انعكاساتها إلى طرقنا في البحث .

اعتزم المؤلف تقسيم كتابه إلى بابين متعادلين من حيث عدد الصفحات بقطع النظر عن محتوى كل باب . فجعل موضوع الباب الأوّل « تنقّل الثقافات عبر القرون وتزاوجها وتوالدها » وجعل موضوع الباب الثاني « خصائص الأدبين العربي والأوربي » ولمّا كان الكتاب خاليا من جميع أنواع الفهارس – بما في ذلك فهرس المواضيع – فإن الناظر في هذين العنوانين يظن أن المؤلف خصص الباب الأوّل لقسم نظري عام والباب الثاني لقسم تطبيقي خاص بتأثير الأدب العربي في الأدب الأوربي . الاّ أن مجرّد النظر في العناوين الفرعية لكل باب يفاجيء القارىء بمواضيع غير متوقعة . فقد قسّم المؤلف الباب الأوّل إلى ستة فصول تحمل العناوين التالية : « تطور الأدب والفن » ، « العلم وتطور الأدب » ، « عوامل التطور المحلية » (3) ، « الأثر المتبادل بين اللغة والأدب » ، « العوامل الخارجية لتطوّر الأدب » ، « الأدب العربي في أوربا » . فإذا استثنينا الفصل الأخير لاحظنا أن الفصول الخمسة الأولى ليست لها أية علاقة بموضوع الكتاب . فهي مقالات صحفية من صنف ما ينشر في بعض المجلات لترويج اراء مبتذلة لا تفيد البحث ولا الأدب . فالفصل الأوّل مثلا قد خصصه المؤلف

(3) ينقسم هذا الفصل بدوره إلى ثلاثة فروع « الأثر المتبادل بين الفنان ومجتمعه » « أثر المجتمع في تطور الأدب والفن » ، « أثر الفرد في تطور المجتمع »

لمناقشة إعجاب « هيجل » (Hegel) بالثقافة اليونانية ، ولأدلة تثبت التقدّم الحضاري المطّرد ، وللتهجم على الرأسمالية « لأن الصراع الطبقي – في نظر الكاتب – هو المحرّك الأساسي للمجتمعات » (ص 17) ، ثم شعر أنه لم يشرع بعدُ في طرق الموضوع فنبّه القارىء – ولعلّه ينبّه نفسه ! – بقوله : « وقد يسأل سائل ما صلة الاراء المتقدّمة بموضوع هذا الكتاب ؟ » فيجيب بأن « البحوث أثبتت تأثّر الفكر الغربي بالثقافة العربية ، ومن الطبيعي أن تقابل هذه البحوث بالسخط من جانب مفكّري العالم الرأسمالي » (ص 18) .

لهذا السبب عاد ثانية إلى التهجم على هذا النظام الاقتصادي في الفصل الثاني الذي اعتزم تخصيصه « لمناقشة منكري الصلة بين التقدم العلمي والتقدم الأدبي » (ص 21) . فتحدّث في هذا الفصل عن كل شيء الاّ عن الموضوع الذي حدّده لنفسه . فقد عرض نظرية « دروين » (Darwin) في النشوء والارتقاء ، ثم لخص كتاب « صلة الأدب بالعلم » لألدوس هاكسلي (A. Huxley) ، ثم عاد ثانية إلى رأي « هيجل » في الثقافة اليونانية وقابله برأي « كانت » (Kant) في الأدب والفن ثم ذكر تعريفاً للفن ، ثم أثبت تأثر العلم والأدب كل منهما بالاخر ، فعرض آراء فلاسفة القرن الثامن عشر « العقليين » وفلاسفة القرن التاسع عشر « الواقعيين » في الموضوع . ثم وصل إلى هذا التصريح المتفائل : « غير أن النظام السياسي الجائر الذي خلق تلك الأزمة يوشك أن ينهار ، ويخلي السبيل للإشتراكية التي تتوخى القضاء على استغلال الإنسان للإنسان وإحلال العدالة الإجتماعية محلّ الجور والطغيان » (ص 30) وختم الفصل بفضل العلم والردّ على روسو(Rousseau) وطاغور (Tagore) !

وعلى هذا النسق « ينتظم » في بقية الفصول استعراض لمعارف المؤلّف في مختلف المواضيع وسَرْدٌ لكل ما تعلّمه من مطالعاته . فتجد اراء « سانت بوف » (Sainte-Beuve) و« تان » (Taine) في النقد ، كما تجد شيئا من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ مصر القديمة ، وتجد تلخيصا لمؤلفات روسو ومسرحيات « بومارشي » (Beaumarchais) وقصص بلزاك (Balzac) وتولستوي (Tolstoï) ودوستويفسكي (Dostoïevsky) (الفصل الثالث) كما تجد نقاشا حول الفصحى والعامية (الفصل الرابع) ، وتجد أثر غزو نابليون (Napoléon) لمصر ، كما تجد تعريفا للأدب المقارن (الفصل الخامس) . وتنتهي من هذه الجولة عبر تراث الإنسانية الثقافي في الصفحة السادسة بعد المائة فتدرك أن كل ما سبق لا تربطه بالموضوع أية صلة وأن « البحث » يبدأ في الفصل السادس .

وفعلا ، فإن اللهجة قد تغيّرت : فبعد أن كانت لهجة نضال صارت غنائية تمجّد فضل العرب وتشير إلى سُبُل تسرّب ثقافتهم إلى أوربا . ويظهر أن هذا الفصل هو لبّ الكتاب لأن الباب الثاني ، رغم انقسامه إلى ستة فصول ، فإنه لم يُضِفْ شيئا يذكر إلى هذا الفصل . ولمّا كان المؤلف والناشر قد أهملا إدراج فهرس للمواضيع فإن عرض عناوين الفصول في هذا التقديم يساعد على استعمال الكتاب :

الفصل الأول « خصائص الأدب العربي » (ص 131—147) .

الفصل الثاني « الشعر العربي من حيث الشكل » (ص 148—162) .

الفصل الثالث « مضامين الشعر العربي ومعانيه » (ص 163—190) .

الفصل الرابع « القصة العربية من حيث الشكل » (ص 191—204) .

الفصل الخامس « مضامين القصة العربية القديمة » (ص 205—239) .

الفصل السادس « أثر الأدب العربي في القصة الأوربية » (ص 240—259) .

فهذا الباب الثاني إذن أقرب صلة بالموضوع وأكثر فوائد من الباب الأوّل رغم أنه جاء مفصّلا للعموميات التي عرضها المؤلف في الفصل السادس من الباب الأوّل (ص 107—128) . إلاّ أن طريقة التأليف تنقص من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قيمة هذا المحتوى فزيادة على خلو الكتاب من الفهارس ، وزيادة على خروج ست ومائة صفحة عن موضوعه ، فإن القارىء يلاحظ عدم توازن في عرض المادّة ، من ذلك أن الفصل الثالث من الباب الثاني الذي جعله المؤلف لأغراض الشعر العربي المختلفة قد احتوى على خمس وعشرين صفحة (163–187) لدراسة الغزل في الأدب العربي وأثرِه في شعراء « بروفانس » (Provence) بينما احتوت الصفحات الثلاث الباقية على سائر أغراض الشعر العربي بمعدّل فقرة لكل من المديح والهجاء والفخر والوصف والحِكم والأمثال والشعر السياسي والحنين إلى الأوطان . وتطغى نفس الظاهرة على الفصل الرابع الذي أطال فيه الكاتب الحديث عن القَصص البطولي والقَصص الغرامي ثم خصص صفحة واحدة قسمها بين المقامات وقصص الحيوانات وألف ليلة وليلة . وهذه الأنواع الثلاثة وحدها تحتاج إلى كتاب ...

ويرافق هذا العرضَ السريع أحكام خطيرة تحتاج إلى عديد الأدلة . والكاتب نفسه لا يرى ضرورة هذه الأدلة . فهو يثبت أن « الذي يمتحن الحركة الأدبية الأوربية منذ غزو العرب لجنوب فرنسا حتى عصر النهضة لا يحتاج إلى تنقيب وتدقيق ليدرك مدى تأثرها بتلك الأنواع الأدبية العربية التي ذكرناها . فسيبدو له في وضوح ما طرأ على الشعر والقصة في فرنسا من تغيّر مفاجىء على إثر تخطي الأدب العربي لجبال البرانس (Pyrénées) » (ص 144) .

وإذا كان المؤلف يشعر ببرد اليقين بدون حجج فنحن نحتاج إلى أدلة لإثبات بعض هذه الأحكام : « اعتادت (المرأة الأوربية) أن تضع تحت زنّارها قفصا من السلك لتبدو ممتلئة الردفين ، وقد حاولت بذلك أن تبدو في مثل قوام المرأة العربية التي صوّرها الشعراء في أبيات كثيرة » (ص 168) ! « وفي الوقت الذي تحاشت المرأة الأوربية فيه الاستحمام ظنا منها أن عدم العناية بنظافة جسدها دليل على عفتها ، كانت المرأة العربية تدرك أن النظافة

من الإيمان وتكثر من الإستحمام » (ص 168) (4) « وحتى الحجاب الذي عابه الأوربيون على الشرقيات قلّدته المرأة الغربية ، والنقاب الشفاف الذي تستعمله الأوربيات الأنيقات إلى اليوم دليل على ذلك » (ص 169) أما قصص كليلة ودمنة فقد « أجراها كاتبها العربي النشأة وإن كان فارسي الأصل على لسان فيلسوف هندي . ولكن أحدا لم يعرف لها أصلا إلاّ ذلك الأصل العربي . ومن المعروف أنها كانت مصدرا لقصص أوربية كثيرة كتبها الأوربيون على غرارها » (ص 204) (5) . « وبوكاشيو (Boccace) جار على قصص ألف ليلة وليلة فنقل بعضها نقلا في مجموعته المسمّاة « ديكاميرون » (Décaméron) (ص 192) (6) .

ويظهر التسرع أيضا في أخطاء تنمّ عن جهل بمبادىء مدرسية في تاريخ البلاد الإسلامية . قال المؤلف ص 230 : « لم يطق جميل فراق بثينة فتبعها إلى القاهرة وفوجىء بنبإ وفاتها » وقد فاته أن جميلا توفي سنة 82هـ/701م وأن القاهرة لم تؤسس إلا سنة 359هـ/969م . وحتى إذا نزّهنا « الباحث » عن مثل هذه الأخطاء ونسبناها إلى القُصاص الذين تصرّفوا في قصة جميل وأضافوا إليها من الخيال الشعبي مواقف جديدة فلا يغتفر للمؤلف إهماله

(4) يجب أن نستعين لإثبات ذلك بما أكده الطرطوشي خلال تجواله في بلاد الافرنج بقوله : « ولكنك لن ترى أبدا أكثر منهم قذارة ! إنهم لا ينظفون أنفسهم ولا يستحمون إلا مرة أو مرتين في السنة بالماء البارد . وأما ثيابهم ، فإنهم لا يغسلونها بعد أن يرتدوها حتى تصبح خرقا بالية مهلهلة» ذكرت هذه الجملة في كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» لزيفريد هونكه (Z Hunke) تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي . بيروت 1964 . ص 54

(5) غاب عن الكاتب كل الأصول الهندية والفارسية التي ذكرها شوفان (V. Chauvin) في كتابه «... « Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux arabes » Liège 1892 Fasc. VI

(6) يجب أن نعود بأنفسنا إلى الكتابين لنعرف أن القصة الخامسة من الليلة الأولى والقصتين السادسة والسابعة من الليلة الثانية والقصة العاشرة من الليلة الثامنة والقصة الثامنة من الليلة العاشرة متأثرة بقصة السندباد في ألف ليلة وليلة وأن بقية قصص بوكاشيو (Boccace) متأثرة أيضا « بكليلة ودمنة » وكتاب « الأمثال » للميداني ونوادر أبي حيان في « الامتناع والمؤانسة » René Khawam « Nouvelles arabes » Paris 1964 p. 16

هذا التوضيح . ومن جهة أخرى فإن القُصاص قد استغلوا حياة جميل في القرن الثاني لا الرابع (7) .

وهناك نقص في طريقة البحث يتمثل في إهمال المراجع التي استعان بها المؤلف . فهو يكتفي بذكر إسم الباحث دون أن يشير إلى عنوان كتابه وإن ذكر الكتاب فهو يهمل الصفحات . مثال ذلك ما نجده (ص 114) « ويرى المؤرخ « نيكل » أن ذلك الشاعر الأمير افتتح عهد ازدهار الشعر في بروفانس » فلا نعرف عنوان كتاب « نيكل » ولا الصفحة التي ذكر فيها هذا العلم . وأما إذا كان الفصل في مجلة فإن الكاتب يكتفي بقوله : « ونقد « بيديه » (Bédier) هذا الرأي في بحث نشره في « مجلة العالمين » (Revue des deux mondes) (ص 119) أو « وفي أحد أعداد مجلة « النقد » (Critique) كتب « بول ميير .... (Paul Mayer) » (ص 119) .

إذن فقد وجب على القارىء مطالعة كامل أعداد « مجلة العالمين » ومجلة « النقد » ليتأكد من صحة هذه الشواهد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن جهة أخرى فإن أسماء المؤلفين مكتوبة بالحروف العربية فقط . وهذا أمر لا يسهل البحث عنها خاصة بالنسبة لأسماء المستشرقين الذين نشروا بحوثا قليلة . فمن هم (8) « ماريوس جويار » و« شيلودكو » و« بينييت دي سان مور » و« هـ.ج. تشيتور » وما هي قصة « فلوار وبلانشفلور » وما هي قصة « سكوايرتيل » لتشوسر ؟ فهذه طلاسم لا ينكشف سرّها إلاّ إذا كتبت بحروفها الأصلية .

والأخطر من كل هذا هو اعتماد المؤلف على أقوال الباحثين لتأكيد تأثير الأدب العربي في الأدب الأوربي وتهويل هذا التأثير بكلام طويل

(7) دائرة المعارف الاسلامية – الطبعة الثانية . المجلد الثاني ص 438

(8) نثبت هذه الأسماء كما وردت في الكتاب لإبراز ما في الاقتصار على كتابتها بالحروف العربية من إبهام

دون أن يرى موجبا لتحليل نصوص ومقابلتها ، فإننا لا نرى مواقف قصصية متشابهة بل تلميحا إلى أشكال غامضة لا تقنع القارىء بوجود أثر لها في آداب أجنبيـة .

ويمكن مع ذلك أن نستثني تحليل الكاتب لـ« قصة كليب » (التي لم يذكر مؤلفها) . فقد استغلها استغلالا حسنا ليثبت « أن جليلة (أخت كليب) أول شخصية روائية وقفت بين واجبين متعارضين ، واجب الزوجية وواجب الأخوة وكابدت هول مثل هذا الموقف .... » (ص 214) . وقد وجد المؤلف نفس الموقف في مسرحيتين بعنـوان « السيد » (El Cid) لـدي كاسترو (De Castro) الاسبـانـي وكرنـاي (Corneille) الفرنسـي . وهنا أيضا يكتفي محمد مفيد الشوبـاشي بذكر العنـوانين والمؤلفين دون أن يقارن بين المواقف والشخصيات ويصور خاصة كيف وصلت « قصة كليب » إلى اسبانيا ثم كيف بلغت فرنسا ومن ترجمها إلى اللاتينية أو الرومـانية (Roman) ومتى ترجمت إلى الفرنسية . كل هذه الأسئلة لا تهمّ مؤلف كتاب « رحلة الأدب العربي إلى أوربا » فإن « الرحلة » لا تهمه بقدر ما يهمه التصريح عديد المرّات أن الأدب العربي من أهمّ أصول نهضة الأدب الأوربي وأن الغرب مدين للشرق بعديد الفنون الشعرية والقصصية وإن كان ذلك على حساب التنقيص من أهمية الأدبين اليوناني واللاتيني .

فليس بهذه الطريقة نتمكّن من « تصويب اتجاه فكري اختلّ عندنا كلّ الاختلال إذ نظر أصحابه إلى تراثنا الأدبي نظرة استخفاف في حين أعجبوا بالأدب الأوربي إعجابا بلغ حدّ التقديس ، ونتج عن ذلك أن قطعوا أسباب صلتهم بالأدب العربي ، وارتضوا لأنفسهم التبعية الثقافية الغربية ، والوقوف عند محاكاتها ، وفقدوا كلّ ثقة بقومهم وبأنفسهم » (9) فما أيسر المقال وما أطول الطريق ....

(9) خاتمة الكتاب ص 260

الكتابـة العـربية في أزمـة

مشاريع مجمع القاهرة الاصلاحية (1938 ـ 1968)

Roland Meynet

L'Ecriture Arabe en question

Les projets de l'Académie de langue arabe du Caire de 1938 à 1968

Imprimerie Catholique 1971; 142 p

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقديم : محمد رشاد الحمزاوي

إن قضية إصلاح الكتابة العربية وجعلها وافية بمقتضيات العلوم العصرية تعتبر من أهمات مشاكل العربية ومن أهم أهداف مجمع اللغة العربية الذي كون سنة 1932 ولقد أخذ المجمع القاهري على عاتقه ان يصلحها وفاء منه بالجهود التي سبقته في هذا الميدان لا سيما جهود أدباء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وسعيا منه إلى تجسيم جهوده ضمن برنامج جماعي مخطط هدفه الحصول على إجماع لغوي يضمن ذلك الإصلاح ويوفر له أسباب النجاح البيداغوجية والعلمية .

ويعتبر الموضوع الذي اهتـم به السيد Meynet والذي اقتـرحنا عليه معالجته (1) محاولة لتأريخ سعي المجمع في هذا الميدان بالذات ووصف مناهجه في طرق الموضوع وتحليل الحلول التـي ناقشها ودرسها . فهو يكون في حد ذاته مبادرة على غاية من الفائدة لا سيما وأنها تسعى إلى أن تقدم لنا حصيلة عمل المجمع في هذا الميدان طيلة ثلاثين سنة .

فلقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة عامة وقصيرة جدا (ص 7—11) وإلى أربعة فصول وخاتمة . فهو يقدم لنا في الفصل الأول (ص 15—34) نظـرة تاريخية عن أصل الكتابة العربية ومكانتها من الكتابة السامية والاندوأوربية كما يقدم لنا نظرة موجزة عن الهنات التي يؤاخذ بها العرب الكتابة العربية اليدوية والاملاء والالة الراقنة وخاصة الكتابة المطبوعة التي مثل لها الكاتب ولمشاكلها بأربع لوحات من كاسات المطبعة الأميرية التي كانت تحوي قبل مشروع إصلاح المجمع 470 كاسة وهو مجموع صور الحروف المستعملة في الطباعة ا نذاك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الفصل الثاني (ص 37—63) فهو يتعلق بموقف المجمع من القضية وبالمحاولات الشخصية والجماعية التي سعت لإصلاح الكتابة أولها مشروع المجمع في وضع نظام من الحروف لنقل الحروف الاجنبية اقتداء بما وضعه علماء الأصوات والمستشرقون خاصة لنقل حروف العربية وغيرها إلى لغاتهم . ويلي هذا المشروع مشروع عبد العزيز فهمـي الداعي إلى تعويض الكتابة العربية بالكتابة اللاتينية . ولقد لاقى معارضة شديدة بالمجمع رغم تأييد طه حسين له ولجرأته . ويليه مشروع على الجارم الداعي إلى المحافظة على الخط العربـي مع إدماج الحركات في صلب الكلمة مثلما هو الشأن في الكتابة اللاتينية .

---

(1) لقد عالجنا موضوع إصلاح الكتابة في المجمع في أطروحتنا « مجمع اللغة العربية تاريخه وأعماله » دون ان نتعرض بالتفصيل إلى المناضرة التي نظمها المجمع والتي تمخضت عما يقرب من 286 مشروعا اقترحنا على السيد Meynet ان يهتم بها ويحللها في كتابه المذكور أعلاه .

أما المشروع الرابع فهو مشروع محمود تيمور وهو يدعو إلى إستعمال صورة واحدة لأغلب الحروف في الأول والوسط والاخر مما يجعل الكتابة تشابه الكتابة الكوفية . يضاف إلى هذه المشاريع مشاريع كثيرة شارك بها أصحابها في المناظرة التي نظمها المجمع لحل مشكلة الكتابة العربية .

ذلك ما يكون موضوع الفصل الثالث (ص 65—85) الذي يحوي أيضا 72 لوحة تمثل تقريبا 72 مشروعا الموجهة إلى المجمع والساعية إلى الحصول على جائزته ومقدارها 1000 جنيه مصرية . ويشترط في كل مشروع الا يخرج مبدئيا عن أصول الكتابة العربية وألا يستبدلها بغيرها . ولقد اعتنى الكاتب في هذا الفصل اعتناء خاصا بتصنيف تلك المشاريع فرتبّها حسب فترات زمنية معيّنة وحسب الأقطار العربية التي أتت منها مبينًا بذلك مساهمة كل قطر في الموضوع . ولقد شاركت مصر بـ145 مشروعا وتبعها لبنان بـ25 مشروعا وسوريا بـ20 مشروعا وأوربا بـ15 مشروعا والهند بأربعة مشاريع . أما من شمال إفريقيا فلقد اتت ثلاثة مشاريع من المغرب الأقصى وإثنان من تونس وواحد من الجزائر . ولقد صنف الكاتب تلك المشاريع حسب تسع مميزات وهي :

1 — استعمال الحروف اللاتينية .
2 — اختراع حروف جديـدة .
3 — حذف النقط أو إيجاز صورها .
4 — ترابـط الحـروف .
5 — إدماج الحركات في صلب الكلمة .
6 — تحوير الحروف اعتماداً على الحركات .
7 — ربط الحركـات بالحروف .
8 — استعمـال صورة واحـدة لكل حـرف .
9 — تبديل اتجاه الكتابة العربية من اليسار إلى اليمين واستعمال رموز جديدة . ولقد رفضها المجمع كلها واكتفى بوضع مشروع خاص به وذلك مما جعل الكاتب يخصص له فصله الرابع .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

سمى هذا الفصل بالاصلاح المستحيل (ص 81—72) معللا ذلك بأسباب كثيرة منها علاقة الكتابة العربية بالفن وبالقرآن وبالتراث والماضي وبقضايا سياسية لغوية مما يجعل العرب يميلون إلى المحافظة على الكتابة العربية المنقوصة ولا يأتون بحلول مفيدة في هذا الميدان رغم مشروع المجمع الجديد الذي يوجز الكاسات العربية من 470 إلى 135 صورة وهو ما يقربها من الكاسات الفرنسية التي تعد 115 كاسة . ولقد عزز الكاتب رأيه هذا بخاتمة (ص 93—124) ضمنها مشاكل لغوية أخرى صرفية ونحوية ومعجمية الخ لا تتصل بموضوعه الأصلي ملاحظا أنها لم تعالج معالجة جذرية لان المجمع لم يتخلص مما يسميه الكاتب بالاساطير الثلاثة أو أضغاث أحلام العرب والمجمع التي لا يؤيدها الواقع وأولها أن لغة العرب لن تتطور إذ أنهم ربطوها ربطا وثيقا بالقرآن لا سيما عندما تثار قضية اللهجات . أما الأسطورة الثانية فهي تتعلق بالوحدة العربية السياسية والثقافية لأن اللغة تقوم عند العرب مقام الرابط الذي يشد الماضي إلى المستقبل حسب رأيهم . بقيت الأسطورة الثالثة وهي تتعلق باعتقاد العرب أنهم سيعيدون مجدهم ان تشبثوا بعصرهم الذهبي وتراثه فهم ينزعون إلى إقامة صرحهم في العصور الحديثة على سلفيه دينية ولغوية تعتمد الفصاحة القديمة ويغوصون في الماضي هاربين من الحاضر والمستقبل ومشاكلهما التي تدعو إلى التخلص من هذه الاوهام والاساطير . وكان عليهم أن يضعوا مشاكلهم وضعا علميا يساعدهم على ان يجعلوا من شعوبهم الشابة شعوبا جديدة على حد تعبير المستشرق الفرنسي جاك بارك .

لقد أثار هذا الكتاب مشاكل هامة ما زالت تسترعي الانتباه لارتباطها بماهية الثقافة العربية ومستقبلها . ولقد وضع المؤلف هذا الكتاب للحصول على شهادة الكفاءة في الاداب بجامعة ايكس بفرنسا . فأتى موافقا لطبيعة تلك الشهادة وحدودها وإن كان الكاتب قد خرج في مقدمته وفي بداية الفصل الأول عن حدود الموضوع المطروق . فلقد تحدث عن اعتبارات عامة أصبحت

مبتذلة متعسفة تستحق النظر . وهي تتعلق بنزعة العرب في حصر مشاكلهم الحضارية كلها في اللغة وربطها بالدين مما يجعل الكاتب بيدي احكاما مسبقة قبل أن يعرض موضوعه ومختلف الاراء فيه ليميز بين ما يدعو إلى الرأي الديني الذي تحدث عنه في عجالة غريبة وما يدعو إلى التحرر بتسليط المعايير العلميّة على الدراسات اللغوية .

ولقد أبعدنا المؤلف أيضا عن الموضوع الرئيسي لما حشا كتابه بـاراء معروفة لا تحتاج إلى تكرار لأنها لا تأتي بجديد وهي تهم الفصائل اللغوية في العالم ومكانة العربية منها (ص 16—18) . يضاف إلى ذلك أنه أسرع في عرض أربع لوحات من صندوق كاسات بولاق لا صلة لها بمشاكل الكتابة عامة وكان يحسن به ان يضعها في الفصل الذي يطرق فيه مشروع الاصلاح الذي قدمه المجمع والذي انطلق من كاسات مطبعة بولاق وبنى عليها إصلاحاته المذكورة في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نلاحظ في هذا الصدد أن الكاتب قد تهاون بمشروع المجمع في وضع نظام رسم صوتي يسمح بنقل أصوات اللغات اللاطينية واليونانية والاسلامية الخ إلى العربية قدوة بنظام رسم الأصوات الذي وضعته ندوة كُوبِنْهَاغِنْ العالمية سنة 1925 . ولقد قام المجمع في هذا الميدان بمجهودات فريدة من نوعها في تاريخ العربية وضع إثرها أربعة مشاريع لمعالجة هذه القضية الهامة التي تتصل اتصالا وثيقا بنقل العلوم نقلا صحيحا وبتزويد العربية بأصوات جديدة . وتعتبر هذه الجهود التي لم تطبق تطبيقا مفيدا من أهم المحاولات المنهجية التي يمكن أن يكون لها صدى في تطوير نظرة العرب إلى نظامهم الصوتي وإصلاحه إصلاحا علميا يتطلب مراحل عديدة لا سيما عند ما نعلم أن إصلاح الكتابة لا يمكن أن يتحقق دفعة واحدة بل يحتاج إلى توعية وممارسة . ويحسن بنا أن نضيف في هذا الصدد أن المجمع قد وضع مشروعا شبه رسمي لم يتعرض إليه الكاتب . وهو يتعلق بوضع نظام رسم حرفي موحد لنقل جميع اللهجات العربية .

أما فيما يتعلق بـالمشاريع الفرديـة التي عرضت على المجمع فإنه فـات المؤلف أن يبين أنها لم تكن جديدة في مبادئها وفي مظاهرها التطبيقية . فمشروع عبد العزيز فهمـي قد سبقه إليه الصومالي يوسف عثمان ومشروع على الجارم قد سبـــق إليه Louis Machuel مـــدير التعليم العمـومـي بتـــونس سنة 1910 . أما مشروع محمود تيمور فلقد سبقه إليه الزهاوي والأب انستاس الكرملي بالعراق وريبرا باسبانيا وأحمد الأخضر بالمغرب الأقصى . وكان من المفيد أن يقارن الكاتب بين هذه المشاريع ليوضح لنا قيمة مشاريع هؤلاء المجمعيين . أما المشاريع التي بلغت 286 مشروعا والتي لم تفز بالجائزة فإن الكاتب قد عرضها عرضا تقريريا جافا . فلم يبيّن صلات بعضها ببعض كما لم يبين لنا أسباب اقتصاره على بعضها دون البعض الاخر . فاين الباقي منها ؟ فليت الكاتب زوّدنا برأيه في الموضوع وتبسط فيه وتجنب الأحكام العامة المتعسفة احيانا التي تفسر فشل هذه المشاريع بعامل القرآن الذي يبدو أنه يقف حجر عثرة في سبيل إصلاح الكتابة . ومن المفيد أن ننبهه إلى أن مجمع اللغة قد قرر منذ بدايته فصل الكتابة المطبوعة عن كتابة المصحف التي احتفظ بها لتقاليد معروفة وإن كان يوجد من العرب من يرى وجوب إخضاع كتابة المصحف للإصلاح الجديد . ويشهد بذلك العدد الذي خصصته مجلة الهلال للقرآن . ويمكن أن ندرج في أحكام الكاتب العامة اعتماده تصريحات صحفي فرنسي تتعلق بقرار ليبيا بمسح جميع الكتابات الاجنبية . ولقد استنتج منها الكاتب أن العامل الديني لن يسمح بأي إصلاح . فمتى أصبحت تصريحات الصحافيين النادرة تتخذ مرجعا علميا ؟ ونستغرب من الكاتب اذ انه يجعل قرارات ليبيا لازمة الدول العربية الأخرى وهي أغلبية لم تفعل ما فعلته ليبيا ؟ وما رأي الكاتب في دراسات الجامعيين العرب وأعضاء مجمع اللغة الذين يؤاخذون بصريح اعتراف المؤلف نفسه ، لغتهم على تأخرها وتحجرها ويضعون المشكل في إطاره اللغوي الحقيقي ؟ ذلك ما يؤيده الكاتب قليلا (ص 92) دون أن يتخلى عن نظرته الخاصة التي ما انفكت تخلط بين موضوع الكتابة ومواضيع هامة لا صلة لها بالموضوع مثل إصلاح النحو والصرف

واللهجات الخ . وكان من الامانة العلمية الا تعرض عرضا سطحيا وتستنتج منها أحكام عامة وسريعة تعتمد أراء المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي يغلب عليها الأدب كذا اراء المستشرقين الكلاسيكيين ومنهم رجال الكنيسة الكاتوليكية في الشرق العربي خاصة . فلقد ظلت تلك الاراء تقدم نظرة العرب إلى لغتهم حسب نظرة فولكلورية اختصوا بها دون غيرهم أساسها ربط مشاكل الكتابة واللغة بالدين والماضي الثقافي والوحدة السياسية . ولقد فات الكاتب مظهر هام مفاده أن هذه النظرة وإن كانت موجودة فإنها لا تمثل رأي جميع العرب في القضية كما أنها لا تعتبر القول الفصل في هذا الشأن . فيكفيه ان يراجع مناقشات مجمع اللغة ليلاحظ الصراع المستمر القائم بين أهل المحافظة وأهل التجديد من الجامعيين العلميين وليرى ما آل إليه المجمع من قرارات إصلاحية تستحق الاعتبار . وهذا ما يجعلنا نعتبر أنه يحسن الا يعالج الكاتب مواضيع هامة في صفحات قليلة ويحكم عليها حكما عاما ناتجا عن قصور منهجية المؤلف لاعن محتوى دراسات المجمع وقيمتها الحقيقية . ولعله من المفيد الا يعتبر ان ظاهرة المحافظة اللغوية هي من خاصيات العرب بل هي تشمل تقريبا جميع الأقطار السائرة نحو النمو وغيرها . ويحسن في هذا الصدد أن نترك آراء متأدبي المستشرقين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وأن نضع مشكل اللغة في إطاره الاجتماعي والاقتصادي وفي حدود إمكانيات العرب المادية ووسائلهم التقنية حتى نتمكن من وصف الواقع اللغوي وصفا موضوعيا . إن الكتابة لن تتطور على أيدي الأدباء بل على أيدي الفنيين من مهندسين وطباعين وخطاطين الذين يجب عليهم أن يتخلصوا من هيمنة الأدباء .

إن هذه الملاحظات السريعة لا تقل من أهميته مساهمة السيد Meynet الذي كان له الفضل في التعريف بهذه القضية الشائكة وما تمخض عنها من أعمال ومشاريع واختلافات تدل على ان العلميين من العرب وعددهم اليوم كثير ليسوا راضين على ما وصلوا إليه من حلول أقل ما يقال فيها إنها تعبر عن حيرتهم لا عن إطمئنانهم .

محمد رشاد الحمزاوي

العربية العصرية : تطورها المعجمي والأسلوبي

Jaroslav Stetkevyeh
The Modern Arabic literary language

Lexical and Stylistic developments
The University of Chicago press 1972 - 135 p

تقديم : محمد رشاد الحمزاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد أصبحت قضية العربية العصرية من القضايا التي استجلبت انتباه المستشرقين وعنايتهم . فلقد سبقوا ابناء العربية إلى تصنيف مظاهرها الهامة وترتيب أبوابها وإبراز مميزاتها . وهي نزعة فطنة ابتدأها الألماني Hans Wehr بوضع معجمه المخصص للعربية العصرية (1) لا سيما عربية الجرات والكتاب ووضع بعده الفرنسي Vincent Monteil كتابه « العربيـــة العصرية » (2) الذي تناول أغلب مظاهر العربية العصرية والتي تعرضنا لها بدورنا بالوصف

---

(1) Hans Wehr, A Dictionary of modern arabic, - Wiesbaden 1966 - 1110 p.
ولقد ترجم هذا المعجم عن الألمانية . وهو يعتبر ملحقا وتكلمة للمجمع العربي وضعه صاحبه قدوة بعمل الهولندي ((Dosy) دوزي . ومن المفيد ان تلاحظ أن معجم (Wehr) ليس مؤرخا وذلك عيب من عيوبه .

(2) Vincent Monteil, l'Arabe moderne - Paris 1960; 381 p.

والتحليل إعتماداً على أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق (3) . أما الأمركي انور شحنه وهو عربي الأصل فإنه وضع كتابا عام المقاصد أسماه «العربية في التاريخ» (4) تحدث فيه عن تاريخ الدراسات اللغوية القديمة والحديثة .

ويعتبر المؤلف الذي يقـدمه لنا الكاتب الامركي Stetkevyeh وهو من أصل أكراني ، المبادرة الرابعة في ميدان الاستشراق التي تستحق العناية لانها تسد فراغا في اللغة الأنكليزية التي تبدو متأخرة في هذا الميدان عن اللغتين الألمانية والفرنسية . ولا غرابة أن يقدم المستشرق الأنكليزي هملتن جب ، عضو مجمع اللغة العربية ، هذا الكتاب ويؤكد على أهميته بالنسبة لقراء الانكليزية وكل الذين يهتمون بالعربية .

ولقد اتى هذا المؤلف مقسما إلى مقدمة عامة طويلة للمؤرخ وليم بولك وستة فصول وخاتمة قضى المؤلف في وضعها عشرة سنين . فهو يثير في الفصل الاول — وهو أطول الفصول — (ص 1—47) قضية القياس تأريخا وتعريفا . وهو يرى أن القياس عربي الأصل قد وضع اسسه النحاة الاولون من أمثال إبن أبي اسحق الحضرمي والخليل بن أحمد ومن أتى بعدهم من النحاة المشاهير لا سيما نحاة البصرة الذين تأثروا فيما بعد بالقياس اليوناني مثلما أشار إلى ذلك مهدي المخزومي في كتابه : «في النحو العربي — نقد وتوجيه» الذي اعتمده المستشرق الأمركي . وهو لم يكن أيضا وليد الفقه كما ادعى ذلك أحمد أمين بل امتزج به وبا لقياس اليوناني فيما بعد وقد وضع له أبو

(3) R. Hamzaoui, l'Académie arabe de Damas - Leiden 1965; 84 p

(4) Anwar Chejne, The Arabic language - Its role in History University of Minnesota Press - Minneapolis 1969; 240 p

وقد قدمنا لهذا الكتاب بكراريس تونس Les cahiers de Tunisie 18 (1970) N° 69—70 ص 221—218 .

علي الفارسي وابن جني قواعد ديناميكية (5) استغلها دعاة النهضة واعضاء المجامع اللغوية والادباء المعاصرون لترقية اللغة وتطويرها . وتعتبر هذه الملاحظات العامة مدخلا إلى علم الاشتقاق لا سيما الاشتقاق الصغير الذي هو أساس القياس وعليه عول اللغويون العرب المعاصرون لتطوير اللغة ووضع مصطلحات لها في ميدان العلوم والفنون ، فيعرض علينا الكاتب بعض الصيغ القياسية القديمة أو بعضا من التي أقرها مجمع اللغة العربية الذي اعتمده الكاتب في كثير من الاحيان . ولقد أدمج الكاتب في باب الاشتقاق المجاز وإحياء غريب اللغة وما يسميه بالاشتقاق المعنوي أو الاشتقاق بالترجمة وهو يعني بذلك تعريب الأساليب (Calques) التي كثر استعمالها عند الصحافيين والأدباء المعاصرين .

أما الفصل الثاني (ص 48–55) فهو يتعلق بالنحت الذي عارضه من القدامى ابن فارس على حد قول الكاتب وتحدث عنه الثعالبي في فقه اللغة والسيوطي في المزهر . أما من المحدثين فقد عارضه الشيخ أحمد الأسكندري عضو مجمع اللغة ، وأيّد استعماله الشيخ عبد القادر المغربي واحتج له مقسما إياه إلى أربعة أصناف : فعلي ووصفي وإسمي ونسبي . وفي هذا التقسيم نظر . وقد ركز الكاتب باقي الفصل على ضرب أمثلة من النحت في الشعر القديم والحديث كذا في النثر والمصطلحات العربية الحديثة مشيرا بعجالة إلى قضية الكواسع واللواحق . ويخصص الكاتب فصله الثالث (ص 56–65) للتعريب الذي يلجأ إليه عند الضرورة . ولقد انقسم الأدباء في شأنه إلى قسمين : قسم معارض وا خر مؤيد بالرغم من التقاليد اللغوية التي أقرته منذ عصر ابن عباس ومن القواعد التي وضعها له سيبويه في كتابه . وقد ترجم الكاتب أغلب ما جاء في هذا الموضوع من كتاب سيبويه وضرب للتعريب أمثلة قديمة وحديثة . أما

(5) وتتمثل تلك الدنياميكية في المبدإ الذى ينص «إن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» . وواضع هذا المبدأ هو في الحقيقة المازني تصريح اعتراف ابن جني نفسه .

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

الفصل الرابع (ص 66—78) فهو يبحث في تطور معاني الألفاظ ودلائلها ويدرس قضية استنباط معان جديدة من معان قديمة كثيرة تختلف اختلافا كليا من حيث مفاهيمها الأمر الذي يؤدي إلى قطيعة معجمية بين ماضي اللغة وحاضرها . واعتماداً على هذه الاتجاهات المجمعية العصرية يضع المؤلف في الفصل الخامس من كتابه (ص 79—94) مشكلة تبسيط القواعد النحوية ويؤرخ الأهم الخطوات التي وقعت في هذا الميدان مركزاً حديثه بالخصوص على آراء طه حسين وساطع الحصري ومقدما لمحاولات إبراهيم مصطفى في كتابه « إحياء النحو » ولنقد محمود تيمور في كتابه « مشكلات اللغة العربية » وذلك لمواجهة أهم مشاكل النحو العربي وهو الأعراب . ولقد تعرض الكاتب أيضا لبعض المقترحات الجزئية المتعلقة بالنحو وباستعمالات الكتاب المحدثين . ولقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل لأنه لم تقع دراستها دراسة منظمة تعتمد استقراء جميع التطورات النحوية لاستخلاص قواعد عامة وجديدة منها .

إن ذلك لا يعتبر عسيراً إن أخذنا بعين الاعتبار الأساليب الجديدة التي أدخلتها اللغات الاجنبية بكثرة في اللغة العربية وهو ما يسمى بتعريب الأساليب الذي خصص له الكاتب فصله السادس (ص 95—113) الذي يعتبر أهم ما جاء في الكتاب إذا أنه حصر اغلب الأساليب النحوية في أربعة مظاهر : تعريب الاساليب التي تمس بقواعد النحو العربي الكلاسيكية والتعريب الحرفي الذي يعتمد التراكيب الغربية تاركا التراكيب العربية المقابلة لها وتعريب الاساليب الذي يعتمد تطور دلالة الألفاظ ثم تعريب الحكم والأمثال الاوروبية المحضة .

ويختم المؤلف بخاتمة أو ما يسميه هو بالتعريفات نأخذ منها بالخصوص فكرتين هامتين مفاد الأولى أن العربية العصرية هي اليوم أقرب إلى اللغات الاندوأوروبية في مظاهرها اللغوية وقوالبها الذهنية منها إلى اللغات السامية وذلك ما يدل على تطورها وحيويتها . أما الفكرة الثانية فهي تعتبر أن العربية الفصحى التقليدية قاصرة عن تأدية علوم العصر ومجابهة اللهجات وحيويتها .

وذلك ما يمكن للعربيّة العصرية أن تؤديه من دون أن تقضي قضاء نهائيا على اللهجات .

لقد امتاز هذا المؤلف بأن ركز دراساته على اللغة الفصيحة المكتوبة دون غيرها . فترك مشكلة اللهجات جانبا وتحدث عنها عرضا كأنه يوعز أنهـا ليست ذات قيمة وذلك من دون أن يعالج ذلك منهجيا وعمليا نظرًا للصلة المتينة التي تربط في كل دراسة مشكلة الفصحى بمشكلة العامية . ولقد ترك جانبا مشكلة الكتابة وما إليها كذلك كل ما يتصل بدراسة علم الأصوات كأنه يريد أن يبين أن أهم الدراسات التي اعتنى بها العرب المعاصرون تتعلق أولا وبالذات بتطوير المعجم العربي دون أن يؤكد على ذلك تأكيدًا واضحا . ولقد نجح هذا المؤلف في مسعاه بقدر ما وضع بحثه في حدود معيّنة فاستطاع أن يثير أهم مشاكل العربية العاجلة وهكذا زود القارىء الأنكليزي بنظرة مفيدة تتعلق بالمعجمية العربية والنحو العربي ، مؤرخا لكثير من الالفاظ التي وضعها اللغويون فرادى أو جماعيا . فنبه ضمنيا إلى ضرورة تأريخ الألفاظ الجديدة لنتجاوز مجهود Hans Wehr ونضع أول نـواة للمعجم العربي المعاصر المؤرخ لأن وضع معجم كلا سيكي مؤرخ أصبح من المستحيل بعد فشل محاولة الالماني فيشر في مجمع اللغة .

لقد أمدنا الكاتب الأمركي بكتاب ثمين لم يسلم من بعض الهنات العامة منها أنه كثيرًا ما عالج ضمن موضوعه الاساسي مشاكل لغوية قديمة ونظريات اللغويين الكلاسيكيين فيها نذكر من ذلك معالجته قضية القياس في مستوى تاريخي ثانوي فيه نظر لا سيما عندما نلاحظ أن الجزم بأن نظرية القياس عربية الأصل يحتاج إلى تمحيص وخاصة إلى نصوص واضحة تؤيد هذا الافتراض الذي يبدو لنا متعسفا لو أخذنا بعين الاعتبار ما بيّنه Kukenheim (6)

(6) L. Kukenheim, Esquisse historique de la linguistique française Leiden 1962 p 11-12 وهو يعين ان نظرية التدقيق والاصلاًّ ، وهو مصطلحان معروفان في الافريقية ، كذلك تقسيم مقولات الكلام والمنطق وتأثيرها على النحو العربي من خلال الترجمات الارمنية والكريانية التي قام بها Denys le Thrace

في شأن تأثير النظريات اللغوية اليونانية على أغلب النظريات اللغوية في القرون الوسطى . ولقد فات الكاتب ان يعرفنا بالدراسات النظرية والتطبيقية العصرية في القياس وصلتها بالقياس القديم وتأثيرها على تطوير اللغة . ولنا ان نذكر في هذا الصدد دراسات مجمع اللغة في القياس والاشتقاق وإعادة النظر فيهما من ذلك قراره في الاشتقاق من أسماء الاعيان وتكملة المواد اللغوية التي لم تنص عليها كتب النحو واللغة واشتقاق صيغة مفعللة للدلالة على الاماكن التي تكثر فيها الحيوانات والنباتات ، وجمع القلة وجمع الكثرة الخ . أما المظهر الثاني من خلط المشاكل القديمة بالمشاكل العصرية فهو يتمثل في نزعة الكاتب إلى حشو كتابه بفقرات مترجمة عن كتاب سيبويه متعلقة بالتعريب (ص 59–60) وعن إبن خلدون متعلقة بالاعراب (ص 84–85) . وكان يكفي الاشارة إلى محتواها والتأكيد بإيجاز على ما له صلة منها بمشاكل العربية العصرية . وكنا نود لو خصص الكاتب أماكنها ليضع فيها كثيراً من حواشيه المهمة التي تعالج قضايا العربية المعاصرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما في مستوى المشاكل الجزئية فإننا نسأل : لم أدمج الكاتب المجاز وغريب اللغة في القياس والاشتقاق وهو إلى طريقة الاستنباط أقرب ؟ وما الداعي إلى زيادة الاشتقاق المعنوي والاشتقاق بالترجمة إلى الاشتقاق الصغير الذي كان محل مناقشات نظرية وعملية هامة نتجت عنها قرارات لغوية منها قرارات مجمع اللغة في إقرار قياسية كثير من الأوزان لا سيما أوزان أفعال المطاوعة التي كان اللغويون القدامى قد رموا بها تعسفاً في باب السماع . ولقد فات الكاتب أيضا الدراسات التي بحثت في تحديد السماع في العصر الحديث وما قرره مجمع اللغة العربية في شأن السماع من المحدثين . وهو قرار هام لأنه مرتبط بموقف اللغويين من اللهجات ومن الأساليب النحوية المعربة التي ادخلهـا المحدثـون في اللغـة والتي تحدث عنهـا الكاتب في فصله السادس :

في النحت ، هذه القضية الشائكة ، رضي الكاتب بنظرية النحويين القدامى التي تبناها الشيخ عبد القادر الغربي في كتابه « الاشتقاق والتعريب » ومفادها أن أغلب الكلمات الرباعية منحوتة . وهو رأي متعسف للغاية إن إعتبرنا مظهرين هامين من القضية أولهما إختلاف أولائك اللغويين في أصل الكلمة المنحوتة الواحدة . فالشيخ المغربي لا يرى عيبا في تقديم تأويلين في شأن كلمة بعثر مثلا أما المظهر الثاني فهو يتعلق بتفسير تلك الكلمات الرباعية تفسيراً غير علمي يجهل الفائدة التي يمكن أن نجنيها من تسليط علم الأصوات عليها . ففضلا عن كون أغلبها متأتا من أفعال واسماء حكاية (onomatopées) فإن الباقي منها يعتبر أسماء وأفعالا ثلاثية مزيدة بحرف . وكثيرا ما يكون ذلك الحرف من الحروف المائعة أو المتوسطة . وهذا ما يجعلنا نعتبر أن تأييد الكاتب لتصنيف المغربي في هذا الموضوع أمر فيه نظر . وكنا نود لو زودنا الكاتب بنماذج عصرية وهي كثيرة جداً ومتنوعة عن المنحوتات العصرية وعن إمكانية وضع قواعد عامة للبعض منها كما سعى إلى ذلك المجمعي المصري رمسيس جرجس في مجلة مجمع اللغة .

أما في التعريب فكان يحسن بالكاتب أن يترك جانبا القول الذي يرى أن ابن عباس أول من تكلم في هذا الموضوع . فيكفي أن نقارن الأمثلة المروية عنه في كتاب « الاتقان في علوم القرا ن » للسيوطي لنلاحظ اضطرابها وعدم صحتها . أما فيما يتعلق بالعصر الحديث فكان يحسن بالكاتب ألا يذكر مقالات فؤاد حسين علي لأن أغلبها مخصص للمعرب القديم . ولعله كان يجدر به أن يعرفنا بموقف الأمير مصطفى الشهابي في كتابه « المصطلحات العلمية والفنية في العربية في القديم و الحديث » إذ أنه وفق في وضع قواعد في هذا الموضوع وكاد ينجح في تحديد العلوم التي يجب أن تترجم والعلوم التي يجب أن تعرب . يضاف إلى ذلك أن قضية التعريب تفرض أن تعالج في ثلاثة مستويات تهم علم الأصوات والصرف والنحو . وقد اكتفى الكاتب بأن قدم أمثلة معربة قديمة وبسيطة للغاية ليس لها مساس بالعلوم وتشعب ألفاظها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في النحو وتيسيره ترى الكتاب يعتمد اراء ثانوية أو منتشرة ويترك أهل الاصلاح الحقيقيين الذين تجاوزوا باب النظريات إلى باب التطبيق منه عهد متقدم من ذلك رفاعة الطهطاوي في كتابه «التحفة السنية في علم العربية»

وحفني ناصف في كتابه «الدروس النحوية» وعلى الجارم في «النحو الواضح» ومجمع اللغة في قواعد تيسير النحو» . ويمكن لنا أن ننهي هذا العرض السريع بالحديث عن تعريب الأساليب. فنلاحظ أن الكاتب قد وفق في عرض مظاهره الهامة لكنه لم يسلم من تقليد اراء الشيخ المغربي وسردها دون تحليل خاصة عندما يقسم الأساليب العصرية إلى أساليب عربية محضة وأساليب أجنبية دون أن يقدم نصوصا قديمة أو حديثة تشهد بذلك . ولقد فات الكاتب كما فات المغربي أن ينظرا إلى هذا الموضوع في إطار الازدواجية اللغوية التي لمح لها المغربي قليلا دون أن يحترم قواعدها . ولا شك أن هذه القضية الهامة التي تثير مشكلة صلة البلاغة القديمة بالأسلوبية الحديثة في العربية تحتاج إلى درس عميق لإستخلاص ما يمكن أن يستخلص من قواعد جديدة ومفيدة تهم تطور النحو العربي وبالتالي أساليب العربية .

فهذا قليل من كثير اعتقاداً منا أن هذا الكتاب المفيد لا يستطيع أن يتحمل أكثر مما ابتغاه لنفسه لأنه يبدو أنه وضع للتعريف بهذه المشاكل فحسب ولم يشمل مواضيع اللغة العصرية مثلما شملها كتاب Vincent Monteil في «العربية العصرية» . رغم هناته

محمد رشاد الحمزاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com